الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

غير مخصص للبيع

ISSUE 107 - NINTH YEAR - JAN/FEB. 1986.

العدد (١٠٧) ـ جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ ـ السنة التاسعة ـ كانون الثاني (يناير)/شباط (فبراير) ١٩٨٦م.



صفحة مفقودة



الجمعة

مدينة وتاريخ



★ إحدى القلاع القديمة ★

مدينة المجمعة ذات عراقة تاريخية وخصوبة جغرافية، فهي تضم القديم والحديث، وتفيض بروافد التراث الأصيل، وتمتد جذورها ضاربة في أعماق الماضي البعيد. والمجمعة بفتح الميم وإسكان الجيم وفتح الميم، قد اختلف المؤرخون والباحثون حول أسباب تسميتها وبداية تأسيسها.. فيقول الشيخ النسابة حمد بن إبراهيم الحقيل في كتابه «كنز الأنساب ومجمع الآداب»:

«إن المجمعة باعتبارها منطقة خصبة، تجمعت فيها قبائل من بني تميم وعنزة وشمر وزعب وغيرهم، فسميت بذلك»، ثم قال: «هي عاصمة سدير، وقد طالت صحبتها للزمن، وعاصرت الأحداث والمحن، فلم ينكسر لها راية، وهي في بسيط من الأرض



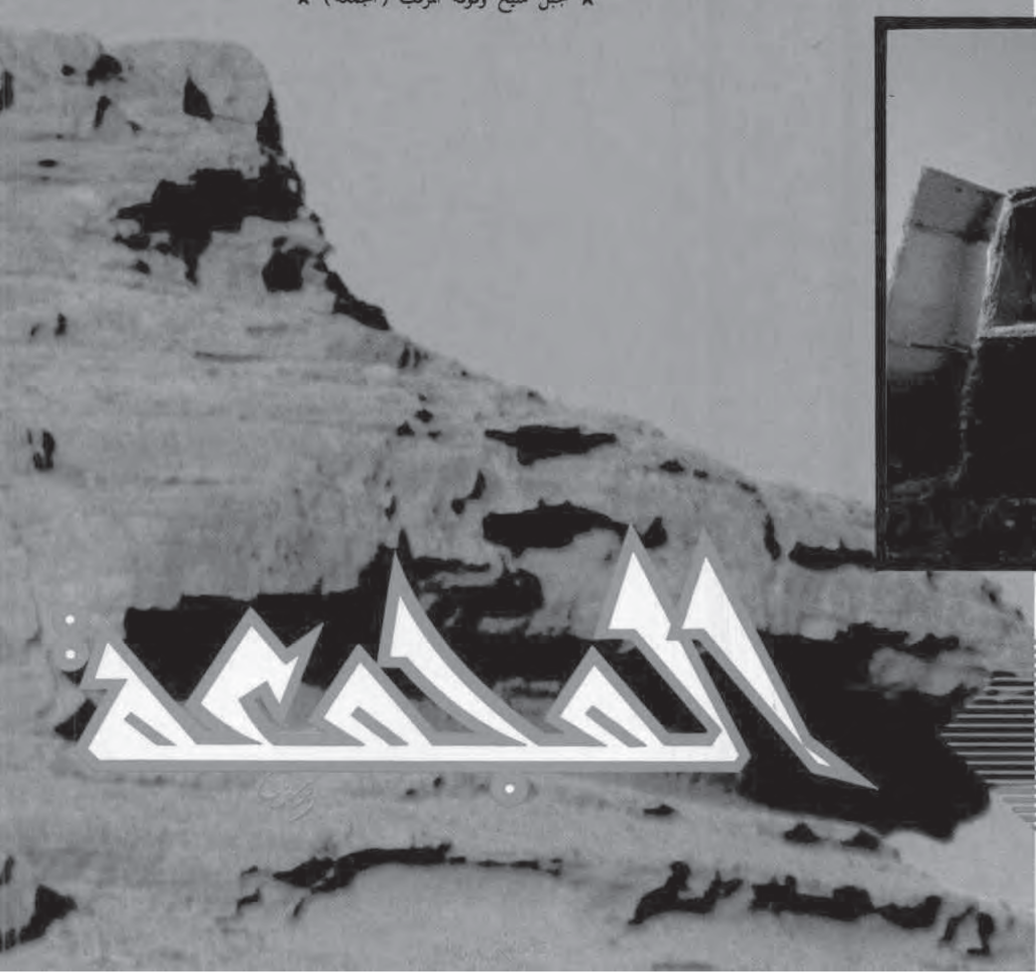
★ جبل منيخ وفوقه المرقب (المجمعة) ★



★ نموذج لأزقة المجمعة ومنازلها القديمة ★



★ قطاع من طراز المباني القديمة في المجمعة ★



فسيح يروي نخيلها وادي «المشقر» وحولها البساتين والخضر».

ولقد ذكر الشيخ **عبد الله بن خميس** في **معجم اليمامة**، الجزء الثاني، صفحة (٣٣٣) المجمعة فقال: «إنها من التجمع، إما لأن الأودية التي فوقها تتجمع بها، وإما لأنها حينما بدأت عمارتها أخذت تتجمع بها أسر من عدة قبائل، بمعنى إنها منطقة تجمع». والأغلب إنها سميت بذلك لأنها ملتقى أودية خصوصاً وادي «المشقر» وروافده، ووادي «الكلب».

الموقع

تقع مدينة المجمعة شمال **الرياض**، على بعد ٢٢٥ كيلاً، وترتبط بخط مرصوف وحوالي ١٩٠ كيلاً من **بريدة**، و ٣٠٠ كيل من مدينة **حفر الباطن**، و ١٠٠ كيل من **شقراء**.



★ جبل مبنخ، وتبدو عليه قلعة «المرقب التاريخية» وإحدى القلاع الأخرى ★

مدينة النخيل

بقلم: عبدالله حمد الحقيل
تصوير: محمد بيبر

وقد أكسبها هذا الموقع مكانة استراتيجية هامة ، حيث ارتبطت بتلك المناطق والمدن . . كما إنها أصبحت طريقاً وممراً لمعظم حجاج البر القادمين من **الخليج العربي والعراق وتركيا** . . كما أن **طريق الجمعة ـ الكويت** الذي يمر بحفر الباطن والأرطاوية ، أصبح طريقاً دولياً عليه كثافة مرورية كبيرة . . ويحيط بالجمعة عدد كبير من القرى والضواحي منها : **(حرمه ـ الرويضه ـ الفشخاء ـ الحائر ـ النزية ـ جوى ـ الخيس ـ العمار ـ أشي ـ ظلماء ـ الفروثي)** .

كما توجد بالقرب منها رياض فسيحة خصبة منها **الخفيسة ـ المزيرعة ـ سدحا ـ صبحا ـ الكظيمة ـ روضة زبدة ـ بناء** ، وغيرها .

ولقد وصفها صديقنا الأديب **الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي** خلال رحلة قام بها لتلك المغاني والمرابع في أيام الربيع الزاهية الزاهرة ، حيث تزدان بالمناظر الخلابة والنسيم العليل والجمال والروعة والبهاء . ولقد قال في هذه القصيدة :

قد دعوناها للعلا مجمعة
وهي للنصر والوغى مسبعه
واحة خضراء الربى لقي الجدب
والنخل فوقها مصرعه
بين صحراء شاسع عرضها
جلست ثم ازهرت ممرعه
وتراها في البيد تحسبها
من جنان الأخرى أتت مسرعه
قال لي صاحبي « الرفاعي » : هنا
يطرح الساري كل ما روعه
قلت : والعذريون كم قصدو
ها وأذرى قيس بها أدمعه
هي للحب والخيال مراح ،
وبالدين والتقى مترعه
حولك السد للمنيخ إليه
مناجاة و « الحذاقي » معه
ول « سدحاء » لوعة ومنى
و « النخيل » اشتكى ، وما أضرعه
واستحم « المعيذر » النور
بالنور والشمس داعبت أذرعه
أنت يا مجمع البطولات كم
لك كانت لله من موقعه
« عمر بن الخطاب » كان إليك
سرى جيشه إلى المعمعه
كنت مغدى جيش الفتوح أصاخ
لك الدهر في العلا مسمعه
مجمع الجند للنضال ، وعشت
على الخير والندى « مجمعه »
منبع الشعر والبيان ألا يذكر
الشعر ملهما منبعه
الربيع الجميل بين الخفيسة
و « الصبحا » تلك ما أروعه
وهنا الذكريات عادت لظى
للعب والشباب ، في « المجمعه »
أنا والشعر والصبا والمنى
وشكا القلب للهوى أضلعه
خافق في الضلوع يأمرني
بالهوى ، لا والحب لن أسمعه
كيف أعصيه وهو مني ، ودنياي
منه ، والروح روحي معه
وبقيد الأوهام قيدني
وأنا لا أقدر أن أقطعه
ما على القلب من ملام ، أنا
يا أحباي لا ، فلن أفزعه
وتلاقينا في منى حلوة
وتصافحنا في ربى « المجمعه »

تاريخ عمرانها

يرجع تاريخ تأسيس وعمران مدينة (المجمعة) إلى سنة ٨٢٠هـ ، على يد **عبد الله بن مزيد الشمري من آل ميبار** ، ويحدثنا المؤرخ **إبراهيم بن صالح بن عيسى** في كتابه « **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد** » ، أنه في سنة ٨٢٠هـ ، عَمَّر عبد الله الشمري من آل ميبار بلد المجمعة ، وكان عبد الله في حاشية **حسين بن مدلج رئيس بلدة التويم** ، فلما مات حسين ، قدم عبد الله الشمري على ابنه **إبراهيم بن حسين** في بلد **حرمه** ، وطلب منه قطعة أرض . . ينزلها ويغرسها هو وأولاده ،

فأشار أولاد إبراهيم على أبيهم أن يجعلوه في أعلى الوادي ، حتى لا يحول بينهم وبين سعة الفلاة والمرعى ، فأعطاه موضع بلد المجمعة . ولم يلبث إبراهيم وأولاده أن أشاروا على الشمري أن ينتقل إلى شمالي حرمه ففعل ، ولما كان ذلك الموضع الذي انتقل إليه واقعاً على طريق الحدرات (والمقصود بالحدرات « القوافل ») ، وهو طريق كان يعتبر في تلك الحقبة مصدر خير لمن يسيطر عليه ، فطلب إبراهيم من الشمري أن يعود إلى

★ بوابة أحد المنازل القديمة ★



مكانه الأول ، فاستقر هناك ، وأخذ غيره من الناس يفدون إلى المكان ، فتجمع أناس كثيرون في ذلك الموضع وعَمَّروه وغرسوه ، وسمي لذلك « المجمعة » .

ولقد ورد ذكر اسم المجمعة في كثير من المصادر التاريخية ، فقد أورد ذكرها مؤرخ نجد الشهير **عثمان بن عبد الله بن بشر** في كتابه « **عنوان المجد في تاريخ نجد** » ، فأورد ذكرها في أكثر من ٣٨ موضعاً .

وكانت منطقتها تسمى « **منيخا** » ، ويقول الشيخ عبد الله بن خميس في معجم اليمامة ، الجزء الثاني ، ص ٣٣٤ : « حدثني أحد ثقات المجمعة ، أن الحصن الموجود على قمة جبل يتوسطها يدعى **حصن منيخ** لا يزال بارزاً ، بناه عبد الله الشمري أول من بدأ العمران بالمجمعة عام (٨٢٠ هـ) . . . » .

كما شهدت المجمعة عدة معارك تعتبر من أقوى ما شهدت نجد ، وورد لها ذكر في أحداث العصور المتأخرة ، **كموقعة أم العصافير** ، التي جرت بين **الإمام عبد الله بن فيصل ومحمد بن رشيد** ، وكذا معركة إبادة الكتيبة التركية وقائدها **حسين أبي طاهر** في عام ١١٣٧ هـ ، أما المستشرق المعروف صاحب كتاب « دليل الخليج » **ج . ج . لوريمر** ، فقد ذكر في ذلك الدليل من الجزء الرابع ، صفحة ٤٢٠ ، حين زيارته لها قائلاً : « هي المدينة الرئيسية ومركز الإدارة الطبيعي لمنطقة سدير في نجد . . وهي مدينة مسورة بها حصن كبير في الوسط . . ويوجد حولها بساتين وحدائق للنخيل واسعة ، ويتكون سوقها من حوالي ٥٠ حانوتاً ، يباع فيها البن والأقمشة والأسلحة والذخيرة . . إلخ » .

أما المستشرق الآخر **وليم شكبير** الذي كان وكيلاً لبريطانيا في الكويت في أوائل حكم **الملك عبد العزيز** ، والذي قام بعدة رحلات في الصحراء العربية للكشف عن خباياها . . فقد زار المجمعة وكوَّن له أصدقاء من أهلها في رحلته السادسة في مارس (آذار) عام ١٩١٣ م ، ثم في رحلته السابعة في مارس (آذار) عام ١٩١٤ م .

★ الماضي ممثلاً في مجسم بئر قديمة وسط مظاهر الحديث ★



معالمها الأثرية

يوجد في المجمعة مواقع أثرية متعددة **كبرج منيخ** ، الذي بني في سنة ٨٢٠ هـ ، **وهضبة « حطابة » ، والقريف ، والعطينيه ، وقارة الثمن ، والمزيريره ، و « النصلة » غار علياء ، وأبي زيد من بني هلال** وغير ذلك من المواضع ، التي ما زالت تحمل

★ جانب من سوق المجمعة القديم ★







★ السد يفيض بمياهه لري الأراضي ★

نقوشاً وكتابات .. وكذا الأودية القديمة الشهيرة كوادي (**المشقر** «**المعيذر**» و «**الكلب**») .

بداية التعليم في المجمعة

لقد مر التعليم فيها بمراحل متعددة منذ القدم ، وتولى نشر تلك الرسالة نفر من رجالات العلم والفكر والدين ، ممن كان لهم دور عظيم .. ويقول الشيخ عبد الله بن خميس في معجم اليمامة ، الجزء الثاني ، ص ٣٣٨ :

« المجمعة منذ القدم منجبة للعلماء .. **فمن أبرز علمائها** المشايخ : (**عبد الله بن إبراهيم بن سيف**) ، وابنه (إبراهيم) صاحب كتاب (**العذب الفائض**) ، و (**محمد بن عبد الله أبا سلطان**) ، و (**أحمد بن محمد التويجري**) ، و (**حمد بن عثمان بن عبد الله بن شبانة**) ، و (**عثمان بن عبد الجبار بن الشيخ حمد بن شبانة**) ، و (**عبد العزيز بن عثمان بن عبد الجبار**) ، و (**عبد الرحمن الثميري**) ، و (**عبد الله بن خلف بن دحيان الحربي**) ، و (**عبد الله بن محمد بن دخيل الناصري**) ، وعلماء **آل سحيم** الذين منهم من عارض الدعوة السلفية .. ومن علمائها : (**إبراهيم بن ناصر بن جَدَيْد**) ، ومن علمائها المتأخرين : العلامة الشيخ (**عبد الله العَنْقَري**) ولي القضاء ، وأفتى ودرس وتخرج عليه جلّ علمائها المتأخرين .. وممن أخذ عنه العلم المشايخ : (**حمد بن مَزَيد**) ، و (**محمد الخَيَّال**) ، و (**عبد العزيز بن صالح**) ، و (**سليمان بن حمدان**) ، وآل الحقيل الشيخ (**حمد بن إبراهيم الحقيل**) ، والشيخ (**عثمان بن إبراهيم الحقيل**) ، والشيخ (**عثمان بن حمد الحقيل**) .. وطلبة العلم من آل الحقيل والمشايخ : (**عثمان بن سليمان**) ، من **آل جبير** ، و (**عبد العزيز بن ربيعة**) ، و (**محمد بن جبير**) ، و (**سليمان بن أحمد**) ، و (**عبد العزيز**

★ من الشوارع الجديدة ★





★ إحدى المزارع المحيطة بالجمعة ★



★ حديقة عامة ★

الثميري) ، و (**ناصر بن جعوان)** ، و (**عثمان بن ركبان)** ، و (**عبد الرحمن الخيال)** ، و (**إبراهيم الثميري)** ، و (**عبد الرحمن بن حسن)** ، و (**حمد التويجري)** ، و (**عبد الرحمن التويجري)** ، و (**عبد الرحمن الدَّهَش)** ، و (**عثمان أبو عتَيْق)** ، و (**عبد المحسن الخيال)** ، و (**إبراهيم بن سيف)** ، و (**حمد الشبانة)** .

ومن الأساتذة المربين المشايخ : (**أحمد الصالح الصانع)** ، و (**عثمان الصالح)** ، و (**إبراهيم الحَجّي)** ، و (**عثمان بن سَيَّار)** ، و (**إبراهيم بن عبد الوهاب)** ، و (**عبد الله النَّجْرَان)** ، و (**عبد المحسن بن إبراهيم الحقيل)** ، و (**عبد الله بن حمد الحقيل)** » .

ولقد تطور التعليم في المجمعة ، ونجدها اليوم في مقدمة البلدان التي أخذت نصيبها من العلم والمعرفة والثقافة ، وأخذت المدارس تنتشر وتزداد عاماً بعد عام . ولقد **افتتح أول مكتب إشراف للمنطقة عام ١٣٧٦ هـ** ، وفي عام ١٣٧٩ هـ ، تحولت إلى إدارة تعليم .

كما أن الفتاة نالت نصيبها من التعليم . . فقد **تأسست مندوبية الرئاسة العامة لتعليم البنات بالمجمعة عام ١٣٨١ هـ** ، رغبة في إعداد الفتاة إعداداً يتفق والبيئة الاجتماعية والتربية الإسلامية مع الأخذ بنصيب وافر من متطلبات العصر الحديث ، **وقد افتتحت أول مدرسة للبنات في العام الدراسي (١٣٨١ / ١٣٨٢ هـ)** . وقد تطورت تلك المدارس وأسهمت إسهاماً إيجابياً

★ أحد المجسمات التي تزين شوارع المجمعة ★



وبناء في النهوض بمستوى تعليم الفتاة ، وسخرت الإمكانات في سبيل تحقيق الأهداف التعليمية والتربوية على أساس من الشريعة الإسلامية .

إمارة المجمعة

تعتبر إمارة المجمعة من الإمارات الرئيسية التابعة لإمارة منطقة الرياض . . وقد تأسست عام ١٣٥٥ هـ ، وترتبط بها جميع بلدان منطقة سدير من حاضرة وبادية التي تزيد على مائة ما بين مدينة وقرية وهجرة ، وهي تشكل مساحة كبيرة ، فتعتبر الحد الشرقي لمنطقة الرياض والمنطقة الشرقية ، من الغرب وحتى بلدة الداهنة التابعة لإمارة **الوشم** ، ومن الشمال إلى بلدة **الغاط** .

الزراعة

تمتاز الأراضي المحيطة بالمجمعة بتربة رملية صفراء ناعمة ، تصلح لزراعة جميع أنواع الخضروات والفواكه والحبوب إذا ما توفرت لها المياه ، ويطلق على المجمعة قديماً « **أم النخيل** » ، إلى جانب زراعة الخضروات والقمح .

وتعتبر مديرية الزراعة والمياه من أهم القطاعات الحكومية الموجودة من حيث تأدية الخدمات والإرشاد الزراعي لمزارعي المنطقة وتوعيتهم إلى الطرق والوسائل الزراعية الحديثة ، ويزرع فيها مختلف الأصناف الزراعية القديمة والحديثة ، وفي السنوات الأخيرة شهدت المنطقة تطوراً زراعياً ، خاصة بعد أن توفرت الألبان والتقنية الزراعية الحديثة ، وبذلك دخلت الزراعة عصراً جديداً .

سد المجمعة

ولما كانت مياه السيول سرعان ما تضيع هباء في رمال الدهناء والخفيسة وغيرها ، فقد أقيم على وادي المشقر سد المجمعة على بعد ٧ أكيال ، ويبلغ طوله ٣٦٠ متراً ، وارتفاعه ١١ متراً ، وعرضه في الدروة ٣ أمتار ، والحد الأقصى لعمق المياه المخزونة فيه ٧ أمتار ، وتبلغ سعته التخزينية (١,٣٠٠,٠٠٠) متر مكعب .

ولقد كان له أثر في رفع منسوب المياه في الآبار الزراعية وثباتها لأطول وقت ممكن ، وقد قال أحد شعرائها :

جادتك من غاديات المزن وطفاء
يا موطن العز والإخلاص فيحاء
والخصب ينشر في الساحات بردته
مذ قام سدك سدت عنك أرزاء

كما أقيم بها **محطة تنقية للمياه** بسعة ٣٨٠٠ متر مكعب من الماء يومياً ، وخزانات مياه سعة ٥ آلاف متر مكعب ، وأحواض تبخير ، وآبار مياه عميقة عمقها ١٢٠٠ متر .

البوابات والأحياء والبيوت القديمة

كانت البلدة القديمة محاطة بسور ضخم به بوابات ، وهنا يختلف الرواة في تحديد عددها ، فنهم من يقول إنها **ست بوابات** ، هي : **(حويزة ـ الرميلة ـ القنطرة ـ النقبة ـ باب البر ـ باب الجديد)** ، ومنهم من يقول إنها كانت تسع على حد قول بعض المعمرين ، فيضيف إلى ما سبق : **(باب الهمال ، وباب الهلالية ، وبوابة الأمراء)** .

والاختلاف هنا أيضاً راجع إما إلى أسباب زمنية أو عمرانية .. فمن المعروف أن الكتّاب يختلفون في أزمنة تحديد دراستهم ، أو بمعنى آخر ، يعتمدون إما على مصادر قديمة أو حديثة ، وبالطبع فيها بعض التغيير ، وبفعل التطور يأتي الاختلاف في التحديد ، أو يأتي الخلاف للسبب الثاني (العمراني) ، وهو أن المجمعة بلا شك ، قد ظلت تتطور في سكانها منذ نشأتها حتى وقتنا الحاضر ، مما فرض ضرورة زيادة البوابات الخاصة بها .

أو يعود الاختلاف إلى اندثار عدد من البوابات نظراً لقلة أهميتها ، أو لعدم وجودها .

وتغلق البوابات الخاصة بالمجمعة ـ كغيرها من البلدان في ذلك الوقت ـ عند غروب الشمس ، وتوضع عليها حراسات .

أما العيون اليقظة الساهرة ، فإنها في **قلعة (منيخ) التاريخية** ، القلعة العتيدة والواقعة على جبل في ناحية البلدة جنوباً ، وقد كان يطلق على المجمعة قديماً اسم قلعتها ، ولهذا الاسم يقول البعض : إن بدوياً داهمته السيول المجلجلة في ذلك المكان ، فما كان منه إلا أن صعد الجبل ليعصمه من الماء .. وناخ عليه إبله فسمي الجبل **(منيخ)** ، والبرج مخروطي الشكل ، ذو جدار مزدوج ، يرتفع نحو ١٢ متراً



★ إدارة التعليم بمنطقة سدير (المجمعة) ★



★ مستشفى المجمعة الجديد ★



★ نموذج لطراز المساجد الحديثة ★



★ مبنى الإمارة ★

ومقسم إلى طابقين ، ويرق إلى قمة البرج بسلم لولبي حول عمود ضخم من الحجر والحصى ،

وفي الجدار الخارجي للبرج ثقوب « مصاليت » عديدة كان يستعملها الحراس للتصويب على المعتدين ، ولا زالت باقية من ذلك التاريخ ، أما السور فقد تهدم .

وكانت بيوت المجمعة القديمة تتألف من طابقين ، وللبيت ثلاث بوابات ضخمة منقوشة . . ويضم الطابق السفلي القهوة والمستودعات وغرف الضيوف ، ثم الرواق وأمامه (**براحة**) ، أي ساحة فسيحة غير مسقوفة ، ثم المجلس العلوي الذي تزدان جدرانه بالزخارف والنقوش ، وقد شهر عن مدينة المجمعة إحكام التصميم ودقة البناء .

السكان والعادات

يسكن المجمعة مجموعة من السكان الذين ينحدرون من القبائل العربية **كعنزة وتميم وشمر وزعب** وقبائل أخرى من صميم العرب . . وغيرهم .

ويتصف سكانها بعادات كريمة مثل كرم الخلق ، والمودة وحسن المعشر ، وتكريم الضيف ، ويقيم بها والقرى المجاورة لها حوالي « ٣٠ » ألف نسمة . . ومما يلاحظ أن عدد السكان في ازدياد مستمر ، حيث استوطنها عدد كبير من أبناء البادية والهجر والقرى المجاورة .

وسكانها يعملون في شتى المجالات الزراعية والاقتصادية ، ولقد شهدت في السنوات الأخيرة حركة عمرانية هائلة ، مما جعلها تتسع وتتطور . . وتمتد رقعتها السكانية .

المشاريع والتطور

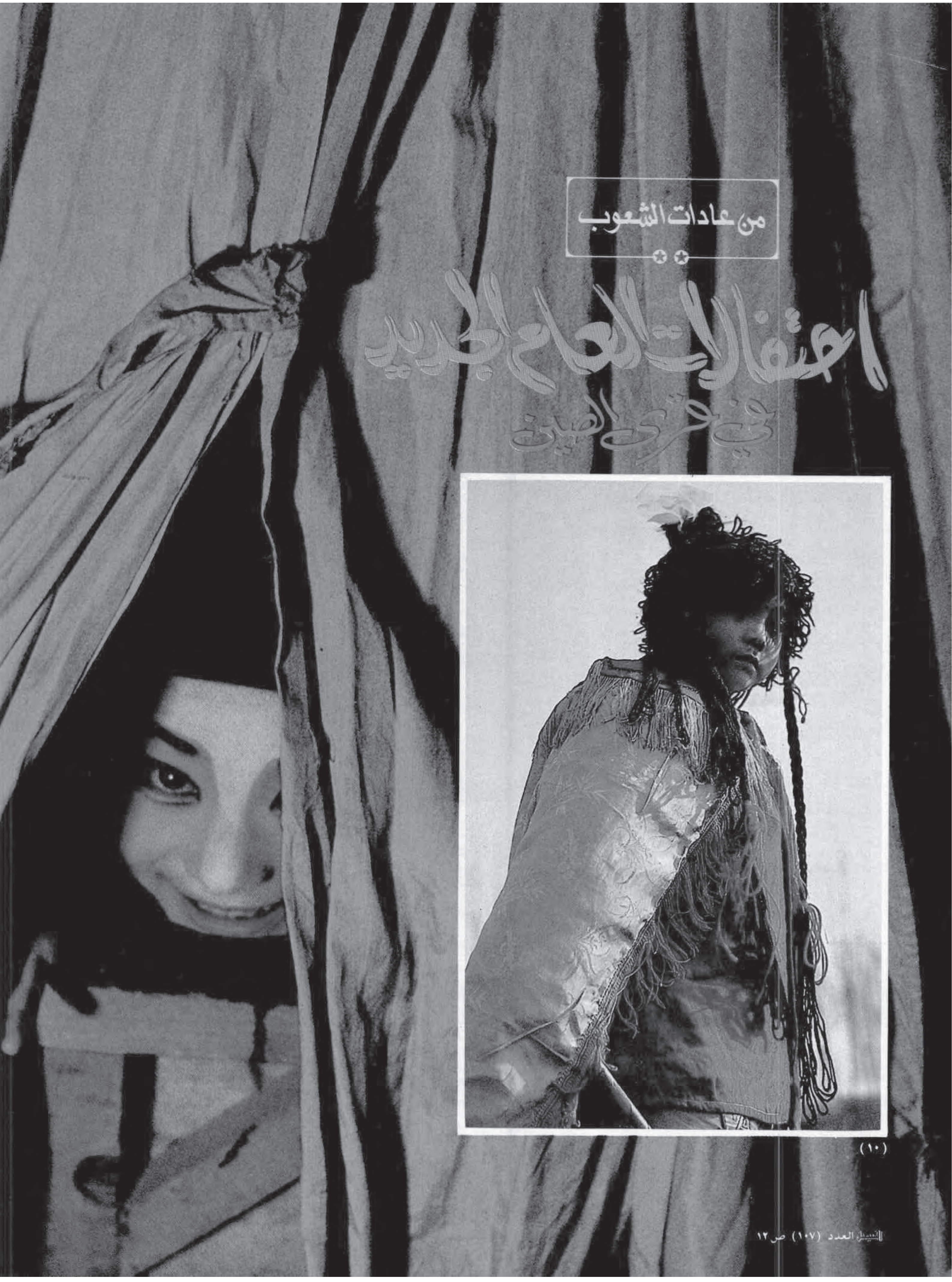
تتمتع المجمعة اليوم بموقع جغرافي هام ، كما أنها تضم بين جنباتها مصالح حكومية شتى ، وقد دأبت الحكومة ــ وبخاصة في الآونة الأخيرة ــ على تطوير كل أسباب الحياة والنشاطات المختلفة في شتى المجالات ، كالتعليم والصحة والمواصلات والزراعة والبلدية . . فشهدت نقلة حضارية شأنها شأن مختلف مناطق المملكة .

فاتسعت رقعتها وامتد عمرانها . . وكثرت بها المدارس للبنين والبنات ، ونفذ بها عدة مشاريع حيوية **كمستشفى المجمعة المركزي** بسعة ٢٠٠ سرير ، وإنشاء مبان لمعظم الدوائر الحكومية والمدارس ، وبها أندية رياضية تتبع رعاية الشباب . . ولقد أسس أول ناد ثقافي بها عام ١٣٧٠ هـ . . ويجري تنفيذ العديد من المشاريع الحيوية .

وبعد ، فهذه كلمة عجلى وهي مجرد رصد وتسجيل لبعض المعلومات عن هذه المدينة التاريخية العريقة ، التي خرج منها العديد من العلماء والأدباء والقضاة والكتّاب والشعراء . . والله الموفق والمعين .

المراجع والمصادر

(١) (عنوان المجد في تاريخ نجد) : عثمان بن بشر .
(٢) (تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد) : إبراهيم بن صالح بن عيسى .
(٣) (كنز الأنساب ومجمع الآداب) : حمد بن إبراهيم الحقيل .
(٤) (معجم اليمامة) ، الجزء الثاني : عبد الله بن محمد بن خميس .
(٥) (تاريخ نجد) : عبد الله فيلبي .
(٦) (دليل الخليج) ــ القسم الجغرافي ، الجزء الرابع ، تأليف ج . ج . لوريمر .



من عادات الشعوب

احتفالات العام الجديد في قرى الصين



(٨)



(٣)



(٢)

في كل عام تتوقف جميع الأعمال في قرى الصين بأسرها لمدة أسبوعين كاملين خلال شهر يناير (كانون الثاني) أو فبراير (شباط)، حيث يحتفل فيهما القرويون الصينيون ببدء العام الجديد كما اعتادوه نقلاً عن عادات وتقاليد توارثوها وما زال مستمراً إحياؤها منذ آلاف السنين، فتقام بهذه المناسبة الكبيرة المهرجانات الشعبية الفولكلورية الحافلة التي يشارك فيها جميع القرويين، وتخترق شوارع القرى المواكب الاستعراضية المدهشة الأخاذة الحاوية لجميع ألوان فنون التسلية والمرح، كما تقام الاستعراضات التنكرية التي تقدم عروضاً تمثيلية فكاهية منوعة يحبها ويُشغف بها قرويو الصين الكبار والصغار، كما تقام المسارح ودور السينما في الهواء الطلق لتعرض فيها المسرحيات المختلفة وعروض الأوبرا التي يتعشّقها أهل الصين أكثر من أي فن آخر.

كما تُنصب المراجيح العملاقة في كل شوارع القرى الصينية كعادة تقليدية منذ آلاف السنين.. وهذه صور الاحتفالات التي جرت مع بداية هذا العام (١٩٨٥م)، في قرى مقاطعة (شاآنكسي Shaanxi):



(١١)



(٤)



(٥)

الصورة رقم (١)

ممثّل مسرحي شاب من **فرقة الأوبرا شبه المحترفة** يختلس النظر من خلف ستارة مسرح الهواء الطّلق الذي أنجز على عجل من قبل جماعة الممثلين أنفسهم ، ليقدّم عروضه احتفالا بقدوم العام الجديد في

قرى (مقاطعة شاآنكسي Shaanxi province) الصينية .

الصورة رقم (٢)

خلال أيام مهرجانات الاحتفال بالعام الجديد جرت العادة أن يكون للأطفال نصيبهم من العروض التي تدخل البهجة



(٩)



(٦)



والسرور على أفئدتهم الصغيرة ،

وهذا طفل صغير يقف على رجلين خشبيّتين ومتنكّر بلباس يُظهره على شكل حيوان الخنزير ،

فيحدث الإعجاب ويُدخل السرور على قلوب هؤلاء الأطفال الصغار الذين ينظرون إليه مندهشين ، وشخصية الخنزير (بيجسي) مستمدة من واحدة من قصص الحبّ في الأدب الصيني الكلاسيكي ، وهي القصة المشهورة باسم (**رحلة إلى الغرب**) .

الصورة رقم (٣)

يُدهن وجه الطفل الصغير





(١٢)

بدائرة خطوطها ذات لون أحمر زاه يماثل شكله هيئة قائد القردة التي هي شخصية أخرى من شخصيات القصة الأسطورية الصينية (رحلة إلى الغرب)، وقائد القردة في القصة المذكورة يمتلك قوى سحرية خارقة.

الصورة رقم (٤)

يتجمع القرويون الصينيون على جوانب أحد شوارع القرية ليستمتعوا بمشاهدة عروض **رقصة الأسد** الفولكلورية التقليدية التي تستهويهم كثيراً، ويوجد داخل كل أسد رجلين واحد من الأمام وآخر من الخلف يؤديان ببراعة تامة وبتناسق تام فيما بينهما حركات الأسد الحقيقية وزئيره، ويوجه كل أسد رجل آخر يلبس زيًّا مضحكاً فيجعله يطرف بعينيه، ويقرقع بفمه فيفتحه ويطبقه ويصدر الزئير والصيحات التي تُدخل البهجة والسرور على نفوس كل هذا الحشد من المتفرجين من القرويين الصينيين.

الصورة رقم (٥)

من بين أهم التقاليد الرمزية الموحية التي تعدّ لاستقبال احتفالات العام الجديد أن تهيئ كل أسرة صينية في قرى ريف الصين زوجاً من الأعمدة الخشبية يربطان من أعلاهما بدعامة، وعادة يكتب عليهما عبارات الأماني الطيبة السعيدة المستبشرة بقدوم العام الجديد، مثل كلمات أحوال طيّبة، وأطفال أصحّاء، وحياة مديدة، وأيام سعيدة، ونرى في الصورة طفل صغير يقف خلف جدار رُصف بشكل مؤقت لبيت يشيّد حديثاً، وفتحة باب كبيرة جُعل العمودان التقليديان على يمينها ويسارها، وقد كتب على العمود الخشبي الأيمن باللغة الصينية ما معناه «حلوة، حلوة، حلوة، الحياة ستكون أكثر وأكثر حلاوة»، وكتب على العمود الأيسر «جميلة، جميلة، جميلة.. والأيام ستكون جميلة أكثر وأكثر»، (مع ملاحظة أن اللغة الصينية تُكتب تعابيرها من الأعلى إلى الأسفل).

الصورة رقم (٦)

القرويون الصينيون ينصبون **مراجيح عملاقة في شوارع** القرى، كجزء من احتفالات مهرجانات الأسبوعين، وهذه العادة التقليدية جاء ذكرها في الكثير من الشعر والحكايات الفولكلورية الصينية القديمة التي تُروى منذ أكثر من ألف عام، فقد وُجد حجر أثري ذُكر فيه أن نصب الأراجيح العملاقة يرجع إلى حكم الأسرة (**هان**) التي حكمت الصين منذ عام (٢٠٢) قبل الميلاد، إلى عام (٢٢٠) م، ويتأرجح الرجال العزّاب على هذه المراجيح لإثبات المقدرة والشجاعة أمام البنات العازبات.

الصورة رقم (٧)

الفتيات الصغيرات في عمر الورود بأزيائهن الملوّنة المزركشة الفائقة الجمال معلّقات على رؤوس العواميد الطويلة التي يحملها الرجال على أيديهم وأكتافهم في الموكب الاحتفالي الذي يعبر شوارع القرية.. ومع ذلك فإن الفتيات الصغيرات



(٧)

يظهرن وكأنهن واقفات مع أن الحقيقة أنهن مربوطات إلى مقاعد معدنية صغيرة مخفية تلامس قمم الأعمدة ، كما أن ارتداءهن هذه الأزياء المتعدّدة الطويلة قُصد بها إظهارهن بأحجام كبيرة تجعلهن يبدين أكبر من أعمارهن ، والأرجل التي تُرى متدلية من تحت ليست بأرجلهن الحقيقية إنما هي أرجل زائفة .

الصورة رقم (٨)

في كل الريف الصيني تنتشر **سينما الهواء الطلق** حيث تُعرض الأفلام السينمائية على شاشة كبيرة تُنصب مرة كل أسبوع ، ولكن رغم ذلك تبقى عروض **الأوبرا** الصينية هي المفضلة من قبل الصينيين ،

وخاصة الكبار في السن الذين يرون في العروض السينمائية شيئاً عجيباً جداً ، ونرى في الصورة مجموعة من القرويين الصينيين الكبار في السن ينتظرون بفارغ الصبر بدء عرض إحدى الأوبريتات الصينية على مسرح الهواء الطلق المشاد على أبواب القرية .

الصورة رقم (٩)

أحد الرجال يمتطي نموذجاً لشكل فيل يسيّره على رجلين خشبيتين في أحد شوارع القرية المزدحم بجمهور المتفرجين ، وراكب الفيل يمثّل شخصية أسطورية لواحد من الثمانية الخالدين التي تحكي عنهم الأساطير الصينية .

الصورة رقم (١٠)

إحدى الفتيات الصغيرات اللاتي يُحملن على رؤوس الأعمدة الخشبية الطويلة التي يتنكّبها الرجال والتي تسير في الموكب الاستعراضي المسمّى (**كانغ زهوانغ Kang Zhuang**) الذي يعبر شوارع القرية . . والمفترض ، حسب التقاليد والعادات ، أن يكون عمر البنت المحمولة من (٤ ـ ٦) سنوات ، ولكن أهل البنت يجمّلونها ويُلبسونها لباس الكبار ، ويطوّلونها لتظهر كأنها بنت كبيرة . . هكذا تقضي التقاليد .

الصورة رقم (١١)

مجموعة من الرجال على الأرجل الخشبية بأزيائهم الملوّنة المبهجة يقدّمون أنواعاً من الفنون المختلفة التي تُبهج الجماهير في شوارع القرية ، ومنهم من يتخذ شخصيات نسائية ، ويقدّم أنواعاً من الرقص النسائي الذي لا يرضي القرويين الكبار في السن .

الصورة رقم (١٢)

إحدى الفتيات الصينيات الصغيرات تركب في عربة مزينة يسحبها جرّار زراعي كجزء من الموكب الاحتفالي الكبير الذي يعبر شوارع القرية ، ونظارات الشمس السوداء التي تلبسها الفتاة هي زي مألوف دارج في قرى **مقاطعة شاآنكسي** ، وتعد شيئاً من الأناقة الذي يلبس في جميع المناسبات الخاصة ، وخاصة في مهرجانات احتفالات قدوم العام الجديد وحفلات الزفاف وأثناء التمثيل في المسرحيات .



الشرق ** في عيون الغرب

●● «رحالة Traveller's» ●●

● فردريك جودول ● المدرسة الإنجليزية ● رسم بالألوان المائية ● ١٨٦٠م ●



الأزمة الرّاهنة للسياسة الدولية الجنائية

بقلم : د. عبدالله سليمان

هذا العالم الكبير بدوله المتعددة ، وشعوبه المختلفة ، بحضارته الشامخة ، بمصالحه المتشابكة ، بثقافاته المتنوعة ، هل يبقى تحت رحمة حفنة من المتغطرسين الأقوياء الذين أعمتهم أطماعهم ، أم يجد في القانون ملاذه الواقي في حماية أمنه واستقراره ؟ .

أيستطيع هذا العالم بمنظماته القائمة ، بأعرافه ومواثيقه ومعاهداته أن يحمي الضعفاء لعدالة قضاياهم ويهزم باطل الأقوياء ؟ .

أمن العدالة أن يوصم بالإجرام من يرتكب عملاً غير مشروع في مجتمع ما ، في حين يعتبر بطلاً من يشعل نيران حرب غير عادلة تلتهم بسعيرها آلاف البشر بل وحتى ملايين الأبرياء ؟ .

أما آن الأوان لقيام عدالة دولية جنائية قادرة على محاسبة المجرمين المعتدين على مصالح الإنسانية الكبرى ومعاقبتهم مهما علت منزلتهم ؟ .

أمنية غالية على قلوب الملايين من البشر المتطلعين لغد عزيز تشرق فيه شمس العدالة القادرة على صيانة المصالح الإنسانية المشتركة للجنس البشري

ووقاية حضارته ومنجزاته من الفناء ، بعد أن بقيت منذ فجر التاريخ عرضة لأهواء الحكام المتسلطين . إنها نفحة جديدة من الأمل انبعثت مع نهاية النصف الأول من القرن العشرين ــ بعد محاكمة مجرمي الحرب الألمان واليابانيين ــ تبشر بإمكانية سيادة القانون ووضع حد لهمجية العابثين بأمن الشعوب .

استبشر العالم وهلل لنجاح المجتمع الدولي في محاكمة مجرمي الحرب ، واعتبر هذا النجاح بمثابة قفزة حضارية هائلة أنعشت الآمال بانتصار العدالة دولياً ، وخطوة تاريخية من شأنها أن تثني الحكام المغامرين عن عزمهم في ارتكاب الجرائم ضد البشرية مستقبلاً . وانتظر الجميع أن يكون لهذه الخطوة الجريئة أثرها المرتجى في تحريك آلية العدالة الدولية الجنائية وترسيخ أقدامها في



المجتمع الدولي . فما هي مقدمات هذا العمل الجليل ، وما مدى نجاح البشرية في الاستفادة منه ؟ .

مقدمات تاريخية

ما حدث في القرن العشرين الميلادي ، لم يكن مقطوع الصلة تماماً بالماضي . فالمتتبع لتاريخ العدالة يجب أن يذكر بالخير بعض الأصوات التي ارتفعت بداية من نهاية القرون الوسطى تندد بالحروب الظالمة وتشجبها[1] . كما تعتبر المعاهدات الدولية التي كانت تبرم بشكل ثنائي أحياناً وبشكل جماعي في أحيان أخرى ــ في عصر النهضة ــ بمثابة النواة الأولى التي حددت ما سمي فيما بعد بجرائم الحرب الدولية ، إذ أشارت في نصوصها إلى قواعد الحياد والحرب[2] .

على أن أهم المعاهدات الدولية التي تهمنا في هذا الموضوع تتمثل في المعاهدات التي بدأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي . نشير بهذا الصدد إلى **اتفاقية جنيف** لعام ١٨٦٤م ، التي **تتعلق بمعاملة جرحى ومرضى الحرب ونظام الصليب الأحمر الدولي** ، والتي أفسحت مجالا واسعاً لحماية الأفراد من ضحايا الحروب ، **وتصريح بطرس بورغ** سنة ١٨٦٨م ، الذي أكد على ضرورة احترام المبادئ الإنسانية في الحرب ، ودعا إلى تجنب استعمال بعض الأسلحة الخطيرة كالرصاص المتفجر .

وتعتبر **اتفاقيات لاهاي** أهم تلك المعاهدات وأبعدها أثراً . **ففي سنة ١٨٩٩م ، انعقد في لاهاي أول مؤتمر عالمي للسلم ونزع السلاح** (حضرته ٢٦ دولة) تم من خلاله تنظيم قواعد الحياد والحرب وفض المنازعات الدولية بالطرق السلمية وخاصة عن طريق التحكيم . وفي سنة ١٩٠٧م ، عقد **مؤتمر لاهاي الثاني** وساهم فيه ممثلون عن أربع وأربعين دولة (وهو تجمع عالمي ضخم في ذلك الوقت) ، وقد صاغ المؤتمر ثلاث عشرة اتفاقية تتضمن تجديد الرغبة في تجنب الحروب والدعوة إلى نزع السلاح وتثبيت دعائم السلام العالمي . وقد نظمت تلك الاتفاقيات وملاحقها مسائل تنظيم قواعد الحرب البرية والبحرية وواجبات الدول المحايدة في محاولة لتوجيه قواعد الحرب إلى ما يتفق والمبادئ الإنسانية[3] .

لقد مهّدت هذه المعاهدات لظهور فكرة الجريمة الدولية ــ خاصة اتفاقيات لاهاي ــ وإن لم تقننها . على أن ذلك لا يمنعنا من نقد هذه الاتفاقيات التي يؤخذ عليها :

أ ــ أن الحرب بالنسبة لهذه المعاهدات ما زالت مبررة ، إذ لم تشر هذه المعاهدات ــ عملاً بالعرف الدولي التقليدي ــ إلى منع الحرب وإن شجعت على تجنبها ، واجتهدت في تنظيم قواعدها ونتائجها .

ب ــ كما أنها لم تنص على الجزاء الواجب تطبيقه على الدولة التي لا تلتزم باحترام المعاهدات أو التي تخالف قواعد الحرب المتفق عليها ، إلى جانب غياب القضاء الدولي الذي يحدد مسؤولية الجاني في الحروب وعقابه .

مصداقية المعاهدات

باندلاع **الحرب العالمية الأولى** تكون هذه المعاهدات قد وضعت أمام الاختبار العملي الحقيقي . فقد برهنت الحرب على أن ألمانيا لم تحترم قدسية المعاهدات بخرقها **حياد بلجيكا ولوكسمبورغ** . كما ضربت بعرض الحائط بكل المعاهدات والمواثيق الدولية أثناء سير العمليات الحربية ، وذلك بالاعتداء على الأبرياء ، وقتل الرهائن ، وتعذيب السكان المدنيين وتسخيرهم في بعض الأعمال ، وتخريب المدن والكنوز الفنية والآثار التاريخية ، وضرب السفن المحايدة والمستشفيات واستعمال الغازات السامة . . إلخ . وقد أثارت هذه الأعمال حفيظة الدول الحليفة التي أخذ مسؤولوها يهددون بتوقيع العقاب المناسب على المسؤولين عن تلك الجرائم[4] . فقد صرح **رئيس الوزراء الفرنسي** في ٥ أيار (مايو) عام ١٩١٧م ، بقوله : « إننا لن نطالب بعد النصر بالانتقام ولكن بالعدالة فلا يجوز أن يكون هناك جرائم بلا عقاب » . كما أكد **لويد جورج** في بريطانيا عام ١٩١٨م . . . « بأن كل من ارتكب جريمة من جرائم الحرب سيوقع عليه العقاب مهما علا مركزه » .
يهمنا من هذه التصريحات أنها دعت إلى :

أ ــ تطبيق العدالة لا الانتقام ، وهو اتجاه جديد يقيد المنتصر نفسه بالعدالة ولا يفرض شروطه بطريقة كيفية كما كان عليه الحال في السابق .

ب ــ الدعوة إلى تقرير **المسؤولية الجنائية الفردية** ، وهو اتجاه جديد أيضاً بعد أن كانت المسؤولية تقع على عاتق الدولة المنهزمة ككل وفي نطاق التعويض المدني .

وفاء الحلفاء بالوعود

بانهزام ألمانيا ، وجدت أول فرصة مناسبة لإنقاذ هيبة العدالة الدولية وإخراجها من التصور النظري إلى الواقع العملي . وفعلاً فقد نجح فريق الحلفاء المتحمسين ــ بالرغم من معارضة وفدي الولايات المتحدة الأمريكية واليابان ــ إلى إقرار مبدأ المسؤولية الفردية الجنائية لمشعلي الحرب الألمان في **معاهدة فرساي** للسلام الموقعة في ٢٨ حزيران (يونيو) عام ١٩١٩م ، بما فيهم رئيس الدولة الألمانية **الإمبراطور غليوم الثاني** ، بعد مشاورات ومناقشات طويلة[5] .

ومن المؤسف أن نصوص المعاهدة لم تؤخذ بعين الجدية ، فلم تطبق النصوص الخاصة بجرائم الحرب إلا بحق حفنة من الضباط الألمان ، إذ سرعان ما بدأت ألمانيا تتملص من التزاماتها بتقديم المطلوبين للعدالة . كما لم تجد المادة

الأزمة الراهنة للسياسة الدولية الجنائية



٢٢٧ من المعاهدة الخاصة بمسؤولية غليوم الثاني باعتباره معتدياً على الأخلاق الدولية وقدسية المعاهدات أي تطبيق عملي بعد أن رفضت هولندا (البلد الذي لجأ إليه غليوم) تسليم الإمبراطور لمحاكمته.

وهكذا يتضح لنا أن نصوص معاهدة فرساي، وإن نجحت في تكريس مسؤولية مجرمي الحرب وضرورة معاقبتهم، فإن الواقع قد أفشل هذه المحاولة بمبادئها السامية، فضاعت بذلك أول فرصة ثمينة لتأكيد هيبة ومصداقية العدالة الدولية الجنائية.

التجربة الناجحة

شحنت الحرب العالمية الأولى المجتمع الدولي بالخوف وجعلته يبحث عن طريق الخلاص الذي يجنبه ويلات الحرب ونتائجها، فكان عهد **عصبة الأمم** أول ثمرة في هذا السياق. ولكن العهد لم يحرم الحرب تحريماً قاطعاً، كما لم يبين الطرق الكفيلة بحل المنازعات الدولية ووسائلها. لقد شجع العهد على **التحكيم** ولكنه جعل التحكيم أمراً اختيارياً (راجع المواد ١٥ ــ ١٦ من العهد)، لذلك نشطت الحكومات والهيئات العلمية الدولية وحتى الأفراد لإكمال النقص بإقرار مبادئ متقدمة على العهد تحرم اللجوء إلى الحرب وتعتبر ذلك جريمة دولية[٦].

لكن ذلك لم يمنع من قيام **الحرب العالمية الثانية** في فترة لم تتجاوز العشرين عاماً. وأثناء الحرب صدر عن **الحلفاء** وعود قاطعة بوجوب محاكمة المعتدين لعل أهمها **تصريح موسكو عام ١٩٤٣م**، الذي تعهد فيه الثلاثة الكبار (**روزفلت ــ ستالين ــ تشرشل**) بوجوب محاكمة مجرمي الحرب الألمان. وبناء على تصريح موسكو هذا أبرمت في لندن اتفاقية سميت «**اتفاقية لندن**» بين الدول الأربع الكبرى (الولايات المتحدة الأميركية ــ الاتحاد السوفييتي ــ إنكلترا وفرنسا) بتاريخ ١٩٤٥/٨/٨م، بتشكيل محكمة عسكرية دولية للقيام بمهمة محاكمة مجرمي الحرب الألمان.

وبانتهاء الحرب باشرت تلك المحكمة مهمتها وأصدرت أحكامها ونفذت تلك الأحكام. ولقد سميت تلك المحكمة **بمحكمة نورمبرغ** Nuremberg نسبة للمدينة الألمانية التي باشرت عملها فيها. وعلى غرارها أنشئت في طوكيو محكمة لمحاكمة مجرمي الحرب اليابانيين أيضاً.

وهكذا لأول مرة، ينجح المجتمع الدولي في **إقامة العدالة الدولية الجنائية** على أرض الواقع.

محكمة نورمبرغ في الميزان

اعتبر نجاح المجتمع في محاكمة مجرمي الحرب بمثابة خطوة تاريخية هامة أنعشت الآمال بانتصار العدالة دولياً. فقد وصف **الفقيه الفرنسي دونديه دي فابر** المحاكمة بأنها عمل ثوري Ouvre revolutionaire، وقال عنها **اللورد لورنس**، إنها أعظم خطوة في تاريخ العالم No Greater Step has been taken in the history of the world.

ورأى فيها **هنري ستمسون** «علامة فارقة في القانون» Landmark in Law.

وقال **هارتي شاوكرس**: إنها خطوة بألف ميل في تاريخ الحضارة This trial must form a mile stone in the history of Civilization.

وكتب القاضي الأميركي **بيدل** إلى رئيس الولايات المتحدة يقول: إن أهمية محاكمة نورمبرغ وقراراتها التاريخية تعتمد على ما يمكن اتخاذه كخطوات تالية[٧]. وهي كما يرى البعض رسالة للمستقبل، وخطوة رادعة سيكون من شأنها أن تثني الحكام المغامرين عن عزمهم في ارتكاب الجرائم ضد الإنسانية[٨].

وكان من الطبيعي ــ بالرغم من كل ما قيل فيها ــ أن تتعرض محاكمة نورمبرغ لبعض الانتقادات القانونية التي لم يكن بوسعها أن تتجنبها.

فقد عيب عليها أنها محكمة عسكرية أنشئت بهدف مؤقت واستثنائي بحكم الأمر الواقع Ad hoc، لمحاكمة بعض الناس من دول المحور عن تصرفات معينة. ووصفت بأنها محكمة متحيزة، إذ إن قضاتها يمثلون دولاً كانت في حرب مع ألمانيا. وزيادة على ذلك فالمحاكمة سياسية لا قانونية أعدت للتنكيل بأعداء سياسيين والانتقام منهم. **فهي محاكمة في مضمونها لا تعني سوى فرض إرادة المنتصر على المهزوم.**

ولعل أخطر الانتقادات القول: إن المحكمة تحاكم بلا قانون. فلا يكفي أن يقال إن المحكمة ملتزمة بتطبيق ما جاء في نظامها الأساسي ومبادئها العامة المستقاة من اتفاقية لندن والمرتكزة على تصريح موسكو، فهذه المبادئ والقواعد وجدت بعد ارتكاب الألمان لجرائمهم. وعلى هذا الأساس فإن محاكمة الألمان بموجب قواعد وجدت بعد ارتكاب الأفعال يعد مخالفاً لأهم مبادئ **القانون الجنائي** المعروف بمبدأ الشرعية الذي ينص على أنه لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص سابق على ارتكاب الجرائم التي يحاكم من أجلها المتهمون[٩].

وقد عبر عن هذا النقد بعض الفقهاء منهم[١٠] J.Y. Dantricourt، إذ يرى أن نظام ومبادئ نورمبرغ غير شرعية، فقد جاءت نتيجة حاجة (هناك رجال مطلوب محاكمتهم فاعملوا لهم قانون للمحاكمة).

ولست هنا بصدد بيان الجدل القانوني القائم حول محاكمة نورمبرغ، ولكني أود أن أبين أن هناك فجوات قانونية حملت في طياتها بوادر أزمة العدالة الدولية الجنائية.

فشل الأمم المتحدة

إن معالجة الموقف يقتضي الإسراع بتقنين قانون دولي جنائي يحدد بوضوح ماهية الجرائم الدولية وكيفية محاسبة مرتكبيها ونوع العقوبات ومقدارها الواجب تطبيقها. كما يقتضي بالضرورة إيجاد القضاء الدولي الجنائي المتخصص في تطبيق هذا التقنين المزمع إيجاده.

وبالفعل فقد سارعت **الأمم المتحدة**، في غمرة الحماس لنجاح التجربة، لتحويل قواعد وأحكام تلك المحاكمات من قواعد مؤقتة اقتضتها الضرورة والمناسبة إلى قواعد عامة لا تقتصر على مناسبة بذاتها ولها صفة الدوام. واتخذت في سبيل ذلك الخطوة الأولى فأكدت بقرارها رقم **٩٥** بتاريخ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٤٦م، على مبادئ وأحكام محكمة نورمبرغ، واعتبرتها جزءاً من القانون الدولي الوضعي، وعهدت إلى لجنتها القانونية التي

تكونت بموجب قرارها رقم ٢٤ ، بصياغة هذه المبادئ وإدراجها في تقنين عام .

وبعد مجهودات تالية معتبرة فشلت الأمم المتحدة في تبني أي مشروع قانون قدم لها بهذا الشأن ، مما أجبرها على تعليق النظر بهذا الموضوع بتاريخ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٥٧ م ، إلى إشعار آخر .

ولم تكن مسألة إيجاد قضاء جنائي دولي بأوفر حظاً من التقنين . فقد بذلت الأمم المتحدة في هذا الصدد جهوداً مضنية شاركت فيه عدة لجان دولية قامت بتقديم التقرير تلو الآخر ، ولكن دون جدوى .

فما تفسير ذلك ؟ أيعني ذلك أن بادرة محكمة نورمبرغ (وطوكيو) قد ماتت وطويت مع الأيام .

أسباب فشل الأمم المتحدة

من العبث القول إن فشل الأمم المتحدة يعود إلى صياغة قانونية ، فلقد قدمت مشاريع عدة متكاملة لم يكن ينقصها سوى إرادة الدول للتوقيع والمصادقة عليها . خصوصاً بعد أن سقطت الحجة ، التي كانت تتستر وراءها بعض الدول ، القائمة على أساس أنه لا يمكنها المصادقة على أي مشروع يقنن الجرائم الدولية قبل التوصل إلى تعريف للعدوان Agression ، لأن العدوان هو حجر الزاوية في أي تقنين دولي حول الجرائم الدولية . إذ بعد جهود مضنية ، دامت ربع قرن تقريباً ، توصلت الأمم المتحدة عام ١٩٧٤ م ، إلى تعريف للعدوان . وهذه خطوة إيجابية كان يجدر أن تتبعها خطوات أخرى ، ولكن ذلك لم يحدث ، فلماذا ؟ وما الأسباب الحقيقية لفشل الأمم المتحدة ؟ .

يمكننا أن نعزي إخفاق الأمم المتحدة في تحقيق التقنين الدولي للجرائم الدولية ، وبالتالي إقامة عدالة دولية جنائية إلى الأمور التالية :

(١) **تأثير العرف الدولي التقليدي :** ناضلت الدول الأوروبية ، في سبيل تأكيد وحدتها وسيادتها على ترابها ، بوجه الإمبراطورية الرومانية المقدسة وسلطة البابا . وابتداء من القرن السابع عشر الميلادي ، نما مفهومان متلازمان في أوروبا هما : سيادة الدولة ، والمساواة بين الدول . وهما المبدآن اللذان أقرتها **معاهدتي وستفالي (١٦٤٨م) ، وأوترخت (١٧١٣م)**[11] .

وقد استغلت الدول هذان المبدآن للتخلص من التزاماتها في داخل الإقليم وخارجه ، فكل عمل تأتيه الدولة يعتبر عملاً من أعمال السيادة . وقد كرس الأخذ بهذا المبدأ عدم مسؤولية الحكومات وأجهزة الدولة باعتبار أن أي عمل يأتيانه يعد من أعمال السيادة . وعلى هذا الأساس امتنعت هولندا عن تسليم الإمبراطور غليوم الثاني لمحاكمته عملاً بهذا العرف الدولي الذي يبرر أعمال الدولة . ومن خلال التسليم بمبدأ قدسية الدولة وتبرير أعمالها نما العرف الدولي التقليدي ، فهل يمكن أن نبحث من خلاله عن أي شكل متطور لمسؤولية الدولة ؟! .

(٢) **أساليب الدول في حماية مصالحها :** أقرت الدول الكبرى مبادئ محكمة نورمبرغ في ظروف معينة استجابة لمنطق الأحداث في تلك الفترة من الزمن خدمة لمصالحها . أما أن تقر تلك الدول مبادئ عامة لا تضمن بقاءها دوماً في صالحها فهو أمر غير مستحب لديها ولا تستجيب له .

وتسيطر على الدول الكبرى عنجهية القوي المتغطرس ، إذ لم تتخلص الدول الكبرى ، حتى الآن ، من العقلية الاستعمارية التي ورثتها عن العهود السابقة .

وفي مجال العلاقات بين الدول يفضل السياسيون دائماً أساليبهم السياسية ، إذ يرون فيها أنجع الطرق لحماية مصالحهم[12] . ومن الأساليب السياسية : المفاوضات الدبلوماسية ، والتحكيم ، واستعمال القوة أو التهديد بها .

لنلتفت إلى الوسيلة الأخيرة : استعمال القوة أو التهديد بها ، أليس ذلك جريمة دولية ؟ .

من هنا ندرك جيداً ، أن الدول القوية التي لديها القوة للتهديد بها ، أو استعمالها عند الضرورة ، لا تميل أبداً إلى إيجاد أي تقنين دولي للجرائم .

(٣) **النظام الدولي بعد الحرب العالمية الثانية :** استطاعت الدول الكبرى أن تنتزع لنفسها حق النقض «**الفيتو**» في أخطر هيئة دولية يناط بها حفظ السلام والأمن في العالم أي في **مجلس الأمن الدولي** . وهذا الحق أو الامتياز يؤمن لها مصالحها كاملة ، الأمر الذي جعلها تقلب ظهر المجن لكل المحاولات الجادة لإحياء العدالة الدولية الجنائية .

(٤) **انقسام العالم إلى كتل سياسية :** يجب أن نقر بأن كتلتين كبيرتين تسيطران على العالم هما : **الكتلة الرأسمالية والكتلة الاشتراكية** وقد ظهر إلى جانبهما كتلة ثالثة هي **كتلة عدم الانحياز** أو الدول غير المنحازة .

وقد انعكس هذا الانقسام على أي تحرك دولي يهدف إلى تقنين قواعد القانون الدولي أو إيجاد القضاء الدولي . إذ عادة ما تتخذ مواقف متضادة بين كتلة وأخرى خاصة بين الكتلتين الرأسمالية والاشتراكية .

(٥) **العقلية التي تسود الدول الاستبدادية :** وأخيراً فإننا لن نتجاهل العقلية التي تسود الدول الاستبدادية ، التي تبالغ في تعظيم أيديولوجيتها المتفوقة ، وتحلم بقيادة الآخرين . وفي سبيل ذلك لا تدخر وسعاً في تبجيل ذاتها وبيان علو قدر قادتها ، وترى في سيادتها «تابو لا يمس» ، وتمنح لنفسها الحق في إعلان الحرب ، بل هي كما يرى **الأستاذ دانتريكور** دول عدوانية لا ترى في السلام غير هدنة مؤقتة تكتيكية[13] . ألم تعاني البشرية الأمرين من النازيين في ألمانيا والفاشيين في إيطاليا؟ .

لهذه الأسباب مجتمعة نرى أن الأمم المتحدة قد فشلت في تقنين القانون الدولي الجنائي وإقامة القضاء الجنائي الدولي المتخصص .

الأزمة الراهنة للسياسة الدولية الجنائية



ولكن إذ فشلت الأمم المتحدة في مهمتها هذه ، فهل يعني ذلك أن آلية العدالة الدولية قد توقفت ؟ وهل يتسامح المجتمع الدولي في الوقت الراهن مع المجرمين الدوليين ، أم تسعفنا المعاهدات والأعراف الدولية في توقيع الجزاء عليهم ؟ إنها أزمة العدالة الدولية الجنائية في الوقت الراهن .

الوضع الدولي الحالي

تتكرر في الوقت الراهن الأعمال الدولية الإجرامية بلا حسيب ولا رقيب . يكفي أن نفتح المذياع لسماع نشرة الأخبار أو أن نتصفح جرائد الصباح لندرك ذلك جيداً . الاتحاد السوفييتي يغزو الأفغان ـ أمريكا تجتاح غرينادا ـ إسرائيل تحتل نصف لبنان . هذا ، إذا لم تسعفنا الذاكرة لنعود إلى جرائم أميركا في الفيتنام ، وغزو الصين للهند ، والاعتداء الأنجلو فرنسي ـ إسرائيلي على قناة السويس . . وهكذا .

إن أعمالا من هذا القبيل تعد جرائم ضد السلام ، وهي أخطر الجرائم الدولية . ومع ذلك فإننا لا نستطيع حتى إدانتها في المجتمع الدولي الحالي ، إذ يكفي أن تستعمل دولة من الدول الكبرى حق « الفيتو » للتملص حتى من الإدانة . وليس من قبيل الصدف أن تكون الدول الكبرى وعلى الدوام إما طرفاً مباشراً في الاعتداء ، وإما حامياً للطرف المباشر في الاعتداء ، كما يحدث عادة بالنسبة لتغطية جرائم إسرائيل في مجلس الأمن من قبل أميريكا[١٤] .

لقد وصفت محكمة نورمبرغ العدوان بقولها « . . . إن شن حرب الاعتداء ليس جريمة دولية فحسب ، إنها الجريمة الدولية الكبرى . . . إنها أم الجرائم »[١٥] . وعليه فقد جرمت المواثيق الدولية حتى الأعمال التحضيرية التي تتم بهدف الإعداد للعدوان . فالتآمر ضد السلام جريمة ، والدعاية الإعلامية للحرب جريمة وحتى الدعاية ضد السلام جريمة بموجب قرار الأمم المتحدة الصادر عام ١٩٥٠ م ، فكم هي الدول ومن هي الدول التي تسمع وتستجيب ؟ .

لقد تقدم الفقه كثيراً في هذا المجال ، فذهب إلى اعتبار أن امتلاك الأسلحة النووية بذاته يعد عملاً تحضيرياً للحرب ، لا يمكن أن يبرر بحاجات الدفاع عن البلاد . فالأسلحة النووية بذاتها أسلحة هجومية ، وامتلاكها جريمة دولية[١٦] . فماذا نقول عمّن يحاول عسكرة الفضاء فيما يعرف « **بحرب النجوم** » ؟ .

ويضيق بنا المجال لو حاولنا أن نتعرض لجرائم الحرب الأخرى التي نصّت عليها المعاهدات الدولية التي تقترفها الجيوش الغازية بحق سكان المناطق المحتلة . **يكفي أن نشير إلى جرائم إسرائيل التي ترتكب يومياً بحق الأبرياء في فلسطين ولبنان من مجازر وعقوبات جماعية ، وضرب الأهداف المدنية ، والاعتداء على أماكن العبادة ، واستعمال الأسلحة المحرمة ، . . . إلخ ، حتى يندر أن نجد جريمة من جرائم الحرب لم تقترفها إسرائيل . وبالرغم من ذلك فهي محمية على الدوام بفيتو أميريكي .**

ولا يفوتنا أن ننوه بجريمة التمييز العنصري وإبادة الجنس التي تنتهكها **حكومة جنوب إفريقيا** يومياً على مرأى ومسمع من العالم ، بالرغم من جميع النصوص التي تحرم هذا العمل اللاإنساني[١٧] .

أيمكن الادعاء في الوقت الراهن ـ بعد سلسلة المعاهدات الدولية وقرارات الأمم المتحدة ـ بأن أعمال الغزو والاجتياح ، وجرائم الحرب ، واستعمال القوة والتهديد بها ، وامتلاك الأسلحة النووية ، وإبادة الجنس والعنصرية ، إنما هي أعمال لا تجد في القانون الدولي ما يجرمها ؟ أم أن الأمر يحتاج إلى إرادة دولية صادقة في تطبيق نصوص المعاهدات والأعراف الدولية بهذا الشأن ؟ .

المسألة كما نرى ليست مسألة قواعد قانونية غير موجودة أو صياغة قانونية غير متفق عليها ، ولكنها مسألة إرادة وتعنت متعمد من الدول في عدم تقييد نفسها بقواعد قانونية ملزمة ، وبإفشال كل المشاريع القانونية لقيام قضاء جنائي دولي .

وتأكيداً لصحة ما نذهب إليه نرى أن نعود إلى النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية ـ بوصفها محكمة دولية متفق على مبادئها ـ فنقف على تحديدها لمصادر القانون ومدى توافر هذه المصادر في القانون الدولي الجنائي .

تحدد المادة (٣٨) من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية مصادر القانون على النحو التالي :

(المعاهدات الدولية ـ العرف الدولي ـ المبادئ العامة التي تعترف بها الأمم المتمدينة ـ القرارات القضائية) .

ليس صعباً على الباحث أن يؤكد ، بكل موضوعية ، توافر هذه المصادر في القانون الدولي الجنائي . فالمعاهدات الدولية ، منذ قرابة قرن ونصف من الزمن ، ما فتئت تكرس الأعراف الدولية وتكشف عنها ، وقد تطورت مضامينها تبعاً لتطور الأعراف الدولية في هذا المجال ، فكانت الأساس الذي تركزت حوله المحاكمات التي جرت بعد الحربين العالميتين كما برزت آثارها واضحة على أعمال اللجان والمناقشات التي سبقت تلك المحاكمات . ويعد العرف بدوره أساس القانون الدولي الجنائي[١٨] . فبغياب السلطة التشريعية المؤهلة ، وبإخفاق الأمم المتحدة في تقنينه ، يبقى العرف المصدر الأساسي للقانون الدولي الجنائي ، وما المعاهدات الدولية سوى أدوات للكشف عن العرف الدولي هذا .

لنعد إلى المصدر الثالث للقانون وهو **المبادئ العامة** التي تعترف بها الأمم المتمدينة ، تعبير يكتنفه كثير من الغموض . فكيف نحدد الأمم المتمدينة ؟ أهي الدول القوية ؟ أم هي الدول المتطورة أدبياً وقانونياً ؟ . أيمكن أن نحكم على أمة بأنها متمدينة من خلال نظامها السياسي أو الدستوري ؟ . تساؤلات كثيرة تثار هنا . ونرى أن التعبير لا يتعدى أن يكون تأكيداً لشرعية الأخذ بالعرف الدولي .

أما المصدر الرابع ، وهو **القرارات القضائية** ، فإنه وإن كان قليلاً في القانون الدولي الجنائي ـ نظراً لحداثة هذا القانون ـ ولكنه غير معدوم على أية حال . فلنا في قرارات محكمة ليبزغ بعد الحرب العالمية الأولى ، وقرارات محكمتي طوكيو ونورمبرغ ، دليل على إمكانية القول بوجود هذا المصدر أيضاً .

وهكذا نرى بوضوح أن مصادر القانون متوافرة في القانون الدولي الجنائي ـ بالرغم من عدم تقنينه ـ وأن تعطيل أحكامه ليست لأسباب قانونية .

الخاتمة

لقد كانت محاكمة نورمبرغ وطوكيو قفزة نوعية وحضارية في تاريخ الشعوب، عطّلت العرف الدولي التقليدي القائل بشرعية الحرب وعدم مساءلة المسؤولين عنها باعتبارها عملاً من أعمال السيادة للدول. وكان الأمل في أن تستمر هذه الخطوة فيعاقب المجرمون الذين يتعرضون لأمن المجتمع الدولي وسلامته. ولكن ما حدث بعد ذلك أثبت أن الدول عادت للأخذ بمفهوم العرف الدولي التقليدي حيث يسرح مجرمو الحرب وينفخون أبواقهم حيثما شاؤوا بدون أن تستطيع العدالة الدولية الجنائية أن تقتص منهم.

لقد أغضب هذا الوضع الكثيرون من شرفاء العالم وأحراره، أليس هذا ما دفع الفيلسوف الإنجليزي **برتراند راسل**، إلى تشكيل محكمة من كبار رجال الفكر في العالم لإقامة عدالة دولية جنائية خاصة (إذا صح التعبير) احتجاجاً على تعطيل العدالة الدولية الجنائية، لمحاكمة مجرمي الحرب الأميركان في فيتنام عام ١٩٦٧م؟.

إن الوقت لم يفت بعد لتدارك الموقف، وحبذا لو استطاع أنصار العدل والسلام في العالم من تحريك آلية العدالة الدولية الجنائية لإنقاذ البشرية من تسلط الأقوياء المهووسين بعظمة أنفسهم وهمجية العابثين بأمن الشعوب. إن مهمة العدالة الدولية الجنائية ليست سهلة ـ إنها محاولة ـ كما يقول **جرافن** ـ لجعل القانون الدولي الجنائي يتحمل مسؤولية خطيرة في حفظ السلام والأمن الدوليين بعد أن أخفقت الدبلوماسية والسياسة في ذلك[19].

أتستطيع الأمم المتحدة أن تحقق هذا الحلم؟ أم هل تنتظر البشرية قيام حرب عالمية ثالثة لبعث نورمبرغ جديدة؟.

الهوامش

(١) نشير بذلك إلى رأي الفلاسفة: فرانسيكو دي فيتوريا (١٤٨٠ ـ ١٥٤٦م)، وفرانسيسكو سواريز (١٥٤٨ ـ ١٦١٧م) الإسبانيان، وجروتيوس (١٥٨٣ ـ ١٦٤٥م)، الهولندي، ودوفاتل (١٧١٤ ـ ١٧٦٧م) الألماني، انظر: S. Plawsk; Etude des Principes fendamentaux du droit international Pénal, Paris 1972 P. 19 et ss.

(٢) نشير بذلك إلى معاهدة أوترخت عام ١٧١٣م، التي نظمت حقوق المحايدين وواجباتهم، ومعاهدة الحياد سنة (١٧٨٠م) بين الدانمارك والسويد وروسيا وتناولت قواعد الحرب في البحار والقواعد التي تتعلق بالحياد. راجع: دكتور حميد السعدي، مقدمة في دراسة القانون الدولي الجنائي، بغداد (١٩٧١م) ص ٦٨.

(٣) راجع: بلاوسكي، المرجع السابق، ص ٢٢ وما بعدها.

(٤) راجع: بعض التصريحات في: الدكتور حميد السعدي، المرجع السابق، ص ٨٧.

(٥) انظر في اعتراضات الوفدين الأميريكي والياباني، والمشاورات الطويلة التي سبقت ذلك وخاصة ما سمي بـ «تقرير المسؤوليات»، الدكتور محمد محيي الدين عوض، دراسات في القانون الدولي الجنائي، مجلة القانون والاقتصاد، القاهرة سنة ١٩٦٤م، ص ١٣٤ وما بعدها. والدكتور حميد السعدي، المرجع السابق، ص ٩٩ وما بعدها.

(٦) لقد نص مشروع معاهدة المعونة المتبادلة المقدم إلى عصبة الأمم (عام ١٩٢٣م)، على أن حرب الاعتداء جريمة دولية تتعهد الدول الموقعة بالامتناع عنها. كما حرم بروتوكول جنيف المقدم من عصبة الأمم عام ١٩٢٤م، حرب الاعتداء ووصفها بأنها جريمة دولية. كما نصت اتفاقيات لوكارنو عام ١٩٢٦م، بين مجموعة من الدول الأوروبية الغربية على تحريم اللجوء إلى الحرب ووجوب الأخذ بالتحكيم الإجباري، وهو ما أخذ به أيضاً قرار الجمعية العمومية لعصبة الأمم في ٢٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٢٧م، وميثاق بريان ـ كيلوج عام ١٩٢٨م. انظر: بلاوسكي، المرجع السابق، ص ٣١ وما بعدها، والدكتور حميد السعدي، ص ١٠٧ وما بعدها.

كما ساهمت هيئات علمية في حث المجتمع الدولي على إنشاء قضاء جنائي دولي وقدمت للعصبة مشاريع قوانين بهذا الشأن.

وهذه الهيئات هي: جمعية القانون الدولي، الاتحاد البرلماني الدولي، الجمعية الدولية للقانون الجنائي. ومن الأفراد: لمع اسم العلامة الروماني بيللا الذي قدم عدة مشاريع قوانين إلى عصبة الأمم لإنشاء قانون دولي جنائي وقضاء جنائي متخصص. انظر: الدكتور محمد محيي الدين عوض، المرجع السابق، ص ١٥. و J. Graven; Pour la defense de la Justice internationale de la Paix et de la Civilisation Par la droit Pénal; Rev. Intern. de droit Pénal (1964) P. 7 et ss.

(٧) راجع بالنسبة لهذه الآراء:

Bert. V.A. Roling; Quelques reflexions sur le droit criminel supernational, Rev. Intern. de droit Pénal (1964) P. 72.

(٨) Herzog; Vingt ans aprés..., Rev. Intern. de droit Pénal (1964) P. 47 et ss.

(٩) J.Y. Dantricourt; la Justice Vriminelle universelle aux nations unies; Rev. Intern. de droit Pénal, (1964), P. 274.

(١٠) Claude Lombois; droit Pénal international, 2éme edition, 1979, P. 157 et ss.

(١١) Simone Dreyfus, Droit des relations internationales (1978) P. 27.

(١٢) انظر: دانتريكورت، المرجع السابق، ص ٢٥٦.

(١٣) دانتريكورت، المرجع السابق، ص ٢٥٨.

(١٤) لقد هالني تصريح رئيس الولايات المتحدة أخيراً وهو يربط بين (لوم) إسرائيل (لجرائمها المتكررة في جنوب لبنان) وبين لوم المقاومة اللبنانية لقيامها بعملياتها العسكرية ضد جيش الاحتلال الإسرائيلي، في حين أن العرف الدولي وميثاق الأمم المتحدة وقراراتها وخاصة قرارها الصادر في ١٤ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٧٤م، المتضمن تعريف العدوان يعطي الحق للشعوب المقهورة في أن تلجأ للكفاح المسلح ضد الغاصبين وهو أمر مشروع دولياً بل وعلى الأسرة الدولية أن تساعد هذه الشعوب على ذلك.

وبناء على موقفها المتحيز دائماً استعملت أميريكا حق الفيتو ضد قرار مجلس الأمن الذي يدين إسرائيل بتاريخ ١٢/٣/١٩٨٥م.

(١٥) St. Glaser, Introduction à l'etude du droit pénal international (1954) P. 38.

(١٦) بلاوسكي، المرجع السابق، ص ٨٧.

(١٧) راجع لائحة نورمبرغ المادة السادسة ولائحة طوكيو المادة الخامسة، وديباجة قرار الأمم المتحدة الصادر في ١١ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٤٦م. ونصوص معاهدة قمع جرائم إبادة الجنس الصادر في ٩/١٢/١٩٤٨م. والاتفاقية الخاصة بتجريم كافة صور التفرقة العنصرية الصادر عن الأمم المتحدة في ٢٠/١١/١٩٦٣م.

(١٨) راجع بلاوسكي، ص ٤٨.

(١٩) جان جرافن، المرجع السابق، ص ٨.

★ ★ ★

الأزمة الراهنة للسياسة الدولية الجنائية



الجزائر

شعر: علي حافظ

حيُّوا مَعِي الأرضَ المباركَةَ الجَزائرْ … أرضَ الكَرامَةِ ، والأصَالَةِ ، والمفَاخِرْ

واشْـدُوا بأبطَال الوغَى شـجعانها الأ … سْـدَ المَيَامِـينَ الكـوَاسِرْ

سَارُوا إلى الأعـدَاءِ والدُّخلاءِ كـالطـ … ـوفَانِ بـالبيض المهنَّدَةِ البَواتِرْ

لـمْ يرهَبُوا نيرَانَهُمْ كالسَّيْلِ تهـ … ـدرُ في البُيوتِ ، وفي الجبـال وفي المآثِـرْ

جَادُوا بمليـونٍ ونصْـفٍ للشَّهَادَةِ والجنـ … ـانِ وَلَمْ يُبَـالُوا بالخسـائِرْ

واسْتَرخَصُوا الأرْواحَ ، والأمْـوَالَ ، والأ … وْلادَ ، والأحْفَادَ مِـنْ أجْـلِ الجـزائِرْ

تَركُوا الكلاَمَ لأهْلِهِ وتَمسكُوا بـالسـ … ـيف والرَّشَاش في بَادٍ وحَاضِرْ

فَتَراجَعَ الأعْـدَاءُ صوبَ بلادهم مِـنْ … بَعْـد فَتْكَةِ ذلك الشـعب المغَامِرْ

مَـنْ لَمْ يُغَامر في الحياة بمـالِهِ … وبنفْسِـهِ ألِفَ الخُضُوعَ لِكُلِّ كـافِرْ

تكَلُوا عَلَى اللهِ القَدير فَحَفَهُمْ بـالنصـ … ـر ، والتـوفيقِ والتأييدِ بـالعَمَلِ المؤازِرْ

واسْـتَنصروهُ فلمْ يخيِّبْ ظنَّهُم … وكفَـى بـربِّ النَّاس معـوانٍ ونـاصِرْ

عن ديوانه «نفحات من طيبة»

وللحديث شجون



بقلم
عبدالعزيز الرفاعي

أبو حنيفة الدينوري

في حديث مضى ، أوردت نصاً لأبي حيان التوحيدي ، تضمن إعجابه البالغ برجال ثلاثة .. قال : إن الزمان لن يجود بأمثالهم ، هم : الجاحظ وأبو حنيفة الدينوري .. وأبو زيد البلخي .. وبودي أن لو علقت على ذلك الحديث بأشياء طواها آنذاك ضيق الحيز .. الذي أرجو أن يتسع لها الآن .

أما إعجاب أبي حيان بالجاحظ .. فلا مجال لمنازعته فيه .. كما لا أعتقد أن هناك مجالا لمزيد من الحديث عن الجاحظ ، فهو أحد أعلامنا الأفذاذ ، بل هو في نظري أحد ثلاثة أعلام يصح أن نباهي بهم العالم ، هم الجاحظ في الأدب ، والمعري في الفكر ، والمتنبي في الشعر .. على أن الذروة التي تسنموها تتسع للمزيد ، لمن أراد أن يزيد .

ولقد تحدثت من قبل عن الجاحظ ، بما تيسر لي أن أتحدث عنه .. وفي المكتبة العربية كتب كثيرة تحدثت عنه ، ودرست أدبه ، ومجدته .. ونقدت آثاره .. وأدب عمرو بن بحر كالبحر ، كثير الأغوار ، واسع خضم ما يزال في حاجة إلى استكشاف .

إذن ، فلن أقف عند أبي عثمان أكثر مما وقفت .. ولكن شخصية الدينوري في حاجة إلى وقفة متأنية ، فهي شخصية مثيرة .. وقد جعلها أبو حيان أكثر إثارة حينما أبدى بها إعجاباً كبيراً .

ولقد ترجم ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٩ م) له في كتابه (معجم الأدباء) ٣/٢٦ ، فقال : أحمد بن داود بن وتنَد أبو حنيفة الدينوري ، أخذ من البصريين والكوفيين ، وأكثر أخذه عن ابن السكيت ، وكان نحوياً لغوياً ، مهندساً منجماً حاسباً ، راوية ثقة فيما يرويه ويحكيه ، مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومائتين للهجرة .

ثم يقول الحموي عقب ذكر سنة وفاته مباشرة : « وجدت ذلك على ظهر كتاب (النبات) من تصنيفه » ، وهذا يعني أن ياقوت الحموي وقف على كتابه هذا .

ولكنه يذكر أقوالا أخرى في تاريخ وفاته ، إذ يستطرد قائلاً : « ووجدت في كتاب عتيق : مات أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري قبل سنة تسعين ومائتين ، ثم وجدت على ظهر النسخة التي بخط ابن المسبِّح ، بكتاب (النبات) من تصنيف أبي حنيفة : توفي أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ليلة الاثنين ، لأربع بقين من جمادى الأولى ، سنة ثمانين ومائتين ، ووجدت في كتاب (الوفيات) ، لأبي عبد الله محمد بن سفيان بن هارون ابن بنت جعفر بن محمد الفرياني البغدادي : مات أبو حنيفة أحمد بن داود بن وتَنَد ، صاحب كتاب (النبات) ، في سنة إحدى وثمانين ومائتين » .

وإزاء هذا الاختلاف في تعيين سنة وفاته .. لنا أن نحتكم إلى الأستاذ الزركلي صاحب (الأعلام) يرحمه الله .. فنجده قد اختار سنة ٢٨٢ هـ ـ ٨٩٥ م ، أي السنة التي عيّنها ياقوت الحموي نفسه قبل أن يورد الأقوال الأخرى .

أي إن صاحب كتاب (النبات) توفي بعد صاحب (الحيوان) أي الجاحظ بنحو سبعة وعشرين عاماً ، فوفاة الجاحظ كانت سنة (٢٥٥ هـ ـ ٨٦٩ م) .

ويثني أبو حيان على أسلوب أبي حنيفة في كتاب (النبات) ، ويذكر أيضاً أن له في القرآن كتاباً يبلغ ثلاثة عشر مجلداً ولكنه لم يره .

وينقل ياقوت الحموي عن كتاب ابن فَرَجة ، المسمى (الفتح على أبي الفتح) الحكاية التالية :

« زعموا أن أبا العباس المبرِّد ، ورد (الدينور) زائراً لعيسى بن ماهان ، فأول ما دخل عليه ، وقضى سلامه ، قال له عيسى : أيها الشيخ ما الشاة المجثمة ، التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أكل لحمها ؟ فقال : هي الشاة القليلة اللبن مثل اللَّجبة . فقال : هل من شاهد ؟ قال : نعم قول الراجز :

لم يبق من آل الحميد نسمة إلا عنيز لجبة مجثّمة

فإذا بالحاجب يستأذن لأبي حنيفة الدينوري ، فلما دخل قال : أيها الشيخ ما الشاة المجثمة التي نُهينا عن أكل لحمها ؟ ، فقال : هي التي جُثمت على ركبها ، وذبحت من خلف قفاها . فقال : كيف تقول ؟ وهذا شيخ العراق ، يعني أبا العباس المبرِّد يقول : هي مثل اللجبة ، وهي القليلة اللبن ، وأنشده البيتين . فقال أبو حنيفة : إيمان البيعة تلزم أبا حنيفة ، إن كان هذا التفسير ، سمعه هذا الشيخ أو قرأه ، وإن كان البيتان إلا لساعتها هذه ، فقال : صدق الشيخ أبو حنيفة فإني أنفت أن أرد عليك من العراق ، وذكري ما قد شاع ، فأول ما تسألني عنه لا أعرفه . فاستحسن منه هذا الإقرار وترك البهت » .

ترى هل كانت هذه الحكاية من الأخبار الصحيحة أو من تلك التي توضع للطرافة أو من أجل الرفع من مكانة شيخ ، والخفض من مكانة آخر .. فهي إن صحت ، تدل على قدرة المبرِّد على اختراع الأخبار والأشعار ، وسوقها مساق الشواهد .. للعمل على تعزيزها وتقويتها .. ؟ .

كما أن الحكاية تدل على حفظ الدينوري وتمكنه من علمه ، ورسوخ المعلومات لديه وسرعة ذكائه فقد أدرك أن البيتين مصنوعان ، وأقسم على ذلك بأقسام البيعة ! .

ويذكر ياقوت سرداً لمؤلفات الدينوري ، ينقله عن محمد بن إسحق النديم .. ومن الخير أن نرجع إلى الفهرست لنرى ماذا قال النديم ؟ .

بين يدي طبعة (رضا تجدد) منه ، وهذا سرده (ص ٨٦) :

«له من الكتب : كتاب (النبات) ، يفضله العلماء في تأليفه ، كتاب (الفصاحة) ، كتاب (الأنواء) ، كتاب (القبلة والزوال) ، كتاب (حساب الدور) ، كتاب (الرد على لغدة الأصفهاني) ، كتاب (البحث في حساب الهند) ، كتاب (البلدان كتاب كبير) ، كتاب (الجمع والتفريق) ، كتاب (الجبر والمقابلة) ، كتاب (أخبار الطوال) ، كتاب (الوصايا) ، كتاب (نوادر الجبر) ، كتاب (الشعر والشعراء) ، كتاب (ما يلحن فيه العامة)» اهـ .

وهنا لا ننسى أن نضيف إلى هذا البيان ، كتابه عن القرآن ، الذي ذكره أبو حيان .

ويدل هذا السرد على تنوع اهتمام أبي حنيفة ، وسعة ثقافته وتنوعها ، وأنه طرق في التأليف أبواباً كثيرة مختلفة منها في الأدب ، وفي العلم ، والفلك .. إلخ .

على أنه لا ينبغي أن يفوتني أن أنبه القراء ، أن قائمة مؤلفات أبي حنيفة كما سردها ياقوت الحموي ، تختلف عنها عند النديم . وإن قال إنها عنه .. ذلك أن ياقوت الحموي ذكر له كتاباً في الباه ، وآخر في إصلاح المنطق وثالثاً في الكسوف ، ولم ترد فيما بين يدي من كتاب النديم ، وهذا يدل على أن ياقوت الحموي اعتمد منه على نسخة مصححة .

ومما يدل على سعة علم الدينوري ، وتنوع ثقافته ، أن السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، لا يكتفي بأن يسلكه في جملة النحاة في كتابه المعروف (بغية الوعاة) ٣٠٦/١ ط ١٣٩٩ هـ ، بل يضيف أنه ممن جمع بين بيان آداب العرب وحكم الفلاسفة ! وهو ما قرره أبو حيان .

ومن كتب الدينوري المعروفة المطبوعة : كتابه (الأخبار الطوال) نشر بتحقيق عبد المنعم عامر ، ومراجعة الدكتور جمال الدين الشيال .

وقد قدم له محققه مقدمة طويلة ، أثنى فيه على المؤلف ، وعلى كتابه ، وقال عنه : إنه عاش رفيع القدر أصلاً ومعاشاً ، وصار إماماً من أئمة العلم واللغة والأدب ، وعرّف بلده دينور ، وهي بسكون الياء وفتح النون ، من أهم مدن الجبال في فارس .

وندرك من مقدمته أن أبا حنيفة عاش بأصفهان مدة اشتغل فيها برصد الكواكب ، وتسجيل نتائج الأرصاد التي كان يقوم بها في معمله الفلكي ، وأن الفلكي المشهور (عبد الرحمن الصوفي) المتوفى سنة ٣٧٦ هـ ـ ٩٨٦ م ، شاهد المنزل الذي كان يستخدمه أبو حنيفة معملاً للدراسات الفلكية .

وعدد الأستاذ عبد المنعم عامر للدينوري من المؤلفات (٢١) كتاباً .. هي ما سبق أن ذكرته سابقاً ، بإضافة كتابين اثنين ، أحدهما كتاب البيان ، لكنه أشار إلى شبهه أن يكون هو كتاب (النبات) .. وأن هناك تصحيفاً في الاسم .. أما الكتاب الثاني ، فرسالة في الطب مجموعة في ورقات قليلة .

أما وقد السمحت إلى ما ذكره الأستاذ عبد المنعم عامر عن بلد الدينور ، فقد عنّ لي أن أرجع إلى ياقوت الحموي في معجم بلدانه ، لأرى ما عسى أن يكون قد ذكره عنه ، بعد أن أثنى عليه في معجم أدبائه .. ؟ . وكم عجبت إذ رأيته يذكر عدداً من أهل دينَوَر ، لكنه يغفل ذكر أبا حنيفة ، مع أنه أحق بالذكر ، إن لم يكن أجدرهم بالصدارة والتقديم .

على أنني أود ، قبل أن أزايل ياقوت في معجم الأدباء ، أن ألاحظ أنه ذكر اسم جد الدينوري (وتند) ، أي بالتاء بعد الواو ، أو هذا ما جاء في نسخة دار المأمون التي بين يدي .. وهو أيضاً ما جاء في بغية الوعاة ، ولكن عبد المنعم عامر يعتمد الكلمة (وتند) بنون بعد الواو تتلوها نون ثانية ، ويشير في الهامش إلى أن بعض المؤرخين يذكرونها بالتاء .

والزركلي في (الأعلام) يعتمدها بنون تتلوها نون . وهو حينما يسرد مؤلفاته يذكر ما طبع منها وهو (الأخبار الطوال) ، وكتاب (النبات) الذي طبع منه الثالث ونصف الخامس عنى بطبعهما الدكتور محمد حميد الله .

ويدلنا الزركلي على مراجعه المطبوعة والمخطوطة ، وفيها الغناء لمن أراد الرجوع إليها للتوسع في أخبار هذا الرجل الباتعة أبو حنيفة الدينوري .

هل هناك مايسمى بالعدالة الشعرية؟!

اصطلح النقّاد والأدباء على أن هناك قانوناً أخلاقياً يحكم على المحصلة النهائية لتصرفات الشخصيات في العمل الروائي أو المسرحي ، فإذا بذلت الشخصية كل ما في وسعها من أجل خير الآخرين وصالحهم ، فلا بد أن تحصل على الثواب أو المكافأة بشكل أو بآخر ،

وإذا كانت الطبيعة الشريرة للشخصية هي المحرك الرئيسي وراء سلوكها تجاه الآخرين ، بحيث تسعى دائماً لإيقاع الأذى بهم ، فلا بد أن تجني هذه الشخصية ثمرة أعمالها الشريرة وأن تنال العقاب الجدير بها ، وذلك تطبيقاً لمبدأ الجزاء من جنس العمل .

العدالة الشعرية

وكان الاصطلاح الذي أطلق على القانون الأخلاقي قد استخدمه **توماس رايمر** لأول مرة في كتابه « **مآسي العصر الأخير** » عام ١٦٧٨ م ، عندما تكلم بطريقة محددة عن « **العدالة الشعرية** » ، وأحياناً أخرى استخدم ـ سواء هو أو نقّاد آخرون ـ اصطلاحات « **العقوبة الشعرية** » ، و « **العدالة الدرامية** » ، و « **النظام المسرحي** » ، ولكنها كلها تعني نفس المفهوم وهو عقاب الشرير وثواب الخيّر . ولقد استخدم النقّاد في أوروبا الاصطلاح بالمعنى نفسه وذلك باستثناء إسبانيا وفرنسا ، على الرغم من أن فرنسا بعد ذلك طورت مفهوم العدالة الشعرية ، ووسعت من آفاقه الدرامية في القرن السابع عشر الميلادي .

والعدالة النثرية

وقد شاع اصطلاح « **العدالة الشعرية** » بحيث أصبح مستخدماً على مستويين أحدهما أدبي والآخر عام مرتبط بالحياة العادية للناس . فعلى المستوى الأدبي يستخدم بالمفهوم الذي أشرنا إليه ، والذي يحدد مجرى الصراع بين الخير والشر سواء في الدراما أو الملحمة أو الرواية أو القصة القصيرة ، والذي ينتهي بانتصار الخير وهزيمة الشر حتى يشجع الأديب الأشخاص الطيبين على الاستمرار في سلوكهم الإنساني الخير ، وعلى ضرب القدوة الحسنة والمثل الأعلى للآخرين ، وحتى يثير الفزع في قلوب الأشرار كي يتوقفوا عن الإتيان بأعمالهم الشريرة . وقد فضل النّاقد **س . هـ . بوتشر** في كتابه « **نظرية أرسطو في الشعر والفنون الجميلة** » عام ١٩٢٧ م ، استخدام اصطلاح « **العدالة النثرية** » بدلا من العدالة الشعرية ، لأن مفهوم العدالة أكثر شمولا واتساعاً من اقتصارها على المسرحية **الشعرية فحسب** .



★ أرسطو ★

والعدالة العامة

أما على مستوى الحياة اليومية للناس ، فإن العدالة الشعرية تعني المعنى العام للعدالة ، الذي يكافئ الأخيار ويعاقب الأشرار . لكنه يركز بصفة أخص على العقوبة التي ينالها المجرمون بعيداً عن قاعات المحاكم . وهي وإن كانت نادرة الحدوث ، إلا أن الجميع يذكرونها على سبيل العبرة وربما تناقلتها أجيال وراء أجيال . ذلك أنها تصبح مثلاً مادياً ملموساً على العدالة التي تحكم الكون ، وخاصة عندما يقع المجرم ضحية الجريمة التي كان يخططها لإيذاء الآخرين .

الخير في مواجهة الشر

وعلى الرغم من أن **أرسطو** قد رفض الرأي السائد في عصره الذي ينص على أن **التراجيديا** المثلى هي تلك التي تنهض على نظرية مسبقة محددة ، فإن كثيرين من النقّاد الأوروبيين قد نادوا بضرورة تطبيق نظرية العدالة الشعرية على كل الأعمال الأدبية التي تتناول مضامين الخير في مواجهة الشر . وسادت هذه النظرية حتى هاجمها الكاتب المسرحي الفرنسي **كورني** في عام ١٦٦٠ م ، ثم هاجمها الأديب الإنجليزي **أديسون** في العدد (٤٠) من مجلة « **سبكتاتور** » عام ١٧١١ م . وكان لهذا الهجوم أثره في نزول العدالة الشعرية من على عرشها .

فقد وجد النقّاد أن متعة الجمهور في ممارسة أحاسيس الشفقة تجاه البطل الخير الذي لا يستطيع الهروب من مصيره المرعب المحتوم ، تزيد على متعة الجمهور عندما يرى العدالة الشعرية وهي تضع الأمور في نصابها .

بقلم: د. نبيل راغب

الجريمة لا تفيد

وإذا كان الأدب العالمي في أعقاب **كورني وأديسون** قد ابتعدا تدريجياً عن التطبيق الحرفي للعدالة الشعرية ، إلا أن هذه العدالة وجدت لنفسها منفذاً جديداً في كثير من الروايات والمسرحيات الموجهة أساساً لجمهور القراءة من أجل التسلية . فهذا النوع من القارئ العابر يجب أن يرى الأمور موضوعة في نصابها في نهاية الرواية ، بل إن هناك روايات عديدة صدرت على هيئة سلسلة تحمل عنوان « **الجريمة لا تفيد** » . ومع اختراع السينما وانتشارها مع مطلع القرن الحالي ، التزمت معظم قصص الأفلام بمبدأ العدالة الشعرية ، إذ إنه ليس من المعقول أن يتقبل المتفرج الذي جاء خصيصاً للتسلية ، موت بطله المفضل أو عقابه بطريقة أو بأخرى ، في حين أنه يمثل كل معاني البطولة والجرأة والإقدام والشجاعة والتضحية من أجل الآخرين .

الحتمية الفنية

وسواء التزم الأديب بمبدأ العدالة الشعرية أم رفضه ، فإن هناك مبدأ فنياً درامياً يحتم تبرير مكافأة الخيّر ومعاقبة الشرير من داخل العمل الأدبي ذاته . فالعدالة الشعرية لا تطبق بناء على المبادئ الأخلاقية التي يعتنقها الأديب ، وإنما تطبق نتيجة لمحصلة التفاعل الدرامي بين الأضداد والمتناقضات . فإذا تدخل الأديب بنفسه لنصرة الخير على الشر ، فإنه بذلك يفقد القدرة على إقناع القارئ أو المتفرج ، إقناعاً فنياً درامياً . فطالما أن للشر الكفة الراجحة في العمل الأدبي ، فلا بد أن ينتصر على الخير في النهاية ، لأن هذا من شأنه أن يحفز الجمهور على محاربته في الحياة العادية ، وخاصة أن الأديب احترم عقله وترك الأحداث والشخصيات تتفاعل أمامه في تلقائية طبيعية حتى يترك له الحكم الأخلاقي في النهاية . **أما الانتصار الساذج المفتعل للخير على الشر ، فمن شأنه أن يوحي للجمهور ـ بطريقة غير مباشرة ـ بحتمية انتصار الخير برغم كل العقبات ، وهذا إيحاء غير مقنع ، لأن الجمهور يمارس شيئاً مختلفاً تماماً في حياته اليومية .**

روح العدالة الإنسانية

وبصرف النظر عن العدالة الشعرية كمفهوم أو نظرية أدبية ، فإن روح العدالة الإنسانية تكمن بصفة عامة في قلب كل الأعمال الأدبية دون استثناء . أي أنه إذا كانت العدالة الشعرية تحاول التأثير في الأعمال الأدبية على مستوى الشكل والصراع الدرامي ، فإن العدالة الإنسانية تشكل المضمون الأساسي لكل الأعمال الأدبية التي خلدها الإنسان على مر العصور .

وسواء انتصرت العدالة في العمل الأدبي أم انهزمت ، فإن موقف الأدباء تجاهها موحد . إنهم بالطبع يناصرونها ولكن كل واحد منهم بطريقته الخاصة وفي ضوء عصره ومجتمعه .

☆ ☆



إعداد معلمي ومناهج محو الأمية في إطار المفهوم الوظيفي لتعليم الكبار

بقلم : د. فاروق عبد الحميد اللقاني

تشير تقارير الدراسات ونتائج الأبحاث التي أجريت في مجال مناهج محو الأمية وتعليم الكبار إلى أنها ليست على المستوى الذي يمكنها من تحقيق الأهداف المنشودة من ورائها . فقد جاء بالتقرير النهائي للندوة الدولية للخبراء عن تعليم الكبار والتنمية أن هذه البرامج تعاني من فقر في المضمون والطرق ، فكثير منها برامج تقليدية غير عصرية ، أو برامج أجنبية لا تلائم البيئات العربية ، نتيجة لعدم صلتها بمشكلات وحاجات الناس ومطالب التنمية ، كما أن الطرق المستخدمة تعتمد على الاستماع دون أن تتيح للمتعلمين فرصة المشاركة في البحث والاكتشاف بالإضافة إلى الافتقار إلى المعينات التعليمية . كما يشير نفس التقرير إلى أن محتويات هذه البرامج طبقاً لتصور منظمي تعليم الكبار عن احتياجات الدارسين ، بدلا من التعرف على حاجاتهم الحقيقية .

وفي التقرير النهائي لورشة العمل الإقليمية للأخصائيين والمعنيين بإعداد مواد القراءة والمتابعة في البلاد العربية لمنظمة اليونسكو بالاشتراك مع المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي ، دلت دراسة المواد المستعملة في تعليم القراءة والكتابة للكبار في البلاد العربية على « **أن هذه المواد قد حاولت إيجاد علاقة بين مهارات القراءة والكتابة والرياضيات وبين المضمون الفني ومطالب البيئات الاجتماعية المختلفة إلا أنها لم تكن العلاقة الوظيفية الواضحة الأبعاد** ، فلم يكن الأمر يزيد على استخدام الكلمات الشائعة في البيئة الزراعية أو البيئة الصناعية » .

وفي دراسة قامت بها الإدارة العامة لتعليم الكبار لوزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية في عام ١٩٧٨ م ، اتضح أنه رغم وجود مستويين للمناهج ، مستوى أساسي إجباري للوصول بالدارسين إلى مستوى نهاية الصف الرابع الابتدائي ، ومستوى اختياري للناجحين في المستوى السابق يتضمن برنامج نشاط اقتصادي لشغل وقت الفراغ ، إلا أنه اتضح أن فكرة الوصول بالدارسين في فصول محو الأمية إلى نهاية مستوى الصف الرابع الابتدائي لا تزال هي المسيطرة على خطة الدراسة بمراكز محو الأمية من حيث المنهج كما تبيّن من



دراسة التقارير الخاصة بالمتابعة الميدانية لمراكز وفصول محو الأمية على مستوى الجمهورية عدم الجدية في تنفيذ برامج أوقات الفراغ ، وعدم استغلال الوقت المخصص لها على نحو يحقق أهدافها .

وفي دراسة مقارنة للمناهج بين محو الأمية والصف الرابع الابتدائي في مجال **مادة اللغة العربية** ، توصل الباحث إلى أن الدارس في محو الأمية لا يمكنه أن يصل إلى مستوى نهاية الصف الرابع في مادة اللغة العربية بسبب فقر المنهج ، حيث وجد أنه رغم أن الأهداف العامة للمنهجين كانت واحدة إلا أنهما يختلفان في الأهداف الفرعية التي يتفوق فيها منهج الصفوف الأربعة الأولى في المدرسة الابتدائية والتي يتفوق أيضاً في المحتوى تفوقاً يتناسب مع ما بين المنهجين من تفاوت في زمن التعليم (٨٥٣ ساعة لمنهج الصفوف الأربعة الابتدائية مقابل ١٢٨ ساعة لمنهج محو الأمية) ، مما جعل مدة التعلّم في منهج محو الأمية تتسم بالضآلة مقارنة بمادة التعلّم في منهج الصفوف الأولى بالمدرسة الابتدائية حيث كانت نسبة مادة القراءة بين المنهجين على أساس عدد المفردات)[١] .

وفي الدراسة التي قامت بها شعبة محو الأمية وتعليم الكبار حول برامج تعليم الكبار في مصر ، وجد أن مفهوم تعليم الكبار في مصر ما زال ينصب على محو الأمية ، مما يؤدي إلى إهمال نشاط تعليم الكبار بل وإلى إضعاف حركة محو الأمية باعتبارها إحدى حلقات تعليم الكبار .

كذلك كان من بين النتائج التي توصل إليها بعض الباحثين عن أثر الأمية بصفتها معوقاً للإنتاج الزراعي والصناعي في مصر : ضعف البرامج من حيث المحتوى وعدم تحقيقه للغالبية المطلقة من المستجوبين لآمالهم[٢] .

بين المناهج وأهدافها

إن معالجة مشكلة المناهج في أي مجال يتطلب الرجوع إلى الأهداف التي تسعى المحتويات المنهجية إلى تحقيقها ، على أساس أن المحتوى المنهجي يمثل الوسيلة التي يستعان بها لتحقيق ما ننشده من أهداف . وبالنسبة لمحو الأمية وتعليم الكبار نجد أن أهداف التعليم **يجب أن تجمع بين الصالح العام المتمثل في الضرورات القومية ، والصالح الخاص المتمثل في إشباع حاجات الأفراد** ، مما يتطلب دراسة خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية العامة لتحديد مطالب العمل ، مع دراسة حاجات وتطلعات ومشكلات الأفراد حتى تتحدد أهداف التعليم في ضوء أهداف التنمية العامة في المجتمع ، وفي ضوء حاجات ومشكلات المجموعات الاجتماعية المستفيدة بمثل هذه البرامج . **ولكي نقيم هذه الدراسة على أسس علمية سليمة يجب استغلال نتائج دراسات علوم الكبار النفسية والاجتماعية ، مع إجراء دراسات ميدانية على مستوى مختلف مجموعات الأميين في مجتمعنا لبناء المناهج في ضوء ما تكشف عنه هذه الدراسات من رغبات ومشكلات وحاجات وتطلعات لدى جماهير المستفيدين** ، وحتى تتحقق وظيفية التعليم على نحو يحفز الجماهير نحو الالتحاق بالمراكز التي تقدم مثل هذه البرامج .

وفي إحدى الدراسات التي تمت في هذا المجال ، وجد أن الموضوعات التي أشار إليها المشرفون في الإنتاج الصناعي من حيث أهميتها في تطوير البرامج الجديدة للدراسة في فصول محو الأمية والتي يفضلها أيضاً العاملون في الإنتاج الصناعي ، **هي الموضوعات التي تجمع بين الخبرة والمهارة (لزيادة الإنتاج) وموضوعات**

التوعية السياسية والاجتماعية والدينية ، وهو اتجاه يتمشى مع الاتجاه الوظيفي الحديث في مجال تعليم الكبار ، والذي يحقق التكامل بين مهارات الاتصال والجوانب المهارية والسلوكية[٣] .

مراعاة الفروق الفردية

ونظراً لما هو متوقع من وجود فروق فردية بين المجموعات المختلفة من الأميين في مختلف مواقع العمل ، نتيجة لاختلاف نوعية وطبيعة العمل الممارس واختلاف المستوى الاجتماعي بالإضافة إلى عامل الاختلاف في السن ومستويات وأنواع الأميات الشائعة في كل جماعة فإن الأمر يتطلب إجراء المزيد من الدراسات المسحية الميدانية على مستوى مختلف مؤسسات العمل في القطاعات المحلية حتى تحدد الأهداف وتبنى البرامج متدرجة على عدة مستويات لتعالج مشكلات العمل في كل موقع في ضوء سمات الدارسين .

تنسيق الجهود

وإذا كان الاتجاه الحديث للتعليم الوظيفي يجمع بين مهارات الاتصال من جهة وبين الخبرات والمهارات والتوعية من جهة أخرى فإن الأمر يتطلب أن تبنى المناهج وتحدد مكوناتها على يد فريق متكامل ، تنسق فيه الجهود بين الفنيين المتخصصين في المجال الزراعي والصناعي من جهة ، وبين علماء التربية والنفس واللغة من جهة أخرى ، بحيث تحدد مواد مهارات الاتصال في ضوء متطلبات التدريب المهني ، على نحو يحقق التلاحم والاندماج بين كل من التعليم والتدريب ، وحتى يكون التدريب المهني بمهاراته ومعارفه واتجاهاته مرتبطاً بمتطلبات التعليم الوظيفي في وحدة اقتصادية واجتماعية تعكس أهداف خطط التنمية الشاملة في المجتمع .

تعديل الوسائل

وإذا كانت الممارسة الشائعة حالياً في مجال محو الأمية وتعليم الكبار ترتكز على استخدام الكتب المقررة وطريقة التلقين ، فإن الأمر يتطلب **تعديل** مثل هذه الممارسات في ضوء نتائج الدراسات التربوية التي تمت في مجال **الخبرة التربوية** ، وفي ضوء ما يمكن أن يسمى « **بطريقة الارتقاء والارتداد** » ، **بحيث يبدأ التعليم من واقع خبرات الدارسين وما يعانون من مشكلات في حياتهم المهنية والاجتماعية** ، حتى نبدأ من المدخل الذي يثير اهتماماتهم ويحقق جذبهم إلى العملية التعليمية ، ثم نرتقي بهم تدريجياً إلى **مستوى الرموز والتجريد للبحث عن علاج هذه المشكلات في إطار مهارات الاتصال** ، ثم نرتد بما نخرج به على المستوى المجرد إلى عالم **الخبرة العملية** مرة أخرى لعلاج المشكلات وإكساب المهارات مع تحقيق المشاركة الإيجابية من قبل المتعلمين في عملية التعلّم عن طريق التركيز على إشراكهم في الممارسات العملية والقيام بعمل النماذج والخرائط والرسوم التوضيحية **على نحو يجمع بين الفكر والعمل ، وبين النظرية والتطبيق** . وإذا كنا قد أشرنا سابقاً إلى ضرورة القيام بدراسات ميدانية قبل تحديد الأهداف والمحتوى المنهجي ، لتحديد أنواع الأميات الشائعة بين الأميين في كل موقع ومستويات أميتهم ، فإننا نضيف هنا أن مثل هذه الدراسات الميدانية المسحية يجب أن تحدد لنا **مستويات السلوك** في كل مجموعة فيما يتعلق بالجوانب السلوكية الثلاثة : **الجانب المعرفي بمفاهيمه وأفكاره ، والجانب الوجداني بقيمه واتجاهاته وميوله ، والجانب الحركي بمهاراته ومستويات أدائه** ، قبل البدء في تنفيذ البرامج حتى تستخدم هذه المستويات مقياساً لتقويم ما حدث من تغيّرات لدى الدارسين ، وحتى تعدل البرامج والطرق المتبعة في ضوء ما تسفر عنه نتائج التقويم من نمو وتغيّر سواء في مجال المعلومات والمعارف أو في مجال الاتجاهات والقيم والميول أو في ناحية المهارات ومستويات الأداء ، وسواء في المجال المهني أو المجال الاجتماعي ، داخل موقع العمل أو على مستوى المجتمع المحلي أو الأسري : وفي ظل مستهدفات التعلّم الوظيفي بمفهومه الشامل المتعدد الجوانب .

إن إعداد معلمي محو الأمية في إطار المفهوم الوظيفي لتعليم الكبار لا يقل أهمية عن إعداد المناهج نفسها في إطار هذا المفهوم ذلك أن **دور المعلّم في محو الأمية وتعليم الكبار ، يعد حجز الزاوية ومفتاح العملية التربوية ، فهو المسؤول الأول عن معالجة المحتوى المنهجي بالطرق التي تساعد على تحقيق الأهداف المنشودة .**

إن الاتجاه الوظيفي الحديث في هذا المجال من التعليم الذي يرتكز على المزاوجة بين التدريب والتعليم في إطار المفهوم الشامل للتنمية المتعددة الجوانب ، يتطلب معلّماً واعياً بالمطالب المهنية المختلفة بالإضافة إلى المتطلبات التعليمية المتصلة بمهارات الاتصال ، معلّماً واسع الأفق يجمع بين معرفة طبيعة مجتمعه وظروفه وأهدافه



وتطلعاته، بالإضافة إلى إلمامه بمتغيّرات العصر واتجاهاته ومتطلباته الأساسية وما يستلزمه من معارف وقيم واتجاهات ومهارات تساعد على تحقيق الإسهام والمشاركة الفعالة من قبل المواطن في مختلف مناشط الحياة، سواء على المستوى المحلي أو القومي أو العالمي.

اختيار المعلّم

ونظراً لصعوبة الجمع بين هذه المطالب وتوافر وجودها في معلّم واحد في الميدان الواقعي، فقد ظهرت اتجاهات ثلاثة تعالج مشكلة اختيار العناصر الصالحة للعمل في مجال محو الأمية وتعليم الكبار:

الاتجاه الأول يرى الاستعانة **بالمهنيين** في المجال الصناعي والزراعي (كالمدربين ورؤساء العمال أو المرشدين الزراعيين) بعد تدريبهم بما يستكمل أوجه النقص في مجال الشروط التعليمية الواجب توافرها في مثل هذا المعلّم. والاتجاه الثاني يرى استخدام **معلّمي مراحل التعليم العام** بعد تدريبهم وتزويدهم بالجانب التقني المتضمن في المادة التعليمية من ناحية مشكلات المهنة وظروفها ومصطلحاتها وأهم عملياتها على نحو يمكنه من تحقيق الترابط بين **الجانب التقني والجانب التعليمي**. أما الاتجاه الثالث فيأخذ أصحابه **بالجمع بين العناصر الصالحة في كلا النوعين**.

وإذا أردنا أن نقيم ممارستنا في هذا المجال على أسس علمية سليمة، فإنه ينبغي أن نأخذ بما تشير إليه نتائج التجارب الميدانية بالنسبة لاختيار المعلّم الصالح لهذه النوعية من التعليم الوظيفي، حيث أثبتت التجربة أنه «في الأغلب الأعم كان المعلّمون القادمون من نفس الخلفية الأيكولوجية والمهنية للأميين، أكثر نجاحاً في القيام بمحو الأمية من معلّمي المدارس وهو أمر متوقع، ويمكن تفسيره ليس فقط على أساس إلمام مثل هذا النوع من المعلمين بالمطالب المهنية لهذه البرامج، في مجال المعرفة والمهارات والقيم والاتجاهات، وإنما أيضاً على أساس أن **مثل هذا النوع من المعلمين يلق قدراً من تجاوب الدارسين واستجاباتهم أكثر مما يلقاه المعلّم الخارجي**، بسبب فهم الأول لظروف الجماعة وما تعانيه من مشكلات على المستوى المهني والاجتماعي وما يعاني منه الأفراد من أوجه قصور في مجال أنواع الأميات الشائعة بحكم معايشته وتفاعله المستمر معهم في إطار موقع العمل وخارجه».

وتشير الدراسات التي أجريت حول جمهور المعلمين العاملين في هذا المجال إلى أن هذا العمل قد أصبح مهنة من لا مهنة له بسبب القواعد الموجهة لعملية اختيار العناصر التي تكلف بهذا العمل، بحيث فقدت هذه المهنة نظرة الاحترام والتقدير الذي يتناسب مع خطورة وأهمية هذه الرسالة الوطنية، وذلك لعدة أسباب: أولها **السمة الغالبة** على جمهور المعلمين في هذا الميدان، حيث إن معظمهم من حملة الشهادات المتوسطة أو ما دونها. وثانيها **انعدام الإعداد** المتخصص للعاملين عن طريق المؤسسات المتخصصة والاكتفاء بتدريب سطحي قصير يسبق ممارسة العمل، وثالثها **ضيق المجال** الذي تمارس فيه عمليه التعليم، والذي يقتصر على هدف واحد وهو **محو الأمية الأبجدية**، مما أدى إلى جعل النظرة إليه مساوية للنظرة إلى معلم الصغار في المرحلة الأولى، وأخيراً **ضآلة الحوافز** والأجور التي تقابل القيام بعملية التعليم، مما أثر على النظرة الاجتماعية إلى العاملين في هذا الميدان، وهو أمر من شأنه أن تكون له آثاره النفسية على نظرة المعلّم نفسه إلى مدى أهمية عمله وعلى درجة إخلاصه فيه. ولكي تتغيّر النظرة إلى هذه النوعية من المعلّمين وتحظى بالقدر اللائق من التقدير والمكانة بما يتناسب مع أهمية هذه الرسالة الوجيهة، يجب أن نغيّر في سمات ونوعيات الممارسات المتبعة في هذا المجال بحيث **يختار المعلّمون من بين حملة المؤهلات العليا**، من بين العاملين في نفس الموقع الذي نسعى إلى محو أمية أفراده، وأن **ترفع فئات الحوافز** المخصصة لهم لجذب العناصر الصالحة للعمل في هذا الميدان، وأن **توسع ميادين ومستويات هذا النوع من التعليم** بحيث لا تقتصر على مجرد محو الأمية الأبجدية، بل تتعداه لتشمل الإطار العام للتعليم بمفهومه الوظيفي، الشامل لجميع أنواع الأميات، عن طريق مناهج متدرجة المستويات، ومتنوعة بتنوع البيئات، ومستخدمة أحدث ما في التكنولوجيا التربوية من أساليب وأدوات.

ونظراً لأن نتائج الدراسات تشير إلى أن العاملين في هذا الميدان ينظرون إلى عملهم على أنه عمل مؤقت وليس مهنة حياة مستديمة، وحيث إن هذا الاتجاه يؤثر على درجة التقدير الاجتماعي لهذا العمل، بل وعلى اتجاهات العاملين أنفسهم إزاءه نتيجة اعتباره مجرد خبرة عابرة مؤقتة في تاريخ حياتهم المهنية، أو عملاً إضافياً يمكن التخلي عنه في أي وقت، مما يؤثر على ما يتطلبه هذا العمل من جدية وإخلاص في الممارسة، فإن الأمر يتطلب إعداد **كوادر متخصصة** تتخذ من مهنة تعليم الأميين والكبار مهنة أساسية مستديمة، ولن





يتحقق هذا إلا إذا تغيّرت النظرة إلى هـذا النـوع من التعلم من قبل المسؤولين ، إذ من الملاحظ على جميع الممارسات القائمة حالياً في هـذا المجال أنهـا ترتكز على اتجاه غير واقعي ، بـل ومنـاقض لمفهـوم التعليم الوظيفي للكبار باتجاهاته الحديثة .

أمّا بالنسبة للاتجاه غير الواقعي نجده يتمثل في النظر إلى عمليات محو الأمية وتعليم الكبار على أنها « حملات » ، وهي نظرة تعترف ضمناً بالصفة المؤقتة التي تجعل كل حملة تنتهي بتحقيق أهدافها ، بينما واقعنا التعليمي يشير إلى أن هذه العملية تتطلب **الاستمرارية** في العمل بشكل دائم ، إذ إنه طالما كان هناك عجز عن استيعاب جميع من هم في سن الإلزام في مؤسساتنا التعليمية ، وطالما استمرت ظاهرة التسرب في التفشي ، وطالما استمرت عمليات الارتداد إلى الأمية ، فإن الحاجة إلى عمليات محو الأمية وتعليم الكبار ستظل قائمة ومستمرة باستمرار مصادر ومنابع الأمية في المجتمع .

أما بالنسبة لارتكاز الممارسات المتبعة حالياً على اتجاه مناقض لمفهوم التعليم الوظيفي للكبار باتجاهاته الحديثة ، فإن هذا يتضح فيما نلمسه من تحديد زمني لتوقيتات البداية والنهاية في هذه الحملات ، مما يعطي الانطباع بأن هذه الحملات تتم مرة واحدة في خلال فترة زمنية محددة من تاريخ حياة المجتمع لتتوقف بعدها ، بينما نجد أن الاتجاه الحديث لمفهوم تعليم الكبار يستهدف تحقيق التعلّم المستمر والتربية المستديمة مدى الحياة ، والتي تمكن الكبار من ملاحقة تغيّرات العصر ومعايشة حضارته ، وطالما أن الحضارة المعاصرة والمجتمع العالمي المعاصر تسودهما ظاهرة التغيّر المستمر الذي تتزايد درجة سرعته يوماً بعد يوم ، فإن الحاجة إلى محو الأمية الحضارية ، عن طريق تعليم الكبار ، ستظل قائمة ومستمرة استمرار الحياة على هذه الأرض .

إذا تحققت لدينا هذه القناعة بحتمية استمرارية عمليات تعليم الكبار على الأساس المنطقي السابق ، فيجب أن يواكب هذه القناعة اتجاه جديد في مجال إعداد معلمي محو الأمية وتعليم الكبار ، بحيث تقوم المؤسسات التربوية المتخصصة بإعداد الكوادر الفنية لتأهيلها للعمل في هذا الميدان ، **وهذا يقودنا بدوره إلى المسؤولية التي يجب أن تلقى على عاتق كليات التربية للقيام بدورها في هذا المجال ، عن طريق إنشاء قسم خاص بتعليم الكبار بكل كلية منها تتحدد مهامه على النحو التالي :**

أولاً ـ بناء برنامج تدريبي قصير المدى : يستهدف إعداد المدربين المهنيين في مجال الصناعة والمرشدين الزراعيين في مجال الزراعة ، والمكلفين بالخدمة العامة وحملة المؤهلات العليا من المجندين ، لتأهيلهم للعمل في مجال التعليم بمراكز وفصول محو الأمية وتعليم الكبار ، على أسس تربوية ومهنية سليمة ، لا سيما وأن الدراسات قد أشارت إلى أن التدريب الأولي القصير المدى ، الذي يعقبه تدريب مستمر في أثناء الخدمة (عن طريق الدورات الدورية للتقويم وملاحقة الجديد) أفضل من التدريب الأولي المطول الذي لا تعقبه متابعة . ولكي تتحقق لمثل هذا البرنامج مقومات النجاح ، يجب أن يتصف بالشمولية ، بحيث لا يقتصر على إعداد المعلّمين في هذا الميدان ، بل يجب أن يشمل جميع المتصلين بالعمل في هذا المجال ، من قيادات ومخططين ومنظمين وإداريين وعاملين .

ثانياً ـ إعداد خطة دراسية طويلة المدى في شكل مناهج تؤهل للحصول على شهادات ودرجات علمية ، تتضمن برامج لدراسات لإعداد كوادر فنية متخصصة على المستوى الجامعي ، لإعداد جميع نوعيات العاملين في هذا الميدان ، بمختلف تخصصات أعمالهم ، سواء على المستوى القيادي أو الإداري أو التخطيطي أو التعليمي ، على أساس دراسات تتناول مختلف مجالات تعلم الكبار ، وما يتصل بها من أسس علمية لإعداد متخصّصين في هذا المجال ، واعين بالخصائص النفسية والاجتماعية للكبار ومبادئ وطرق تعليمهم ، وما ينبغي أن ننشد من وراء تعليمهم من أهداف ، في ظل عالمنا المتلاحقة تغيّراته ، وفي إطار المفهوم الوظيفي لتعلم الكبار واتجاهاته ، ومبادئ التربية المستديمة والتعلم المستمر .

ثالثاً ـ تعديل التقويم في المناهج الدراسية لطلاب الفرقتين الثالثة والرابعة فيما يتعلّق بمادة أعمال السنة ، بحيث يخصص جزء من درجتها في مقابل قيام كل طالب بمحو أمية عدد محدد من الأميين من واقع الإحصاءات التي تقوم بها أجهزة الإحصاء على أن تتضمن هذه الإحصاءات تحديد مواقع الأميين بكل منطقة لتسهيل التعرف عليهم والاتصال بهم .

رابعاً ـ القيام بالدراسات الأكاديمية والأبحاث الميدانية لترشيد الممارسة في مجال هذا النوع من التعليم ، على أساس النتائج التي تتوصل إليها في مختلف الميادين ابتداء من فلسفته العامة الموجهة له إلى أسس التخطيط له إلى حاجات ومشكلات الدارسين ونظريات بناء مناهجه ، وطرق وأساليب تقويمه ، وأهم مشكلاته وأمثل الطرق والأساليب الفعالة في التغلب عليها ، لا سيما وأن بعض الدراسات تشير نتائجها إلى وجود نقص كبير في مختلف النواحي التي تتعلّق بتعليم الكبار بصفة عامة ، وفي مجال برامج تعلم الكبار بصفة خاصة .

إن تحقيق مثل هذا التحول في مجال إعداد العاملين في هذا الميدان في إطار المؤسسات التعليمية الجامعية المتمثلة في كليات التربية **سوف يساعد على الارتقاء بمستوى هذه المهنة ، ويؤدي إلى ارتقاء نظرة التقدير الاجتماعي لها ،** كما أن من شأن توحيد مصدر الإعداد أيضاً لتأمين وجود فلسفة عامة موحدة توجه برامج الإعداد وتزيل ما تتسم به الممارسات الحالية من ضحالة وتناقض وتفاوت بين مستويات إعداد العاملين بشكل يؤثر على العائد النهائي الذي نتوقعه من وراء هذه العملية الشاملة .

الهوامش

(١) محمد محمد القاضي : المنهج بين محو الأمية والصف الرابع .

(٢) رشدي فام وآخرون : الأمية معوقاً للإنتاج .

(٣) المرجع نفسه .

لقاء العدد



الدكتور إبراهيم العواجي

أجرى الحوار: محمود رداوي

الشعر.. والقصيدة الحديثة

▶ القصيدة بلا تفعيلة أو موسيقى.. كاتبها متسلق على الشعر، بدون أدوات أصيلة !!

▶ الغموض في الشعر جزء من العمل الفني.. وقد يدل على نقص في النضج !!



★ د. إبراهيم العواجي ★

الشاعر الدكتور إبراهيم العواجي واحد من أعلام المملكة العربية السعودية، ليس في المجال الإداري أو الأكاديمي الذي تخصص به فحسب، وإنما بصفته شاعراً له مساهماته ومشاركاته في الحركة الأدبية في المملكة منذ أكثر من ربع قرن.

فهو شاعر نظيف الفكر والتصور والرؤيا والمطلب.. يحاور الحياة الفكرية والشعورية والأدبية من خلال تلك النظافة. في شعره تحديث للشعر الأصيل القديم. وليس الشكل الشعري لديه هو الذي يحدد هويته الشعرية، إذ نجد شعره العمودي يضج بروح العصر وحداثته.. كما قد نجد شعر التفعيلة عنده يصرخ بأصالة الشعر العربي القديم وتقاليده الراسخة.

من يقرأ شعره يحس بعمق رومانسي، وتشخيص وحلول في نبض الطبيعة، وتلمس لأسرار الحياة.. وإلباس مظاهرها لبوس النفس الإنسانية في أوج تقلباتها، وإسقاط هموم العرب عليها. كما يحس قارئ شعر العواجي بإثارة قومية تنأى عن الضجيج أو الانتقال الحماسي التقليدي، وتتأتى من خلال الاستصراخ الفني الهادئ. وحتى القيم المادية يتمنى لها ألا تطغى على الفكر والحضارة.

وإذا كان له هذا الموقف من تلك القضايا القومية والحضارية، فإن له موقفاً آخر محدداً وأصيلاً من قضايا عديدة تدور في الساحة الأدبية السعودية وبخاصة: الشعر والحداثة والغموض واللغة والقارئ وعملية التوصيل، وقضايا أخرى تحدث عنها من خلال حوارنا معه.

القارئ .. والشاعر

●● ماذا يريد القارئ من الشاعر .. وماذا يريد الشاعر من القارئ ؟؟

● القارئ يريد من الشاعر : الصدق ، والمشاركة الوجدانية من خلال المعنى والصور الشعرية . والقراء في هذا المجال نوعان : القارئ العام يريد القصيدة الواضحة ، المباشرة ، التي تشعره بأنها تعبير عن نفسه ، وتثير أحاسيسه واستجاباته .

والقارئ الخاص من فئة المثقفين والنقّاد الذي يريد القصيدة عميقة ، رمزية ، ذات أبعاد إنسانية ، تنقله إلى ما وراء الواقع أو ما دون الواقع ، أو تنقل الواقع خلف أسوار اللفظ والصورة . هذا هو قارئ القصيدة الحديثة بشكل أوسع ، وهو الذي ينتظر من الشاعر أن يكتب معاناته الفكرية والنفسية ، ويحرك منظوره الفكري ، ويملأ ذهنه بالأسئلة .

أما الشاعر فعلاقته بالقارئ علاقة أعمق ، لأن المتلقي هو مرآة الشاعر ، وهو ــ أي الشاعر ــ ولو كان يكتب لنفسه ، فلأنه يرى أن القارئ هو نفسه . يريد من القارئ المشاركة ، والاستجابة ، وردود الفعل ، والتسامح . يريد منه أن يحس به ولو صامتاً ، لأن **القارئ هو مسرح الشاعر ، وعالمه ، وجمهوره ، ونقده ، وحبه ، وهو مصدر** قوته وضعفه ، وأمله وخوفه .

الحداثة

●● ما مفهومكم للحداثة في الشعر ؟!

● الحداثة في كل شيء عملية لازمة ، لا يمكن الهروب منها أو نكرانها ، لأنها حقيقة .

وكنا قبل عصر الاتصال الحديث ننظر للحداثة في الأشياء على أنها « بدع » ، وجه آخر للعملة نحرص ، ونستطيع أن لا نعترف بها ، أما اليوم فهي وجهي العملة لا نستطيع التنكر لها .

وفي الشعر اختلط مفهوم الحداثة بين عملية التجديد في صيغة الشعر العربي ، وبين الاستعارة الكاملة : اللفظية والشكلية . وهكذا اختلط أسلوب طرح المشكلة إن جاز التعبير . فالقصيدة الحديثة في تعبيرها وصورها ، وعالمية الأداة فيها . . التقليدية في شكلها . . عمل مطلوب للحفاظ على حيوية الشعر العربي وفعاليته . والقصيدة المماثلة باستثناء الخروج الجزئي على الشكل ، أي التي تحتفظ بالتفعيلة والقافية وموسيقى القصيدة العربية المميّزة .

هذان النمطان حديثان ، ولكنهما يؤكدان عالمية القصيدة العربية ، ومواكبتها للحداثة في كل شيء . والذين يعترضون عليهما فئة تعيش في كهف مغلق ، ترفض أن تعترف بحركة العمران خارجه ، لأن أدوات وعيها جامدة ، ضعيفة وعاجزة .

ويجب على الذين تتاح لهم مسؤولية حماية الأدب العربي طردهم خارج ساحة الطرح ، لأنهم يخلقون أجواءً إحباطية تفرز لغة غير ملائمة للعصر ، ويملأون الساحة بنقاشات مربكة ، ومضيعة للوقت .

أما النوع الثالث من القصيدة الحديثة الشائعة على الساحة الأدبية العربية ، وهي التي تحمل من خصائص القصيدة العربية شيئاً ، يأتي شكلها شاذاً : لا تفعيلة أو موسيقى أو تحريك لفظي ، ومضمونها لا ينتمي للروح العربية ، أو الجدلية الفكرية العربية في مدها القديم ــ الحديث ، فهي دخيلة ، أو ترجمة رديئة للأعمال الأدبية غير العربية ، وكاتبوها متسلقون على الشعر ، بدون أدوات أصيلة للتسلق . ويجب أن يعاملوا مثل الفئة الرافضة للقصيدة العربية الحديثة ، أي أن يطردوا من منابر الأدب العربي .

د. إبراهيم محمد العواجي .. [illegible]

● من مواليد الرس ــ المملكة العربية السعودية عام ١٣٦٠ هـ .

● دكتوراه في الإدارة العامة ــ جامعة فرجينيا .

● يجيد الإنجليزية ، وشيئاً من الفرنسية .

● عمل كاتب صادر ، ثم مساعد مدير مكتب وكيل وزارة المواصلات ، فساعد مدير مكتب وزير المواصلات ، ثم وكيل وزارة الداخلية المساعد ، ثم وكيل وزارة الداخلية .

● يعمل حالياً وكيلاً لوزارة الداخلية بالرياض .

● شارك في عدد من المؤتمرات العربية والدولية .

● له عدد من الكتب في الإدارة .

● وله مجموعة أبحاث في الإدارة والتنمية والتغيير الاجتماعي .

● وله مجموعة من القصائد الشعرية المنشورة في الصحف والمجلات .

القيود .. والشاعرية

●● أصحيح أن القواعد والأشكال والأنظمة والقوانين تحد من الحساسية الشعرية ، أو من شاعرية أي شاعر ؟؟!

● نعم .. ولا .. ! ، إذا كان المقصود أن هذه الأطر التي تتحكم في السلوك تحد من عطاء الشاعر ، فهذا مرفوض ، لأن الشاعر الأصيل لا يقبل القيود ، لأن القصيدة الأصيلة لا تخضع للتوقيت ، ولا تنتظر الظروف الملائمة لكي تخرج ، ولا تعترف بالتأطير والتكيف ، لأنها تخرج متى جاءت صورة في ذهن الشاعر كاستجابة لموقف ، أياً كان .

أما شعر المناسبات فنعم ، لأن قصيدة المناسبة تصنع بما يتلاءم مع مجمل الظروف وعناصر الواقع .

أما إذا كان السؤال يتعلق بالنشر ، للانتشار أو الإعلان عن القصيدة ، فإنها جميعها تتأثر بالأشكال هذه . ولكن **متى كانت القصيدة تستأذن العقل لتفرض نفسها على الذاكرة أو الورق ؟!** ، وهل الانتشار شرط لكتابة القصيدة الأصيلة ؟ صحيح إن القصيدة تكبر وتخلّد وتزهر بالانتشار ، ولكنه غير لازم مبدئياً للقصيدة . الحرمان من أهم مصادر الأعمال الشعرية المعروفة للآن في كل الأزمان والأوطان .

الغموض في الشعر الحديث

●● كيف تنظرون إلى قضية الغموض في الشعر الحديث ؟!

● الغموض في الشعر كالغموض في الأعمال الفنية الأخرى ، لون من ألوان التعبير ، وكلما اتسعت دائرته ضاق حجم جمهوره . وقد يكون مقصوداً ، وهو في هذه الحالة جزء من العمل الفني نفسه . وقد يكون نتيجة لنقص في نضج الشاعر أو الفنان .

وهو في أية حال حق مشروع للشاعر ، وعندما يعتمد هذا الأسلوب أو يتصف به ، فإنه يدرك محدودية التأثير الكمي لعمله .

وأنا أرحِّب بالغموض الواضح ، أي ذلك الذي يضفي على القصيدة عمقاً إنسانياً ، ويثير الجدل ، ويمكن اكتشافه بجهد أقل ، لأنه جزء من ديناميكية القصيدة .

الشاعر .. والتوحد

●● كيف يمكن للشاعر أن يكون صوتاً مميَّزاً له فرديته أو توحده ؟!

● إذا كان صادقاً مع نفسه ، واستبعد التقليد ، واتجه إلى نفسه ، واستطاع أن يرى

لا يشرى الحب — **شعر : د . إبراهيم العواجي**

العين المتعبة الخرساء
يغالبها الأعياء
تقاوم إغفاءات النوم الأبدية
ونداء اليأس
تردده الأصداء
يغازل ريح الصحراء الرملية
والليل يخيم فوق ركام القرية
ثكلى
يدق بأيدي باردة غربية
وأنين الأرض
المنحورة فوق جدار الشهوة
تستجدي حشرجة الإجهاض
الأزلية
والطفل
الضائع بين براءات الحلم
وتفاهات الأشياء
المرسومة فوق وجوه
خشبية
وعويل الشاعر
يلهث مبحوحاً
مهزوماً
يرثي ملحمة الأمس
ونداءات الفخر
الشعبية
وعواء الريح
يداعب أكواخاً
حبلى بالبؤس
وشجون النقمة
والأسماء العربية
ويد ، راعشة
تقبض بالغليون
المحشو هذاراً
تمتد لتسرق آثاراً
محمية
ويد أخرى
مثقلة بالقيد
يراودها الحلم
بأن تكتب إفلاس التاريخ
بأيدي شرقية
ونعيق يستجدي اليأس
مصيراً
ويبشر أن رياح الإنقاذ
رياح غربية
وعلى منضدة اللعبة
يجتمع الأضداد .. جهاراً
كي يقتسموا الكون
مجالات حيوية
وعلى مقربة ..
شيخ يمتهن التاريخ
ويدرك معنى الأضداد
يردد أقوالا منسية :
لا يهزم شعب
إن شاء صموداً
لا يشرى الحب ..
أو تغتال ..
الآمال البشرية ..

☆ ☆

العالم ومصادر معاناته أو إبداعه من خلال نفسه .. إذا ما حاول اكتشاف فرديته وتميّزه .. إذا ما اعتبر أنه مبتدئ من الصفر .

الشاعر .. واللغة

●● كيف ينظر الشاعر إلى اللغة .. وهل ثمة وضع خاص في التعامل مع اللغة في إعادة تنظيمها وإخراجها بصياغات فنية جديدة .. وكيف يتم ذلك ؟؟!

● اللغة هي الأداة المباشرة والفاعلة لعمل الشاعر . هي قوته ، وضعفه ، هي الوعاء الذي يحمل كل مشاعره وأحاسيسه وانفعالاته ، وأطروحاته .

لذا ، نرى كثيراً من الشعراء ـ أو الكتّاب ـ بالرغم مما يحملونه من أحاسيس وأفكار معطاءة لا يستطيعون أن يكونوا متميّزين بسبب عامل اللغة .

اللغة قوة هائلة يعتمد النجاح في توظيفها على قدرة الشاعر لمعرفة أسرارها ، وإمكاناتها ، وإلا فهي شيء جامد . واللغة العربية بصفة خاصة مميّزة بقدرتها على مد الشاعر بشتى الأدوات التعبيرية إذا ما عرفها .. وعرف كيف يستفيد منها .

والمسألة مسألة موهبة ومهارات وجهد في اكتشاف خباياها وظواهرها .

قيثارة الشاعر

●● ما قضية الشعر لديك بصفتك شاعراً ؟!

● الشعر لدي : موقف خاص ، فهو صديقي ولوحتي وقيثاري ، وسلاحي وطبيبي النفسي ، وهو أقرب الأشياء إليَّ .

السيادة للشعر

●● يلاحظ المتابع

هجرة قمر

شعر : د . إبراهيم العواجي

أهجرت بلادك يا قمر
وسهولا كنت تناجيها
وحقولا في ضوئك حالمة
وصحارى كنت تسليها
وقوافل تختال على مهل
تستهوي التيه ويهويها
أتركت السمّار بلا سمر
ورعاة العيس وحاديها
وزفاف القرية ملحمة
للحب وصفو أهاليها
من ذا يحييه إذا غربت
شمسٌ وتعتّم واديها
ماذا أسرى بك يا قمر
عن أرض كنت تواسيها
أثلوج « الألب » وقمتها
أغرتك « إفرست » أعاليها
ورحلت بصفوك دون أسى
أترى أسلتك غوانيها
ونسيت العشاق بقريتنا
ونجاوى كنت تناغيها
وتركت مراتع كنت بها
رمز الأسفار وهاديها
الأنك تخجل يا قمر
من حالٍ حلَّ بواديها
ومن الإحباط يلاحقها
ويعشش فوق روابيها
أم أنك تأنف يا قمر
أن تفضح عمق مآسيها
وتعرّي زيف مظاهرها
وتبيّن فرقة أهليها
أم أنك ترفض يا قمر
أن تصبح ضمن مواشيها
ويصير ضياؤك مركبة
يلهو السمار بناديها

للحركة الأدبية في المملكة طغيان الشعر على غيره من الأشكال الأدبية ، بم تفسرون ذلك ؟!

● أولا ، لأن الاهتمام بالشعر تراث عربي أصيل ، ولأن الشعر هو ملحمة الفولكلور الشعبي على مر العصور .

وثانياً ، لأن الأدب السعودي لا يزال عاجزاً عن اقتحام الموضوعات الأدبية الأخرى بنفس القوة .

وثالثاً ، لأن الشعر مادة خصبة ومرنة ، يستطيع الكثيرون التعامل معها والتعبير بواسطتها . وأخيراً ، لأن مجال النشر مفتوح لكل ما يسمى شعراً ، بدون غربلة ؛ إذ لا يحتاج من يكتب شعراً إلى بذل جهد للدخول إلى النادي ، فالأبواب مشرعة ، ولا توجد أرقام خاصة للأعضاء .. خلافاً للقصة أو التحليل الاجتماعي أو النقد .. إلخ .

المجلات الثقافية

●● تشكو المجلات الثقافية السعودية من سلبية الكتّاب السعوديين وعدم التعاون معها .. ما صحة هذه الشكوى .. ولماذا ؟!

● لاختلاط الساحة الأدبية بكل أنواع المتسلقين من جهة ، ولتوقف الفئة الأولى عن العطاء ، إما لانشغالها بالحياة ، أو لعجز بعض أفرادها عن التفاعل مع متطلبات العمل الأدبي في مجتمع متطور ، متغيّر ، معقد .

أصداء المساء

شعر : د. يوسف حسن نوفل

إن سرى في الكون صوت فيه أنفاسٌ حزينهْ
واكتوى بالهجر قلبٌ في الدّجى يبدي أنينهْ
بيْن آهاتٍ تواسيه ، وتشكوك حنينهْ
ودموع فوق خدٍ أنت فيها لي مدينهْ
ذاك صوتي يا هواناً .. فيه أنّات رزينهْ
يشرح القلبَ الذي يتّم قلبي ، وشجونهْ
وفؤادي الصبُّ معتلٌ ولا ينفي ظنونهْ
أنتِ فني وشرودي ، أنت لي عطر وزينهْ
وسروري بين إيواءٍ لِطَيْفٍ تصطفينهْ
همت فيه ، لست أدري لِمَ أحببت الضنينهْ ؟
هاجت الأشجان في نفسي وما زالت رهينهْ
حيّرتني ، عذبتني ، وهي كانت لي قرينهْ
عاش فيها القلبُ دوماً ، وهو يشكوك شجونهْ
أنتِ أنشودةُ حبّي ، أنتِ أنوار المدينهْ
أنتِ آمالي ونفسي ، أنتِ ألحاني الحزينهْ
أيّ سحر في عيونٍ قد تغشّيت سجونَهْ
فسهرت الليلَ في شوق لفجر ترسلينهْ
علّني ألق محيّاك فأستلّ غضونَهْ



بدايات

المصعد

هو وسيلة النقل الرأسي بين طوابق المبنى.

يتكون من عربة مغلقة، يحفظ توازنها ثقل مقابل، وتترك بواسطة حبل متين، ويعمل بالكهرباء.

كانت المصاعد المبكرة تعمل بطاقة الإنسان، مستخدمة طريقة السحب إلى أعلى Pull up، وحبال تحكُّم تنفذ من العربة. ولا تزال بعضاً من هذه المصاعد موجودة ـ لكنها نادرة ـ في مصاعد البضائع والروافع التي يستخدمها عمال البناء.

أول مصعد يعمل بالكهرباء ظهر في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وكان يستخدم الطاقة الهيدروليكية من خلال مكبس ram موصول يقوم بحمل العربة ويعمل بضغط الماء.

ومع نهاية القرن الماضي، اتضح الارتباط بين كل من مستقبل صناعة المصاعد، وتطور استخدامات الطاقة الكهربائيه. على أن المصاعد لم تستخدم المحركات العالية السرعة ـ التي تعتمد على تحريك العجلة الرئيسية بواسطة صندوق التروس gear ـ إلا في عشرينات قرننا الحالي. وقد أصبح هذا النوع من المحركات، مستخدماً في أغلب المصاعد التي يتطلب استخدامها العمل بسرعة أكبر. ومن ثم أثبت المحرك الحالي من صندوق التروس عدداً من المزايا في مجالي السرعة، وانخفاض نفقات التشغيل.

أما العامل الحاسم في صناعة المصاعد فهو وزن المحركات.

ففي برج مكتب البريد (أعلى مباني لندن)، بلغ وزن كل من محركي مصعديه ثمانية أطنان، كما أمكن تصنيع محركات أكبر حجماً وكفاءة، وهي التي تم تركيبها في المبنى الجديد لبنك ناشيونال وستمنستر بمدينة لندن أيضاً. وتتراوح سرعة مصاعد هذا النوع بين ١٨٣ و ٤٢٧ متراً في الدقيقة الواحدة، وهي التي ينتشر استخدامها في ناطحات السحاب في الولايات المتحدة الأميريكية.

هذا، ويمكن القول إن المصاعد الحديثة لا تزال محتفظة بالكثير من مواصفات المصاعد المبكرة، باستثناء عدد من التجديدات مثل:

●● استخدام مواد جديدة، كالبلاستيك والصلب غير القابل للصدأ، في صناعة العربة.

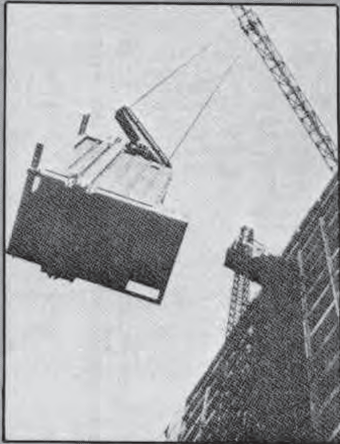
●● تغيير نظام التحكم في حركة المصعد وفقاً لمتطلبات السرعة وكفاءة المتحرك إلى الارتفاعات الشاهقة.

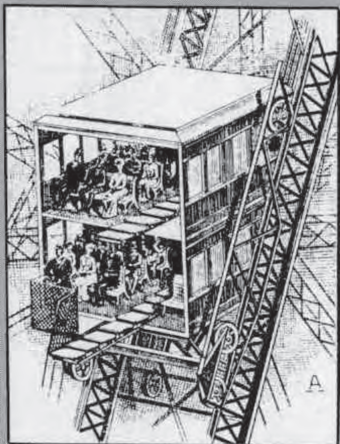
●● تطوير نظام عمل أزرار التشغيل والإيقاف في كل من المركبة ومحطة الوقوف.

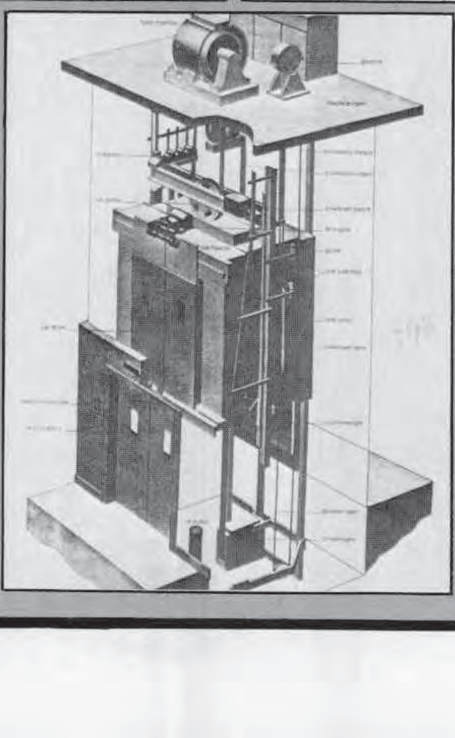
●● الحركة الآلية لصعود المصعد وهبوطه وتوقفه.

●● حركة فتح وغلق الباب.

●● وأخيراً، ضمان أكبر قدر ممكن من السلامة والتأمين، ضد الحوادث والحريق ومعدل تجدد الهواء داخل عربة المصعد.







نقطة التحول في الشعر اليوناني المعاصر

بقلم: د. نعيم عطية

«نقطة التحوُّل» ديوان صغير أصدره عام ١٩٣١م، شاعر يوناني شاب، لم يسبق له أن قدَّم عطاءً يذكر. وكان هذا أول ديوان له بعد بضع قصائد متناثرة في مجلات أدبية مغمورة. ولم يتلق الشاعر الشاب جورج سيفيريس على ديوانه هذا من النقَّاد سوى القليل جداً من المديح، فلم يلتفت إليه إلا اثنان منهم. أولهما ناقد شاب آنذاك هو أندرياس كاراندونيس الذي سبق له أن كتب دراسة متعمقة عن شيخ شعراء اليونان بالاماس. أما الثاني فكان صديقاً لسيفيريس. ومتحمساً بدوره للتجديد في الأدب اليوناني كله شعراً ونثراً. وكان هذا الصديق هو جورج ثيوتوكا، الذي كتب مقالة تعتبر تحية إلى الشاعر المجدد، واكتشافاً حقيقياً لبذرة التجديد الكامنة في شعره. على أن الذي بعث الرضا في قلب الشاعر حقاً كانت الرسالة الرقيقة الموجزة التي بعث بها إليه شيخ الشعراء بالاماس عندما تلق ديوانه. وقد بدأت الرسالة ببعض النقد المغلّف في أسلوب مهذب – ربما لأن بالاماس كان صديقاً لأبيه أستاذ الأدب والسياسة – واختتمت بوصف قصائده، بأنها همسات صوفية حافلة بالأسرار.

مسار الشعر اليوناني الحديث

في هذا الديوان الصغير – الذي أضحى لعنوانه فيما بعد دلالة – كمنت خطورة تهددت شعر بالاماس الذي تربع على عرش قلوب اليونانيين ولقّب **«بشاعرهم القومي»**، فقد كانت **«نقطة التحول»** رياحاً تهب على الشعر اليوناني الحديث لتقتلع كثيراً مما هو مستتب في تربته من جذور. فقد اجتمعت في **سيفيريس** من الصفات ما كان من شأنه أن يكون نقطة تحوّل فعلاً في مسار الشعر اليوناني الحديث. فقد توافر في هذا الشاعر الشاب الإلمام بالأدب اليوناني قديمه وحديثه، فضلاً عن ثقافته الأوروبية الرحيبة بفضل دراسته في الخارج، مما مكّنه من أن يقف على أحدث ما يقدمه الشعر الغربي المعاصر، ومن أن يصبح قادراً على التحرر من آثار قيود التقاليد القومية التي بليت واستنفدت أغراضها ومع ذلك ظلت تستبد بالذوق اليوناني المعاصر. وقد كان من حسن حظ هذا الشاعر الشاب، ومن حسن حظ الشعر اليوناني الحديث كله، أنَّ ظِلَّ **بالاماس** لم يُغَطِّ عيني **سيفيريس**، ويحجب عن ناظريه الرؤى البعيدة التي يجب أن يسير إليها الشعر، ولنستمع إلى سيفيريس يقول في أخريات إحدى قصائده بديوانه **«نقطة التحوّل»**:

«لا أستطيع أن أحيا
على الدوام مع طواويس
ولا أن أسافر ليل نهار
في عيني جنية خشبية بمقدمة سفين».

الفهم والوضوح

قالوا في ذم هذا الشاعر الحديث إنه **غير واضح**، **وغير مفهوم**. والحق إنه شعر مبهم ولكنه في النهاية مفهوم. ولم يكن الوضوح

نقطة التحول في الشعر اليوناني المعاصر

هدفاً لشعر **سيفيريس** الجديد لأنه أراد أن يغوص مع صنعة الشعر إلى أعماق أكثر ضبابية في النفس الإنسانية وأيضاً في الحقيقة الإنسانية ، ومن هنا حققت قصائد **سيفيريس** ما تحققه قصائد الشعر الحديث بصفة عامة من صدمة مزلزلة للعقل ، لأنها تعرض عنه إلى ما يمكن أن يسمى « **بالحدس** » ، وأيضاً إلى ما يسمى « **بالعقل الباطن** » ، و « **تيار الشعور** » . وقد اقتفى **سيفيريس** في كثير من قصائده خطى « **السيرياليين** » فقدَّم عديداً من الصور الطلية المستخلصة من أغوار النفس مغلفة بالضبابية المألوفة في مثل هذه الصور الشعرية . كما أن قصائده تجري على مستوين : **المستوى الأول** هو ظاهر القصيدة التي تبدو به للقارئ لأول وهلة ، **والمستوى الثاني** هو باطن القصيدة أو جوهرها ، فما يلبث القارئ متى تغلغل في أعماق القصيدة أن يكتشف معنى أو عالماً آخر غير ما بدا في ظاهرها . وعلى سبيل المثال في قصيدة **سيفيريس** المعنونة « **الذكرى** » نعتقد عند قراءة الأبيات ظاهرياً أننا بإزاء قصيدة غزلية ولكن متى نزلنا درجات هذه القصيدة إلى أعماقها وجدنا أن الأمر فيها إنما يتعلق بنوع من الحوار الروحي بين الشاعر وبين كينونة مبهمة ، قد تكون حقيقة الشعر ذاتها .

في كواليس الفن

لقد تضمنت « **نقطة التحوّل** » إيماءات إلى تطلعات **سيفيريس** الشعرية كلها . وكان بإمكان من هو نافذ البصيرة أن يتبيَّن ماذا سيكون عليه عطاء هذا الشاعر مستقبلاً ، والقيمة الكبيرة التي سيضيفها إلى مسار الشعر اليوناني الحديث . وكان واحداً ممن أوتوا نفاذ البصيرة الثري الذواقة **يورغيوس كاتسيمباليس** الذي أولع بالشعر والأدب منذ صباه دون أن يمارسه ، وظل ملازماً لمكانه في « **كواليس الفن** » يتابع ويتأمل . وقد قاده حسه الأدبي المرهف إلى التنبه لما سيكون عليه سيفيريس ، فتحمس له . وقد خبر هذا الثري المولع بالفنون والآداب « **السيريالية** » إذ تفجرت في عواصم أوروبا التي كان يزورها ، وفي الوقت ذاته أحس مع متابعي هذا المذهب مخاطره ونقاط ضعفه فتوجس منها قدر ما تحمس له . وقد رأى بعيني بصيرته الثاقبة أن **سيفيريس هو** أفضل داعية لهذا المذهب في اليونان . وكما أحب **كاتسيمباليس** سيريالية **إيلوار** ، تعلّق قلبه بسيريالية مواطنه **سيفيريس** . ولكن سيريالية هذا اليوناني الذي رشف الأدب اليوناني قديمه وحديثه حتى الثمالة رغم عصريته كانت سيريالية مختلفة ومتميزة . ولم يكن **كاتسيمباليس** بقادر أن ينكر **سيفيريس** أو يتجاهله كما تجاهل وأنكر من قبل عدة شعراء معاصرين عملوا على جلب السيريالية بدورهم إلى الشعر اليوناني . بل إن **كاتسيمباليس** الذي وهب حياته وثروته لخدمة الشعر اليوناني الحديث ، أو بعبارة أدق لخدمة التيارات الجديدة في هذا الشعر الذي لم يحسه العميق أيضاً أن مصيره إلى جمود بعد **بالاماس** الذي لم يترك وراءه سوى بعض المقلّدين .

مستودع المياه

وقد عاين **كاتسيمباليس** كيف أن **سيفيريس** الشاب الناضج البالغ من العمر إحدى وثلاثين سنة آنذاك يهوى الأدب بدوره دون أن يحترفه ، ويصدر في العام الثاني أي في عام **١٩٣٢ م** ، ديواناً صغيراً آخر بعنوان « **مستودع المياه** » ويتجمع من حوله شباب الشعراء الذين يريدون أن يختطوا دروباً جديدة . وفي مقدمة هؤلاء الشباب الشاعر **نيكتياس راندوس** الذي أصدر عام **١٩٣٣ م** ، « **قصائد** » تنضح بسيريالية مفرطة وإن شابها بعض التقليد والاحتذاء . على أن السيريالية ــ إن شئنا الدقة ــ كان قد جلبها إلى اليونان من باريس شاعر يوناني آخر هو **ثيوذوروس دوروس** الذي أزعج مياه **بالاماس** الساكنة بقصائده المغرقة في الغرابة والخروج على التقاليد المرعية . وفي عام **١٩٢٣ م** ، أصدر الشاعر الشاب **زيسيس أيكونومو** ومن بعده **يورغيوس ساراندريس** الذي قدّم عطاءً شعرياً مرموقاً رغم أنه رحل عن هذه الحياة مبكراً . ولاحظ **كاتسيمباليس** أيضاً أن الشعراء الجدد لا يستطيعون نشر إنتاجهم إلا على صفحات مجلات مغمورة ، تكاد تصدر « **خفية** » ، لا تصل إلى أسماع وأنظار القرّاء . وهنا يتدخل هذا الثري المثقف ، ومرة أخرى بعد أن أنفق من جيبه الخاص من قبل لترجمة مختارات من شعر بالاماس إلى الإنجليزية ، ونشرها كي يعرِّف الأوروبيين بالشعر اليوناني الحديث ، يتدخل فيقرر أن ينفق من ماله الخاص لإصدار مجلة لنشر أعمال هؤلاء الشعراء الجدد الذين يقف **سيفيريس** على رأس قائمتهم . **وهكذا ولدت مجلة من أهم المجلات الأدبية في الحياة الثقافية في اليونان ، وأكثرها تأثيراً على مسارات الحداثة في الأدب اليوناني** ، وهي مجلة « **الآداب الجديدة** » (**نيا غراماتا**) التي تجمعت حولها أقلام الشعراء الجدد جميعاً .

الآداب الجديدة

وفي بداية الأمر اقتصرت المجلة الجديدة على نشر أعمال **سيفيريس** وجماعته . وقد صدر أول أعداد هذه المجلة في يناير (كانون الثاني) **١٩٣٥ م** ، ويدين لهذه المجلة **أوذيسياس إيليتيس** الذي حصل العام الأسبق على **جائزة نوبل** في الآداب ، يدين لهذه المجلة بنشر أولى قصائده ، كما نشر **أندرياس**

أمبيريكوس الشاعر اليوناني السيريالي الكبير بقصائده التي جمعها بعد ذلك في ديوانه « **قائن الجير** » ، كما أصدر **سفيريس** في ظل هذه المجلة ديوانه الثالث بعنوان « **أسطورة التاريخ** » . وقد بدا في هذا الديوان عازماً على قطع كل الخيوط التي تربطه بأي عطاء شعري سابق عليه ، متجهاً بخطى راسخة إلى فتح أبواب جديدة لطاقته الإبداعية . كما اتجهت جماعة **سفيريس** المتولية لتحرير مجلة « **الآداب الجديدة** » إلى شعراء سبق لهم أن أبدوا نزعة تجريبية ملحوظة من أمثال **يورغيوس سارانداريس وأناستاسيس ذريفاس** ، ورحبت بنشر إنتاجهم . وانتهى الأمر بهذه المجلة أن أصبحت المحور الذي تلتقي حوله تيارات الشعر الحديث في اليونان كلها . وقد استمرت مجلة « **الآداب الجديدة** » في عطائها المتمرد حتى أغسطس (آب) ١٩٤٠م . وبعد هذا التاريخ تفرّق شعراء الموجة الجديدة ، وراح كل منهم لحال سبيله وقد أخذت السحب السوداء تكفهر في سماء اليونان مع مقدم **الحرب العالمية الثانية والغزو الفاشي النازي** لأراضيها . وقد استطاع **سيفيريس** باعتباره موظفاً بالسلك الدبلوماسي أن يحصل على قرار بنقله إلى **ألبانيا** . ومن هنا خرج لينضم إلى صفوف الأحرار الذين شكّلوا حكومة في المنفى وحاربوا مع **الحلفاء** حتى قُدّر لهم تحرير اليونان .

قضية الشعر الحر

لقد كان التغيير الذي أتى به سيفيريس إلى الشعر اليوناني الحديث تغييراً مزلزلا . ولم يكن النقّاد والمفكرون آنذاك في أواخر العشرينات من هذا القرن يقبلون ما أطلق عليه « الشعر الحر » أو « اللاواقعية » أو « العفوية » أو « المجازية » أو غير ذلك من الذي نادى به سيفيريس وجماعته في أوائل الثلاثينات ومضوا فيه . وعلى الرغم من أن سيفيريس بعد ذلك في الستينات حصل على جائزة نوبل في الآداب ، وهو أول حدث من نوعه في تاريخ الأدب اليوناني الحديث ، إلا أن نضال سيفيريس ورفاقه من أجل هذا الشعر العفوي اللاعقلاني الحر لم يكن بالسهل في أوائل الثلاثينات .

وحول مجلة « **الآداب الجديدة** » ، تجمعت جماعة « **الشعراء المحدثين** » وبدأت نضالها الشاق ، ولم تستهدف هذه الجماعة تجديد الحس اليوناني فحسب ، بل عمدت إلى إدانة أولئك المقلّدين السخفاء **للبارناسية والرومانسية** وغيرهما من مدارس الشعر الفرنسي واتجاهاته . وبذلك يعود الشعر اليوناني الحديث إلى طريقه السوي الذي هو العودة إلى منابعه وجذوره الأولى ، أي العودة إلى « **الأغنية الشعبية** » وإلى **المسرح الشعري الكريتي** ، وإلى سائر ضروب الأدب الشعبي ، أو بعبارة أخرى إيقاظ « **الهلينية** » من سباتها .

وربما حدثت هذه الجهود بلا تدبير مسبق ، وربما شابتها أخطاء ، بل وربما ظهر في صفوف المناضلين بعض الأفاقين المزيفين ، **ولكن كل هذا لا يقلل من قولنا إن الأمر كان ثورة حقيقية في الشعر اليوناني الحديث ، قام بها نفر من الشعراء الأصلاء ، الذين أصبح لهم مقاماً عالياً ، لا في تاريخ الأدب اليوناني فحسب ، بل وفي الأوساط الأدبية العالمية** . . وفي مقدمة هؤلاء الشعراء : **ياتيس ريتسوس ، وذيونيسيوس إيليتيس ، ونيكيفوروس فريتاكوس ، وأندرياس أمبيريكوس** ، وقد اختلفت مشارب هؤلاء الشعراء الكبار ، لكنهم على أي حال أجمعوا على الرغبة الباكرة في التجديد ، ورفض التقليد ، وعلى البحث عن إلهاماتهم في الينابيع الإغريقية ذاتها .



★ عبد الله بن خميس ★



★ محمد حسن عواد ★



★ عبد السلام هاشم حافظ ★

قضية المرأة في الشعر السعودي المعاصر

بقلم : د. عبدالله الحامد

الجانب الاجتماعي في الشعر السعودي ثر وافر ، ولعل من أهم القضايا التي طرقها الشعر قضية المرأة ، تعليمها ، حجابها ، عملها ، مشكلاتها . ففي قضية الحجاب والسفور ، نجد أن آراء الشعراء تلمس الموضوع ، دون رؤية مفصلة أو محددة ، وهذا محمد حسن عواد ، يلوم الداعين إلى السفور ، والداعين إلى الحجاب سواء[1] :

تنطع قوم فقالوا الحجاب
وعاند قوم فقالوا السفور
وراموا من الدين فصل الخطاب
وما بالتعسف تقضى الأمور
فلم يدركوا منه ما حاولوا
وللدين نظرة رام قدير
فقال الحجا لكلا القائلين
ضللتم ضلتم صواب المسير

ونجد في حديث أكثرهم إجمالا لا تفصيل فيه ، وإشارات لا توضيح لها ، ولعل مرد ذلك لأسباب فنية أو اجتماعية ، فقد يكون بعضهم ممن ينأى بالشعر عن ثقل الفكر ، وقد يكون لبعض آخر آراء مستمدة من الشريعة المطهرة ، ولكنها قد تخالف ما ألف الناس ، فيؤثر العافية ، وهذا التيار يرى التوسط بين المغالاة في الحجاب التي لم تُعرف عن المسلمين الأولين ، وبين السفور الذي يدعو إلى كشف محاسن المرأة ونزع حجابها ، ونزولها إلى الشارع والمصنع والمكتب والملعب ، وهو رأي بعض علماء الشريعة الذين يرون أن الحجاب الإسلامي ، لا يمنع من كشف المرأة وجهها وكفيها ، وإن كان سترها أحوط للدين ، وأجدر بالاتباع على أن لا تكون متبرجة بالألوان والروائح ، وأن تلبس من الأثواب ما لا يشف عن بشرتها ولا يصفها ، وأن تعمل ما يناسب طبيعتها ، وتدعو الضرورة إليه في مجتمعها كالتدريس والتمريض والطب ونحوها ، وبعض آخر من العلماء يرون هذا الرأي . وهي مسألة خلافية على كل حال ، ولكنهم يرون أن الأوجه ، عدم فتح الباب ، كي لا تتوسع فيه النساء في المملكة ما دمن قد ألفن أن يلتزمن بالأحوط ، وهو ستر الوجه[2] :

وعني الشعر بتحذير الفتاة من الانزلاق في مجاري الحضارة الجديدة الضارة ، والأحابيل التي وضعت للمرأة باسم الثقافة والحرية وحقوق المرأة ؛ في المراقص والمسارح ، والمكاتب والشوارع ، ودعاها إلى التمسك بدينها وأخلاقها ، كما في رائية **الفلالي** ، وكما في قصيدة **لباشميل** يعرض فيها معاملة الغرب للمرأة بأسلوبه الساخر :

والرقص فن للفتاة يزينها
وتقدم في حلبة الميدان
وكذاك كشف الصدر أو ما تحته
وتبرج الأفخاذ والسيقان
وكذاك عرض الغانيات كواعباً
وكأنهن فصائل الغزلان
ليلجن ميدان الجمال عوارياً
بين الوحوش الصم والذؤبان

تعليم المرأة

وسبق الشعراء في الدعوة إلى تعليم المرأة ، لأن هذا حق من حقوقها المشروعة ، قال شاعر رمز لاسمه بـ(ج . ع . س)[3] :

طحا بنا الجهل وألوى بنا
حتى حسبنا كل علم ددا
اتخذ الغرب بعرفانه
أريكة الشمس له مقعدا
يسعى كلا الجنسين كل على
مبدئه ما إن يخاف الردى
هذي تحوط النسل تفنى به
وذاك في الحرب يصد العدى

وهي دعوة تمشي على استحياء ، ولا يستطيع الشاعر أن يصعدها ، في الوقت الذي أمرت الدولة **مدير المعارف طاهراً الدباغ** ، بإيقاف التسجيل مؤقتاً في مدارس تعليم الإناث آنذاك ، حرصاً على تهدئة النفوس والبعد عن دواعي الفتنة بين الناس ، ولذلك

يأتي الرمز في الاسم والدوران في العرض :

ما زهرة في الروض رفافة
تهمي عليها قطرات الندى
ينضح منها أرج عابق
راح على جنباتها واغتدى
.. يوماً باسمي من فتاة مشت
إلى العلا سيراً بعيد المدى
وانتهلت كأساً من العلم لا
تبغي سواه أبداً موردا
فتلك بالخالد من فعلها
كل لسان عبقري شدا

ينبغي أن نشير إلى أن هذه الدعوة من بواكير الدعوات ، وربما كان **محمد حسن عواد** فضل السبق بالمناداة بتعليم المرأة ، وقد خلت صحيفة « **القبلة** » من أي أدب صدر من المرأة ، كما خلت من أية دعوة لتعليمها .

ومن الشعر المطالب بتعليم المرأة ، قصيدة **العلاف** التي ألقاها أمام **(وزير المعارف آنذاك) الملك فهد** عام ١٣٧٣ هـ[٤] :

وللفتاة رجا لولا الحجاب لما
وقفت عنها لديك الآن أبديه
العلم في شرعة الإسلام مشترك
ما كان وقفاً عن جنس فيحويه
وأفضل العلم ما يروي أنوثتها
حذار أن تدري فيها بتشويه
والأمهات إذا ما كن في سفه
فاحكم على الجيل أن النقص حاديه

الأفكار نفسها عند **ابن خميس** الذي قال يطالب بتعليمها :

يا نصير العلم هل من شرعة
تمنع التعليم عن ذات الخبا

قضايا الزواج

وعرض الشعر بعض قضايا الفتاة كالزواج المتأخر التي تبقى فيه الفتاة رهينة محبسها ، بينا والدها يشترط على الخاطب شروطاً يمقتها الله ويرفضها الإيمان ، كما في قصيدة **علي حسين** الفيفي « العذراء المظلومة »[٥] :

تجاوزت أماه سن الشباب
وودعت أحلاميَ الغاليه
.. وقد كنت أحلم أن الزواج
وشيك وأن المنى دانيه
يرى والدي الحزن في ناظري
فيسأل ما سر أحزانيه
فتنهل من مقلتي الدموع
وتخنقني غصة باكيه

ويقبلها ويمسح دموعها بيده الصلبة التي تتوجس منها الفتاة الرهبة ، وتحاول أمها تهدئة خواطرها ، وهي تعرف مبعث الشكوى فتهرب :
فأهرب للغرفة الثانيه :

فتلحقني كي تخفف حزني
فاصعد للشرفة العاليه
وانظر للركب وهو يسير
طليقاً من القبضة العاريه
.. إلهي أبى والدي أن أعيش
كأبناء جنسي وأترابيه
أيحسبني والدي سلعة
يحدد قيمتها الغاليه ؟
وها قد طويت سجل الأماني
ومزقت صفحته الباليه
(لماذا ؟) .
تجاوزت سن الثلاثين عاماً
ويا ليتها كانت القاضيه

وإكراه الفتاة على الزواج ممن لا تريد ، مشكلة عرض لها كثير من الشعراء ، سواء في أسلوب الغزل الوجداني ، أو القصص الاجتماعي ، وأكثر من وقف عند هذا الجانب **عبد السلام هاشم حافظ** في نثره وشعره ، وكانت بعض معالجتهم لها غير واقعية ، فالزواج كما ينبغي فيه مراعاة رغبة وإرادة الفتاة ، فإنه ينبغي فيه أيضاً أن يحاط بموافقة والد الفتاة ووالدتها اللذين يدركان بالتجربة ما لم تدرك .

ومشكلة **زواج الشيب بالصبايا** ، كما في قصيدة العواد « لمياء » التي يتحدث فيها بأسلوب القصة عن الفتاة الغضة التي قرنت إلى جذع متآكل[٦] :

قرنوها قسراً إلى رجل نامت
على قحف رأسه الأدهار
شبح قد أحاله الهرم المزمن
شيئاً مهزءٌ سيار
لطمت وجهه الحياة بصفع
من قفا كفها ففيه انحدار

ولكن كثيراً من الشعراء ، كانت معالجتهم للموضوعات معالجة رومنسية متأثرة بدعوات حقوق المرأة وحريتها ، على ما في هذه الدعوات من سيئ وحسن . وعن المهر والاستغلال المشين فيه ، وعن الزواج بالأجنبيات ، وما في إقامة حفلات الزواج من إسراف ، كما في قصيدة عبد السلام حافظ « مأتم في عرس »[٧] :

أقيموا لنا فرحاً زاهرا
أقيموه بالزينة الواسعة
فنحن هنا ذو يسار

وهذا الشاعر من أكثر شعراء المملكة حديثاً عن المرأة : زوجة وأختاً ومعالجة لقضاياها ، من حجاب وسفور ، وعوائد زواج ، وكثيراً ما وقف يدعو المرأة إلى حظيرة الدين ، حيث الراحة بين أطفالها وزوجها في عش هادئ[٨] . وفي ديوانه « **أضواء ونغم** » خص أسرته وأهله وأولاده بكثير من الشعر العاطفي الدافئ .

الهوامش

(١) انظر : كتاب الألباني « حجاب المرأة المسلمة » ، وقابله بكتاب المودودي « الحجاب » .
(٢) هل هذا من العروبة : ٢٧ .
(٣) صوت الحجاز ، العدد (١٢٤) ، السنة الثالثة ، جمادى الثانية ١٣٥٣ هـ ، والأبيات لولا اسم : ع . لجزمت بها للسرحان ، لأن عليها روح أسلوبه المتميِّز ، والدد : اللهو .
(٤) البعث : ٦٧ .
(٥) أجراس : ٢٦ ـ ٢٨ والبيت الرابع في الأصل ، فتهمي والتعديل لإقامة الوزن .
(٦) نحو كيان : ١٤٦ .
(٧) انظر : الفجر الراقص : ١٤٤ .
(٨) انظر : الفجر الراقص ، انظر قصيدتي « حواء عودي » ، ٩٥ ، و « يا فتاة الشرق » ، ٩٦ ـ ٩٩ .

من المكتبة السعودية

● الكتاب : أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان . الجزء الأول .

● **المؤلف : محمد بن أحمد العقيلي .**

● الناشر : نادي مكة الثقافي .. بإشراف دار مكة للطباعة والنشر . ١٤١ ص .

لقد سلّط الأديب والباحث محمد بن أحمد العقيلي «أضواءً على الأدب والأدباء في منطقة جازان» ، ليؤكد على اهتماماته في إحياء تراث تلك المنطقة التاريخي والأدبي واللغوي والشعبي .. ومن خلال كتبه العديدة في ذلك المجال .

ورغم أن الباحث العقيلي لم يلتزم بمنهج علمي محدّد في هذا الكتاب ـ وسنشير إلى بعض خلله المنهجي في حينه ـ إلا أنه فتح أمام الدارسين أبواباً جديدة للدخول إلى العالم الشعري لتلك المنطقة وعبر أزمنتها التاريخية .. وليستخلصوا الكثير من الحقائق الأدبية والتاريخية والسياسية والاجتماعية والوجدانية ، وليجدوا مدى قدرة ذلك الشعر على التعبير عن مختلف شؤون الحياة ، وبخاصة السياسية منها .

وإذا كان الأديب العقيلي لم يركز بشكل مباشر على بلاغة ذلك الشعر واستيعابه لكثير من الأحداث السياسية والتاريخية ، فإنه استخلص جانباً آخر لتلك البيئة ، حين منحنا «صورة من حلبات المباراة الأدبية في القرن الثالث عشر الهجري في منطقة المخلاف السليماني» ؛ والمتمثلة في معارضة شعراء المنطقة للشاعر المكي (أبو بكر الزرعة) .

وكانت الساحة الأدبية التي جال فيها أديبنا العقيلي فسيحة ، إذ اتسعت لعشرات الشعراء والأدباء والمؤرخين والفقهاء .. وامتدت مئات السنين .

امتدت أكثر من سبعة قرون . منذ ولادة أول شاعر يذكره عام ٥١٥ هـ ، وهو (عمارة بن أبي الحسن بن زيدان الحكمي) ، وحتى ولادة آخر شاعر يذكره عام ١٢٢١ هـ ، وهو (الحسن بن أحمد عاكش الضمدي) .

وليس معنى هذا أن المؤلف اتبع التسلسل الزمني في تأريخ أعلامه ، لأننا نجد بين هذين الشاعرين ، وبعدهما شعراء وأعلام آخرين لا ينتظمهم تاريخ مسلسل . وقد اعترف بهذا الخلل في مقدمته ، بأنه لم يراع في أعلامه التنسيق الزمني .

ولقد كانت الأفكار التي قدّمها المؤلف عن شعرائه وحياتهم ، لا تتعدى الأخبار العامة ، التي لا توضح معالم شخصياتهم الذاتية أو الشعرية ، مع أن نصوصهم الشعرية كانت غنية بتلك المعالم . فلو التفت إلى النصوص ، واستنبط منها أبعاداً جديدة ، لأغنى شخصياته ، ولوضحت في ذهن القارئ أكثر .

وكثيراً ما كان المؤلف يبدأ شاعره بتمهيد أو دراسة بعيدة عن جو التأريخ الأدبي ؛ فتنشط به بعيداً عن تسلسل أفكاره التاريخية ، ووحدة موضوعه .. وتدور في فلك إحياء التراث ، وقيمته العلمية والأدبية في نهضتنا الصاعدة .

وقد يستخدم المؤلف هوامشه في التعريف بأعلامه ، مع أن مكانه في المتن لا الهامش . كما قد وردت كثير من الأبيات الشعرية المكسورة الوزن ، بدون أن يشير إلى ذلك الخلل العروضي .

على أن الكتاب زاخر بالشعر الأصيل المشحون بتجارب شعورية تعبر عن صدق انفعال أصحابها . كما أن المؤلف كان لا يفوته التقديم لنصوصه ـ من حين لآخر ـ بكلمات أدبية دقيقة .. أو إطلاق أحكامه النقدية ، أو تقويم لمكانة أعلامه الشعرية ، التي كانت لا تخلو من انطباعات صائبة ، وتذوق أدبي رفيع . كما كان يستعين بأفكار غيره من الأدباء السعوديين وغيرهم في توضيح النقاط التي هو بصددها ، فيورد لهم أقوالا أو آراءً مؤنسة .

● الكتاب : جزء من حلم .

● **المؤلف : عبد الله عبد الرحمن الجفري .**

● الناشر : تهامة ـ جدة ، طبعة أولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ، (١٤٥ ص) .

تنفي رواية [جزء من حلم]





★ محمد بن أحمد العقيلي ★

للكاتب (عبد الله الجفري) الادعاء بتقصير الأديب السعودي في الأعمال الروائية .. إذ أثبت الجفري بهذه الرواية قدرته الفائقة على الإبداع الروائي الذي يفوق الكثير مما نراه في الساحة الأدبية العربية .

وإننا حين نحكم على نجاح رواية جزء من حلم للجفري ، فإن مرد ذلك للتأثر والتجاوب اللذين يحس بهما القارئ منذ بداية الرواية وحتى نهايتها . فقد وفّق الجفري في امتلاك قارئه والتأثير عليه واستلاب مشاعره لزمن طويل . كما أن صور الأبطال تظل حية وشاخصة في المخيلة لزمن أطول ، وبخاصة البطلة المحورية (ليلى) من خلال البوح الذاتي والكتابة إلى بطلها (عادل) . فهي مثقفة ثقافة عامة ـ وبخاصة الأدبية منها ـ توظفها للموقف الذي هي فيه .

ومن هنا فقد استخدم الجفري أسلوب المتكلم ـ على لسان البطلة ليلى ـ في الإفصاح عن المشاعر الذاتية والتحليل النفسي .. وفي رسم أجواء الرواية بأزمنتها وأمكنتها وأبطالها . وإن هذا الاستخدام يمكن الجفري في استبطان الأعماق ، وكشف المكنون الأنثوي والنسائي ، وما يدب في تلك الأعماق من شؤون نفسية ووجدانية وفكرية ، من خلال البوح والصراحة . وإذا كانت الرواية ستة فصول ، فإن الفصلين الأولين ـ هما أطول فصول الرواية ـ لا يخرجان عن دائرة الذات والبوح والاعتراف بالحب ، وهيمنة المحبوب على كيانها كله ..

ولذلك فلا يرسم الفصلان أجواء روائية إلا معالم الشخصيتين الرئيسيتين :

ليلى منجرفة بسيل من العواطف ، وعادل ملاحق منها .. وقد منحته شخصية فذة يستأهل الحوم حوله .

على أنه قد ترد ـ بشكل خاطف ـ أسماء لشخصيات ثانوية سيكون لها شأن في الفصول الأخرى أمثال :

(حسين زوجها ، ونزار عشيقها ، وسالم عبد الغفار والدها) . كما ترد أحداث قليلة منها مرضها أو حادث السيارة وموت سائقها الهندي ، وسفرها لباريس .. وحملها زهرة القرنفل التي احتفظت بها من باقة الزهر يوم قدمها لها في المستشفى ، وزيارة الحي اللاتيني ، وزيارة حديقة «الهايد بارك» في الحلم .

وتسرد تلك الأحداث بشكل خاطف أيضاً ، أو بوقفة مفصلة خلال الذكريات وما يمتزج بها من حوار . وقد لمّحت بنهاية مشهدي الفصل الثاني بأنها ستحكي له حكايتها . وفعلاً بدأت حكايتها مع الفصل الثالث الذي تبدّى لنا فيه الجد (عبد الغفار الحامد) وأبناؤه الثلاثة : سالم وسعيد وسفيان ، والبنت الوحيدة سعاد . ثم أبناء سالم (الذي كان البكر) : عبد الرؤوف ، وليلى ، وأحلام . وكانت ولادة ليلى (البطلة) بعد عشر سنوات من ولادة شقيقها . وقد عبرت البطلة بحكايتها ـ أو الكاتب بأسلوبه ـ عن أولئك الأبطال أحسن تعبير .. فصورتهم بدقة ـ وبخاصة والدها ـ الذي رسمت معالم شخصيته القوية بالسرد الموحي حيناً ، وبالحوار المكثف والمركز الناطق حيناً آخر . ومن ثم شخصية الأم (زينب) المطواعة . حكت قصة هذا البيت الكبير وغناه وجاهه ومكانته في المدينة البحرية التي ربما كانت (جدة) . وكانت أبرز أحداث تلك الفصول : رحيل شخصية الجد إلى العالم الآخر ، وتسلّم قيادة البيت الكبير والدها (سالم) بشخصيته وثقافته .. ثم زواجه من بلد عربي لأنه يريدها زوجة شقراء يتلاءم لون بشرتها مع سمرة بشرته .. فجاءت هي بلون أمها .

وزواجها المبكر من حسين ابن عمها سعيد .. بعد زواج والدها ثانية من فتاة مصرية تُسرّح إلى أهلها بدون إنجاب . ثم وفاة والدها ، والسفر مرة مع زوجها إلى باريس ، وبرفقتها صديق العمل (صالح) وزوجته . والقطيعة النهائية إثر العودة . وقصة حب مع نزار ، ثم الافتراق ، وقصة الطلاق من زوجها الذي لم يوافق عليه إلا بعد أن يتسلّم منها نصف مليون ريال تنال به حريتها الدائمة بعد سجن دام عشرين سنة ، كانت فيه زوجة لمدة سنة واحدة . وكانت تعرج ـ من بعد الفصل الثالث ـ على خطاب حبيبها أو بطلها الأوحد (عادل) ؛ إذ تظل تناجيه وتدعوه إلى العودة حتى نهاية الرواية .

وقد عبرّت عن مضمون عنوان الرواية في مواقف

★ عبد الله الجفري ★

عديدة، منذ بدء اللقاء في أول الرواية، إذ تحقق جزء من حلم، وأسعدها ما تحقق، وتمنت لو وقع كل ما تخيلت نفسها التي لا تقنع (ص ١٤). كما اعتبرت سعادتها بجانبه جزء من الحلم، لا سيما حين يقع لها رحيله بعد ساعة، أو أكثر وتفتقده (ص ٥٥)، وقد تتمنى أن يبق في مشاعره جزء صغير من أحلامه في حين يكون هو كل أحلامها، لا سيما مع حلول العيد (ص ١١١). أما حين تحس بالثقة فإنها لا تكتفي بجزء من الحلم، بل تطلب المزيد، وتسمو فوق الزمن، لتبتكر زمناً يحتفظ ويرسخ معنى الحب الواحد، الحب الأخضر دوماً (ص ١١٢). وقد كررت هذا المفهوم في نهاية الرواية: «لم أنس أنك أصبحت في حياتي كل حلمي .. وأنني في حياتك لا أعدو جزءً من حلمك» (ص ١٤٢). «إنني هذا الجزء من حلم .. عبر حياتك، وحاول أن يكبر ويكبر ليكون هو الحلم الكامل والوحيد دون جدوى» (ص ١٤٣).

لقد أراد الكاتب الجفري أن يجعل من بطلته النموذج المقهور المظلوم للمرأة المطلقة في مجتمعنا. فدفع بها إلى التهافت على الرجل الأمثل الذي تتوفر به كل الصفات التي تطمح إليها المرأة، لا سيما التي لها تجارب عديدة مع الرجال والحب والزواج. وقد لا تكون هذه حالة طبيعية عامة .. إذ من المعروف أن المرأة التي تتجرع مرارة التجارب مع الرجال فهي التي تحتاط أكثر من غيرها في علاقات جديدة. ولكن الكاتب كان يهدف - فيما يبدو - إلى بلورة الصورة المثلى لبطله وتتويجها بأسمى معنى الكمال، وإنارتها بهالة مضيئة من الفن والثقافة والوعي والذكاء والرجولة ... وإن صرّح في إهدائه الرواية «إلى كل أنثى ظلمها المجتمع وعصف بها الحب .. وإلى كل مطلقة تحاول أن تجد نفسها من جديد»، لأن الكاتب جسّد وأبرز في هذه الرواية ملامح نرجسية في تعظيم بطله ورسمه بصورة (السوبرمان) أو (الدونجوان) الذي تهيم به النساء .. وحتى أن البطلة لتستعذب علاقاته مع غيرها:

«فقط تكلم، قل لو أردت إنك تحب إنسانة أخرى غيري .. تصور إلى هذه الدرجة أرضى .. المهم أن ترتاح، وتهدأ، وأجدك ..» (ص ١١٧).

ولا أظن هذه حالة طبيعية. فغريزة المرأة تأبى أن تشاركها واحدة بفارس أحلامها .. وإلا لطعنت كرامتها بالصميم.

ولكن رغم النرجسية التي غمرت شخصية (عادل)، إلا أن الروح الشاعرية التي تحلت بها (ليلى) خففت شيئاً من هالة التقدير وتحور الإكبار .. فحديثها عنه بلغة شعرية قد أساغ تفخيمه وتعظيمه، وحسّن صورته وأثره في قلبها ومشاعرها .. وجسّد درجة الحب، وعبّر عنه باحتواء جوّاني عنيف، وبتصوير حي .. قد تكون مادته من الواقع أحياناً: «أحس أنك تملأني ..ترويني، تأخذ رأسي وتفلحه وتشذبه كأرض بور، ثم تحوله إلى عشرات الفدادين التي تطرح القطن طويل التيلة» (ص ٤٠).

أفصح الجفري - من خلال بوح البطلة - عن الكثير من أفكاره في الحب والزواج في الماضي والحاضر، والسعادة، والعادات الاجتماعية، والحرية الذاتية، وعن طريق التقرير حيناً والحوار في أكثر الأحيان، الذي أبرز من خلاله صوراً واقعية عن المجتمع السعودي، وبخاصة عن سلوك المرأة وتفكيرها خارج وطنها .. وقد يكون مضمون الحوار أحياناً خارجاً عن الجو القصصي وفنه .. ولكن تتمة الحوار قد يعيد له فنه وطبيعته، وبخاصة حينما يرد بالعامية من حين لآخر (ص ٤٥).

كما أبان الجفري الجو البورجوازي الذي تنعم به بطلاته - لا سيما ليلى - وهن يتعاملن مع الثقافة، والموسيقى، والألبسة، والعطور، وتربية الكلاب، ورحلات الاستجمام، والدخان.

ولقد كان معجم الجفري اللغوي غزيراً .. إذ استودع في ذاكرته مخزوناً لغوياً خصباً .. يستجيب له متى أراد، وينهل من مستودع الذاكرة زخمه اللفظي، بعد أن يمر في قنوات وجدانه وشعوره وعاطفته وحسه .. فتخرج لنا جمله وتعابيره مضمخة بتلك المشاعر والعواطف والأحاسيس .. فتكسبها ألقاً وشاعرية وإشراقاً وجاذبية.




★ علي عمر عسيري ★

● الكتاب: رماد الوجه الحنطي (ديوان شعر).

● **المؤلف: علي عمر عسيري.**

● الناشر: الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

يشتمل هذا الديوان على اثنتي عشرة قصيدة لا يملّ الإنسان من قراءتها، وبخاصة إذا كانت من شاعر مثقل بالغربة، ويجيء من بُعْدٍ لا ترصده أعيرة العصر!.

ولقد تكون القصيدة الأولى التي شاء علي عسيري أن يجعل عنوانها «لافتة» هي سمته، أو جماع ملامحه النفسية.. فإذا أضفنا إليها دلالات تصدر عن عنوان الديوان «رماد الوجه الحنطي» نشعر بثقل الفاجعة في بُعْديها الذاتي والعام: هزيمة على المستوى الشخصي وقد أهين بخيانة عشق، وهزيمة أخرى على المستوى القومي في نكسة حدّد ملامحها على خارطة الحزن العربي:

من زمن الإدريسي
ويقربي خطوط تفصيليّ
لمسلسل أحداث الغدر
من زمن ابن سلول!
(ص ١١)

والخيانة الشخصية نظير - وليست مقابلاً - للغدر الذي تتسع دائرته اتساع الأرض منذ حملت عبد الله بن أبيّ بن سلول وهولاكو، ودببة الأندلس الإسلامية.

وشنيع جداً أن يسافر الشاعر في طبقه الطائر ليشهد فصول الفاجعة، حتى في طيّات النصر بحطين.. لأن البابا - أي بابا - يريد أن يؤصل كارثته:

ويطوف الطبق الطائر
يطوي أزماناً صنعتها الأحداث
وندوبٌ تتورّم في الوجه الرملي
وكدومٌ تتلو إثْرَ كدوم
جرّاءَ ملاحقة البابا
والفتنة تثقب ذاكرتي وتنبهني
(ص ١٧)

وفي التفصيل وبه نرى العرب فرقاً وشيعاً، والدين عندهم صار خبزاً ودراهم وتعاويذ سياسية، فما قطيع من أولاد البقرة - اليهود عبدة العجل - قد شرب الليطاني، وأحد السُّراة من أرض كنانة قد عقّ الأسرة العربية، وعلى أبواب حماة تجمد الشاعر لأنه اشتمّ رائحة تزكم أنف السُنّة.

ولقد تكون في «تفاصيل الخريطة» (ص ٩) تفاصيل يرفضها جوهر الشعر ما كانت مباشرة، إلا أنه نجح فيها - بوجه أو بآخر - حتى لنشعر بتلك الأزمة التي يعيشها شاعر فقد العزيزين: وطنه العربيّ وقلبه العاشق!.

فإذا فرغ إلى نفسه بعد ذلك تطالعنا أسئلة الوجه الحنطي - وجه الشاعر - وهي في تفسير عنوان الديوان بداية الفاجعة: وإن يكن من المسلّم به أن نصاً بعينه أو نصوصاً بعينها ليست بالضرورة بداية التجربة عند الشاعر، ولا دليلاً على أن قصائده كلها لا ينفتح بعضها على بعضها الآخر.

إنما تغرينا قصيدة «أسئلة الوجه الحنطي» - وقد وضعها صاحبها هذا الموضع المتقدم في ديوانه - على أن نتمادى في مخالفة القاعدة التي ذكرنا أن بداية التجربة قد لا تنهض على قصيدة واحدة!.

فهاهنا نرى ضرباً من الاستقلالية، غير أن تلك الاستقلالية لا تمنع نهائياً من انفتاح القصيدة على أخواتها؛ وفي الدليل على الاستقلالية المفترضة نسمع إلى الشاعر وهو ينشد:

مَن سرق الفرخ الأبيض من عيني
مَن غيَّر لوني؟
....
ولماذا أصبح وجهي مجدورا
أحياة الفقرْ
أم غَلَبٌ مرّ
أم أن القرية كالمنفى.. تحتضن الشرّ؟
(ص ٢٧)

ومع هذا الاقتناع بتلك البداية لفجيعة الشاعر - وقد تنبّه إلى أنه غريب - نرى ركائز البداية في قوله في موضع آخر:

فات الأوان يا مليحة الصبا
مات الإبا
وفارسُ النجاء يا مليحة الصبا كبا
(ص ٣٢)

وقوله وقد هاله أن النَّفْرة صاحبته

منذ كان صغيراً ، وهنا يجب أن نتنبّه إلى أننا نمارس استكناه التجربة في سياق النص الأشمل ، أي في كلّ الديوان :

يا ليتني أعود طفلا
ألعب المقطار
في ساحة البحار
تهدني شقاوتي يسفُّني الغبار
وأنت تسفحين وجهي البئيس
ببسمة العزاء
(ص ٤٠)

وربما كان هذا الطفل المطرود من ساحات العطف والأمان والمعروق الجبهة والهاربة عيناه إلى الداخل والمتداعي هيكله والقادم من رحم القسوة ـ كما رسمه في « قصيدة خبز لطفل جائع » ، (ص ٧١) وما بعدها ـ هو نفسه الذي قدم اعترافه ، بعد أن يفع وامتلك اللغة السحرية التي تجعله قادراً على أن يقول :

فوق حدّ السيف أحسو ندما
عاهراً يجتاح مني بدني
رعشة العشرة ما زالت
وساماً في جبيني والجراحات التي سجَّيْتها
بالقش والطين الذي اقتاتت مئات الأحذية
صاح فيها النبْضُ نفّاضا
بحمَّى الأزمنه
من نيوب الطرق
(ص ٦١)

ولأنه ضيّع اليقين ، فقد حقّ له أن يرثي نفسه في رثاء من شيّعه وواراه في رمل الفجيعة ـ الديوان كله رثاء لنفسه ـ في تنويعات لعل آخرها « حزينة النهر المقوّس » وفيها يقول :

مُتُّ يا نعم الرفيق
صمتت قيثارة الإبداع .. والأوتار ذابت
في تفاصيل الحريق
......
عوِّضوني عن شُعيرات أحاسيسي الحليقه
ابصُقوا في كل آثار الحقيقه
بعثِروا آثار خطوي
واسبُروا أعماق جرحي
لتروا أني من الجوف أعاني
وأعاني
وأعاني
من تباريحَ عتيقه
(ص ٨١)

أم يكون ذلك كله مرثية للحضارة العربية ؟ لست أدري ، إلا أن الشاعر علي عمر عسيري يقدم شهادته ! .

الأخوة.. في العقيدة

بقلم: محمود شاكر

فهم صحابة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الأخوة بمعناها الصحيح ، وهي أنها أخوة العقيدة ، وقد طبّقوها فعاشوا حياة سعيدة ملئها الحبّ والطمأنينة ، ويُظلّلها الأمن والرخاء ، ويشعّ منها الوئام والهدوء النفسي .

وليس الأخ بمعنى الشقيق ، أي أخاً في الدم والنسب ، إذ كثيراً ما يختلف الشقيق عن شقيقه في طباعه ، وسلوكه ، وتقويمه للأمور ، ونظرته للحياة ، فيعيش كل في طريقه الذي يراه ، أو دربه الذي يرتضيه بعيداً عن شقيقه ، وربما قاتل أحدهما الآخر ، أو كان كل منهما في صف جماعة محاربة للأخرى . أما الأخوة الصحيحة ، فهي الاتفاق شبه التام في السلوك ، والطباع ، والنظرة إلى الحياة .. ولهذا قالت العرب قديماً : « ربّ أخ لك لم تلده أمّك » ، ويقصدون بالأخ هنا ، الذي يُحبّك محبة تامة ، ويتفق معك في كثير من جوانب الحياة وطريقتها .

ولما كانت العقيدة تُهذّب طباع المرء ، وتحكم سلوكه ، وتُوضّح له مهمته في الحياة ، وتُبيّن له المجال الذي يجب أن يسير فيه ، والخط الذي ينهجه ، لذا كان أبناء العقيدة الواحدة إخوة بحق ، فهم أكثر تفاهماً بعضهم مع بعض من أشقائهم وأقربائهم ، وأكثر صدقاً ، وأكثر محبة ، وأكثر رعاية وحَدباً بعضهم على بعض ، ولِم لا ، وهم بسلوكٍ واحدٍ ، ونظرة واحدة ، ويرون المهمة المُلقاة على عاتقهم واحدة ، فهم أبناء عقيدة واحدة ، والعقيدة منهج حياة .

وجاء قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** ﴾[1] . وجاء قول رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه »[2] . فالمسلم الصادق ، لا يريد لنفسه شيئاً إلا ويُحبه لأخيه ، ومن ذلك نشأ المجتمع المسلم المتراصّ بعضه إلى بعض ، إن خرج أبناؤه إلى الجهاد لم يحدث فيه خلل ، وإن حلّت به مجاعة ، أو أصابته نائبة ، لم يتأثّر داخله ، لما فيه من تعاون بين أفراده ولبناته ، ولما يتم من مساعدة بين أسره وعائلاته ، بل وبين المسؤولين والرعية ، وذلك على غير ما يحدث في المجتمعات غير الإسلامية اليوم ، التي تتفشّى فيها الفاحشة بسبب الحاجة إن حلّ جدب ، ويكثر فيها السوء نتيجة المجاعة إن ساد قحط ، ويستبدّ الغني بالفقير ، ويستعبد القوي الضعيف ، إن نزلت نازلة ، بل يعيش المسؤول في رفاو ونعيم ، وتُبطره النعمة على حين تكون الرعية في حالة بئيسة ، وحتى تتحلل أواصر الصلات التي تقوم عليها هذه المجتمعات من نسب ، أو طبقة ، أو مصلحة ، أو حزبية ، أو أية رابطة من هذه الروابط المعروفة اليوم ، والتي تُتخذ عنواناً للتفاهم أو الاتحاد ، ويعيش كل امرئٍ لنفسه يُصارع ما يعاني .

وتزيد رابطة النسب في الإسلام ، رابطة أخوة العقيدة متانة وحبكاً ﴿ **والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم** ﴾[3] . ولا شيء سوى رابطة النسب تزيد في أخوة

الأخوة.. في العقيدة

العقيدة . أمّا إذا اتفقت صلة الرحم واختلفت العقيدة ، فلا وزن للقرابة أبداً ، وإنّما يعيش الذين لا يدينون بالإسلام خارج نطاق دائرة العقيدة ، بعيدين عن أقربائهم المسلمين ، إمّا خارج حدود دار الإسلام نهائياً إن كانوا على الشرك أو في داخلها إن كانوا من أهل الكتاب ، ولكن في دائرة أخرى تمسّ دائرة العقيدة من غير أن تتداخل فيها .

أحداث .. من التاريخ

ولننظر إلى بعض أحداث التاريخ ، حيث يأتي التطبيق العملي للأخوة التي جاء بها الإسلام ، وكما فهمها أصحاب رسول الله ـ **صلى الله عليه وسلم** ـ .

بعد أن هاجر رسول الله ـ **صلى الله عليه وسلم** ـ إلى المدينة ، آخى بين المسلمين ، المسلمين جميعاً . ليكونوا كتلة واحدة ، ولم يُؤاخ بين **المهاجرين والأنصار** في سبيل المساعدة المادية كما يتصوّر بعضهم ، وإنما كانت المساعدة المادية نتيجة المؤاخاة . لقد آخى رسول الله ـ **صلى الله عليه وسلم** ـ بينه وبين ابن عمه **علي بن أبي طالب** وكلاهما مهاجر ، وآخى بين عمه **الحمزة بن عبد المطلب** وبين مولاه **زيد بن حارثة** وكلاهما مهاجر ، وآخى بين **الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود الهذلي** وكلاهما مهاجر ، وآخى بين **بلال بن رباح وعبد الله الخثعمي** وكلاهما مهاجر ، وآخى بين **جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل** ، وجعفر غائب في الحبشة . هذا ، إضافة إلى رواية المؤاخاة بين **أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب** وكلاهما مهاجر ، وكذلك كانت مؤاخاة بين أنصاري وآخر ، فلو كانت الغاية من المؤاخاة اقتصادية ، لكانت بين مهاجر وبين عدد من الأنصار كي يمكنهم مساعدة المهاجر بشكل أفضل ، وخاصة أن الأنصار أكثر عدداً ، ويُشكّلون ثلاثة أمثال المهاجرين ، أو لآخى بين أغنياء الأنصار وفقراء المهاجرين ، حيث يوجد بين الأنصار فقراء ، كما يوجد بين المهاجرين أغنياء أمثال : أبي بكر الصديق ، وعثمان بن عفان . . غير أن إيثار الأنصار رضوان الله عليهم ، وبعض المظاهر والحوادث ، هي التي جعلت المؤرخين ينظرون إلى الجانب الاقتصادي فقط ، ويُركّزون عليه ، وهذا ما جعل المستشرقين يعتمدون على هذا ، ويبحثون في الجانب الاقتصادي ، ويستنتجون أن المادة هي رائدة كل موقف من مواقف المسلمين ، وقد نردد نحن هذا دون علم ، ومن غير دراسة .

وعلى كلٍّ ، فإن المؤاخاة التي شملت المهاجرين والأنصار قد قوّت من أخوة العقيدة ، وأضعفت ما بقي من رواسب رابطة القرابة والجنس ، فالمهاجرون الذين بعضهم أقرباء بعض ، قد غدا إخوانهم في الأنصار ، والأنصار أصبح إخوانهم من المهاجرين ، وبذا أضحت أخوة العقيدة هي الوحيدة ، ويمكن ملاحظة وصية حمزة بن عبد المطلب التي كتبها قبل **غزوة أحُد** لأخيه في العقيدة زيد بن حارثة . وتسجيل بلال بن رباح حقه في الغنائم لأخيه في العقيدة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ، إذ لم يكن لبلال عقب ، وذلك عندما أنشأ عمر بن الخطاب الدواوين .

نموذج أخوة العقيدة

ومن إيثار الأنصار ، ونتائج الأخوة في العقيدة ، قال **عبد الرحمن بن عوف** ـ رضي الله عنه ـ : « آخى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيني وبين **سعد بن الربيع** ، فقال لي سعد : إني أكثر الأنصار مالا ، فأقاسمك مالي شطرين ، ولي امرأتان ، فانظر أيتهما شئت ، حتى أنزل لك عنها ، فإذا حلّت تزوجتها[٤] ، فقلت : لا حاجة لي في ذلك ، دلّوني على السوق ، فدلّوني على سوق بني قينقاع ، فما رحت حتى استفضلت إقطاً وسمناً »[٥] .

هذه الأخوة بدأت نظرية ، ثم غدت عملية طُبّقت فيما ذكرنا على الجانب المادي ، ولكن النفس البشرية ، قد تكون أغلى بكثير من المادة عند بعضهم ، فلننظر التطبيق عندما يبدأ القتال ، وكيف يجود الإنسان المسلم بنفسه لينقذ أخاه في العقيدة ، وكيف يُضحّي بأبيه وأخيه وأقربائه جميعاً ليحمي عقيدته ، ويُدافع عنها ، وكيف يقف بجانب إخوانه في العقيدة ضدّ أهله وعشيرته ما داموا يُخالفونه في العقيدة .

وكانت **معركة بدر** الكبرى أولى هذه المعارك ، التي دارت بين المسلمين من مهاجرين وأنصار ، وبين قريش التي يضم جيشها أقرباء المهاجرين من آباء ، وأبناء ، وأبناء عمٍّ ، وعشيرة ، وما إلى ذلك من أواصر الدم ، والنسب ، والقربى ، وعصبية الجنس ، والمولد ، والمصلحة ، والسكن ، وكل ما في الدنيا من روابط باستثناء رابطة العقيدة .

دعا **عتبة بن ربيعة** من المشركين يوم بدر إلى البراز ، فقام إليه من بين المسلمين ابنه **أبو حذيفة** رضي الله عنه ، فقال له رسول الله ـ **صلى الله عليه وسلم** ـ : اجلس . فلما قُتل عتبة بن ربيعة ، كان أبو حذيفة بن عتبة قد أعان على أبيه بضربة . فقالت أخته **هند بنت عتبة** زوج **أبي سفيان بن حرب :**

الأحول الأثعل المشؤوم طائره
أبو حذيفة شرّ الناس في الدين

أما شكرت أباً ربّاك من صغر
حتى شببت شباباً غير محجون؟

وقد قُتل في أول مبارزة عتبة بن ربيعة (والد أبي حذيفة)، وشيبة بن ربيعة (عمّه)، والوليد بن عتبة (أخوه). فلما أُلقي عتبة والد أبي حذيفة في القليب، تغيّر وجه أبي حذيفة، فقال له رسول الله ـ **صلى الله عليه وسلم** ـ: «لعلك دخلك من شأن أبيك شيء»، فقال أبو حذيفة: لا والله، ولكني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً، فكنت أرجو أن يهديه الله للإسلام، فلما رأيت ما مات عليه أحزنني ذلك. فدعا له رسول الله ـ **صلى الله عليه وسلم** ـ بخير، وقال له خيراً.

ونادى أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ابنه عبد الرحمن، وهو يومئذٍ مع المشركين، فقال: أين مالي يا خبيث؟ فقال عبد الرحمن:

لم يبق غير شكّةٍ[٦] ويعبوب[٧]
وصارم يقتل ضلّال الشّيب

ودعا عبد الرحمن أباه إلى البراز، فقام إليه أبو بكر ليُبارزه، فقال له رسول الله ـ **صلى الله عليه وسلم** ـ: «متّعنا بنفسك يا أبا بكر، أما علمت أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري».

وقصد والد أبي عبيدة ابنه أبا عبيدة ليقتله، فولّى عنه أبو عبيدة لينكفّ عنه فلم ينكف عنه، فرجع عليه وقتله، وأنزل الله تعالى ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾[٨].

هذه رابطة الأبوة، والبنوة، والعمومة، وهي أعظم روابط الدم والنسب، وقد انهارت وتحطّمت أمام أخوة العقيدة، التي لا توازيها وشيجة أخرى في الدنيا مهما كانت صفتها، وذلك لأنها ناتجة عن معتقد في القلب، بينما تقوم الوشائج الأخرى على العاطفة، أو المصلحة، أو الهوى، أو العصبية.

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ **لسعيد بن العاص** ـ رضي الله عنه ـ، وقد مرّ به: إني أراك كأن في نفسك شيئاً، أراك تظنّ أني قتلت أباك، إني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله، ولكني قتلت خالي **العاص بن هشام بن المغيرة**، فأما أبوك، فإني مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه[٩] فحدت عنه، وقصد له ابن عمه علي فقتله. فقال له سعيد: لو قتلته لكان على الباطل وأنت على الحق.

وكان بين أسرى قريش يوم بدر **أبو عزيز بن عمير بن هاشم** أخو مصعب بن عمير رضي الله عنه لأمه وأبيه، وكان الذي أسر أبا عزيز رجل من الأنصار يدعى أبا اليسر، وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد **النضر بن الحارث**، ومرّ مصعب بن عمير بأخيه الأسير، فقال للذي يأسره: شدّ يديك به، فإن أمّه ذات متاع، لعلها تفديه منك، فقال أبو عزيز لشقيقه مصعب: يا أخي، هذه وصاتك بي! فقال له مصعب: إنه أخي دونك.

واستشار رسول الله ـ **صلى الله عليه وسلم** ـ أصحابه في أسرى بدر، فمنهم من أشار بالفداء كأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ إذ قال: يا رسول الله، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً. ومنهم من أشار بالقتل مثل عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن معاذ، **وعبد الله بن رواحة** رضي الله عنهم، فما قاله عمر رضي الله عنه: والله ما أرى رأي أبي بكر، ولكني أرى أن تُمكّني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه، وتُمكّن علياً من **عقيل بن أبي طالب** فيضرب عنقه، وتُمكّن الحمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم.

ونلاحظ في هذه الوقائع إصراراً على ترك العواطف، وتخلّياً واضحاً عن العصبيات، وتحدّياً سافراً لكل مُقوّمات المجتمع الجاهلي، التي تقوم على التعصّب للقبيلة، والدفاع عنها بكل الإمكانات، والفخر بالانتساب إليها، ثم الذود عن الأسرة سواء أكان بالحق أم بالباطل، والموت في سبيل رفعتها، وسمعة العشيرة. ثم نلاحظ التأكيد على الأخوة في العقيدة، والعمل على حماية الإسلام، والجهاد في سبيل الله لنشر الدين، وكل هذه أفكار جديدة طرحها الإسلام، وأصبحت مبادئ لأبنائه الذين تركوا المبادئ الجاهلية وتخلّوا عنها، واعتقدوا أن مبادئهم الجديدة ستبقى سبب نجاحهم وانتصاراتهم، فإذا تراخت نفوسهم عن حملها ضعف كيانهم، وانحطّ مجدهم، وبدأت تزول دولتهم، وفي الوقت نفسه، تعود الأفكار الجاهلية للظهور والانتشار. وبمقدار ما تتوسّع أفكار أحد الجانبين تضمر أفكار الجانب الآخر.

وفي سنة ست للهجرة ، كانت **غزوة بني المصطلق** على ماء لهم يُسمّى « **المريسيع** » ، فبينما رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أجير له من **بني غفار** يُدعى **جهجاه بن مسعود** يقود فرسه ، فازدحم جهجاه **وسنان بن وبر الجهني** ، حليف بني عون بن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهني يا معشر الأنصار . وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين . فغضب **عبد الله بن أُبيّ بن سلول** ، وعنده رهط من قومه ، فيهم **زيد بن أرقم** غلام حدث . فقال عبد الله بن أُبيّ : أوقد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا . والله ما أعدُّنا وجلابيب[10] قريش إلا كما قال الأول : سمّن كلبك يأكلك ! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم :

هذا ما فعلتم بأنفسكم . أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم . فسمع زيد بن أرقم ما قاله رأس المنافقين عبد الله بن أُبيّ بن سلول ، وشعر بأخوة الإسلام ، فمشى به إلى رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ ، وذلك عند فراغ رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ من عدوّه ، وأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ ، فقال عمر لرسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ مر به **عبّاد بن بشر** فليقتله . فقال رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ : « فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ؟ ، ولكن أذّن بالرحيل » ، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ يرتحل فيها . فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أُبيّ بن سلول إلى رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلّغه ما سمع منه ، فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلّمت به . وكان ابن أُبيّ في قومه شريفاً عظيماً . فقال من حضر رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل .

فلما استقل رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ وسار لقيه **أسيد بن الحضير** ــ رضي الله عنه ــ فحيّاه بتحية النبوة وسلّم عليه ، ثم قال : يا نبي الله ، والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها ، فقال له رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ : « أوما بلغك ما قال صاحبكم ؟ » . قال أُسيد : وأي صاحب يا رسول الله ؟ . قال رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ : « عبد الله بن أُبيّ » ، قال أُسيد : وما قال ؟ . قال رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ « زعم أنه إن رجع إلى المدينة ، أخرج الأعزّ منها الأذل ؟ » . فقال أُسيد : فأنت يا رسول الله ، والله لتخرجنّه منها إن شئت . هو والله الذليل وأنت العزيز . ثم قال : يا رسول الله ، ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه ، فإنه ليرى أنك قد أسلبته ملكاً .

وبلغ الخبر **عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ** ، وكان شاباً مؤمناً ، عرف حقيقة الإسلام ، وفهم الأخوة الحقّة في هؤلاء القوم الذين يسير معهم ، ويخالفهم في ذلك والده عبد الله بن أُبيّ ، فأتى رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ فقال : يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبيّ فيما بلغك عنه ، فإن كنت لا بدّ فاعلاً فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت **الخزرج** ما كان لها من رجل أبر بوالده منّي ، وإني أخشى أن تأمر غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبيّ ، يمشي في الناس ، فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار . فقال رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ : « بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا » .

ولما قفل الناس راجعين إلى المدينة ، أسرع عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ ، ووقف على باب المدينة ، واستلّ سيفه ، فجعل الناس يمرون عليه ، فلما جاءه أبوه عبد الله بن أُبيّ قال له ابنه : وراءك ! فقال : ما لك ؟ ويلك ! فقال الابن : والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ ، فإنه العزيز وأنت الذليل ! . فلما جاء رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ ، وكان يسير ساقة (في مؤخرة الجيش ينظر المتخلف والضال والمحتاج إلى معونة) . فشكا إليه عبد الله بن أُبيّ ابنه . فقال ابنه عبد الله : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له . فأذن له رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ . فقال الابن : أما إذ أذن لك رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ فجز الآن . وهكذا ، فقد استعلى عبد الله بإيمانه على كل آصرة عرفتها البشرية ، فكانت أقربها إليه تحت قدميه ، وهي آصرة الأبوة التي تُعدُّ أهم رابطة عند كل بني البشر .

دور النساء

وللنساء دور لا يختلف عن دور الرجال في هذا المجال ، فقد خرج أبو سفيان من مكة المكرمة قاصداً المدينة المنورة ، ليؤكّد **صلح الحديبية** ، أو ليزيد في مدته ، خوفاً من أن يقوم المسلمون بردّ فعل بعد أن اعتدت **بنو بكر** حليفة قريش ، وبدعم منها وتشجيع ، على **خزاعة** حليفة المسلمين ، فلما وصل أبو سفيان إلى المدينة المنورة ، دخل على ابنته

أم المؤمنين **أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان** ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ طوته عنه ؛ فقال : يا بنية ، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عنّي ؟ ، قالت : بل هو فراش رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحبّ أن تجلس على فراش رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ ؛ قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدي شرّ .

وتمرّ النفس البشرية بمراحل من الضعف ، فيختلف المسلم مع أخيه ، وتصطدم الجماعة المؤمنة مع الثانية ، ولكن لا يلبث المؤمن أن يثوب إلى رشده عندما يُذكّر ، وترجع الطائفة عن غيّها إذا ما نُبّهت ، وتُقاتل إذا ما تمادت حتى تعود ، ولا يمكن أن ننزع صفة الإيمان عن هذا أو تلك .

عن **أنس بن مالك** رضي الله عنه ، أن رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ قال : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » . فقال رجل : يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً ، أفرأيت إن كان ظالماً ، كيف أنصره ؟ ، قال عليه الصلاة والسلام : « تحجزه أو تمنعه عن الظلم ، فإن ذلك نصره »[11] .

قال **أبو ذر الغفاري** ــ رضي الله عنه ــ : « إني سابيت رجلاً فعيّرته بأمه ، فقال له النبي ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ : « يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلّفوهم ما يغلبهم ، فإن كلّفتموهم فأعينوهم »[12] .

اليهود .. يسعون للإفساد

وأراد اليهود أن يحطّموا المؤاخاة التي تمّت بين المسلمين بإثارة العصبية ، وإيقاع الفتنة ، فمرّ أحدهم وهو **شاس بن قيس** على جماعة من المسلمين من الأوس والخزرج ، وقد صفا لهم الجو ، وراقت لهم الحياة ، بعد أن أزال الإسلام عنهم روح الجاهلية ، فساء هذا الود اليهود ، فدعا شاس بن قيس أحد شباب اليهود ، وطلب منه أن يجلس مع هؤلاء النفر من الأنصار ، ويذكر أمامهم **يوم « بُعاث »** ، وما قبله من أيام اختلف فيها الأوس والخزرج ، وينشد ما قيل من أشعار في تلك الأيام الجاهلية لإثارة الفتنة ففعل ، وقد كادت تقع ، حتى تواعدوا ظاهر الحرّة ، على حين غفلة من أخوة العقيدة التي غرسها الإسلام ، ووصل الخبر إلى رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ فأسرع إليهم ، فوقف فيهم خطيباً ، وقال : « يا معشر الأنصار ، الله ... الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع عنكم به أمر الجاهلية ، واستنقذكم من الكفر ، وألّف بين قلوبكم » . فما إن سمع الأنصار قول رسولهم حتى ثابوا إلى رشدهم ، وانقلبوا بنعمة الله إخواناً ، وزالت من نفوسهم وساوس الشيطان ودعوى الجاهلية .

وقد يتطوّر الخلاف ويستحكم ، وتثور الفتنة ، ويقع القتال ، وعندها يقع أمر تحسمه أخوة العقيدة . **﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾**[13] . إذ يُستباح قتال البغاة من المسلمين ليُردّوا إلى صفّ إخوان العقيدة ، ولكن لا يُجهز على جريح ، ولا يُقتل أسير ، ولا يُتعقّب مدبر ترك المعركة وألقى السلاح ، كما لا تُؤخذ أموال البغاة غنيمة ، ولا تُسبى الذراري ، لأن الغرض من قتالهم ليس هو القضاء عليهم ، وإنما ردّهم إلى الصفّ ، وضمّهم إلى لواء الأخوة الإسلامية .

هذا ، ما فهمه المسلمون الأوائل من صحابة رسول الله ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ والتابعين ، والسلف الصالح جميعهم من معنى الأخوة في العقيدة فطبّقوها وتمكّنوا بعد ذلك من تكوين المجتمع المتراص البنيان الذي يستطيع أن يُؤدي مهمته في الحياة ، وقد قدّموا ــ رضوان الله عليهم ــ الدور العظيم في إعمار الأرض ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور .

الهوامش

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٠ .
(٢) متفق عليه .
(٣) سورة الأنفال ، الآية ٧٥ .
(٤) قال سعد هذا لعبد الرحمن ــ رضي الله عنهما ــ بعد حديثه مع زوجتيه وموافقتهما على ذلك ، وأن نساء الأنصار ، كانت كرجالهن أهل إيثار ، ويحبون من هاجر إليهن ، ويؤثرونهن على أنفسهن ولو كان بهن خصاصة .
(٥) أخرجه البخاري .
(٦) الشكة : السلاح .
(٧) اليعبوب : الفرس الكثير الجري .
(٨) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .
(٩) الروق : القرن .
(١٠) الجلابيب : اسم كان يلقب المنافقون به المهاجرين .
(١١) رواه البخاري والترمذي .
(١٢) رواه البخاري .
(١٣) سورة الحجرات ، الآية ٩ .

أحلى الغرام

شعر: مقبل العيسى

كيدي فطبعك أن تكيدي … يا ربةَ الحُسْنِ الفريدِ
كيد النسّاء طبيعة … فيهن من زَمَنٍ بعيدِ
ما أنْتِ غير جميلةٍ … والحسن مغرورٌ فكيدي
حوّاء قبلك لم تدَعْ … إغراءَ شيطانٍ مريدِ
والقلب عند الغانيا … ت يملأُ من رجلٍ، وحيدِ
حوّاءَ غدركِ بي أرا … ه قلائداً عَلَّقْتُ بجيدي
كيدي لي يا أشقى عذا … بٍ بات يَنْهَشُ في وريدي
لا خوف من حَنَقي عليـ … ـك فأنتِ قيدي من حديدِ
قيدي إذا لم تعلمي … أخلاق أمجاد وصيدِ
تأبى عليَّ كرامتي … حقداً على شفةٍ وجيدِ
فإذا يئست فردّدي … دعواكِ بل بيت القصيدِ
قولي بأني قد بلو … ت هواكِ من حَذَرٍ شديدِ
وبأن قلبي لم يَعُدْ … ينقاد للحسن الغريدِ
دعواكِ كالزمن الرديء … يضيق بالطيب الأكيدِ
وضُحاكِ عندي صبحه … لم يأتِ بالشيء الجديدِ
حوّاءَ يا عطشاً يتو … ق إلى حطام في صعيدي
أحلى الغرام إذا سمو … ت ومرةً أن يستفيدي

كم هو البحث العلمي ضروري، لا في العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية فحسب، بل في علوم الأدب ومعارفه المتنوعة. هناك العديد من الظواهر الأدبية التي أسيء فهمها فأسيء بالتالي تقويمها، وما يعرفه عنها القارئ لا يمت إلى الحقيقة بصلة.

فهذه الظواهر كثيراً ما تخضع للمزايدات والتفسيرات الشخصية أو الفهم المذهبي والمتحيّز، الذي كثيراً ما يجتزئ الحقيقة، ويحرف الواقع عن سياقها الأصلي، ويوظف ذلك كله لخدمة هذا الاتجاه أو ذاك أو هذا المجدد أو الرائد ونحو ذلك. وكثيراً ما تدخل إلى جانب العواطف الشخصية العواطف الإقليمية فتزيد الطين بلة، وتضفي على الحقيقة ما ليس منها، فتبقي القارئ مضللاً وحقائق الأمور مستترة يختلط خيطها الأبيض بخيطها الأسود، فلا نستطيع التمييز بين خيط وخيط لنمسك باليقين.

ثم إن هذا الناقد أو ذاك لا يضع بين أيدينا من استقرائه قبل الوثوب إلى النتائج والأحكام غير صورة مجتزأة لا تعبِّر عن حقيقة الحال ولا تصورها كما هي. من هنا نجد أن البحث العلمي ليس ضرورة فحسب، بل هو واجب لأنه يهدم ما ليس موثقاً من العلمية، ويدعو إلى توثيق الحقائق التي تتلاعب بها الأهواء والمعتقدات الخاطئة، ويقف بالمرصاد للكتابات التي لا تحترم الموضوعية والحقيقة، وينقضها في مصلحة كتابة قائمة على المعلومات الصحيحة.

ظاهرة الشعر الحرّ

ولنأخذ على سبيل المثال ظاهرة الشعر الحر التي لم يجف حبر الأقلام بعد في الكلام عنها.

فإذا تجاوزنا ما كتب ويكتب عنها في الصحف اليومية والمجلات الدورية والأسبوعية هالنا ما نقرأ من تفسيرات ومقاربات. **نازك الملائكة** في كتابها «**قضايا الشعر المعاصر**» تدعي لنفسها إبداع هذه الظاهرة بعد أن تأسست واستقرت وأصبحت تياراً. وفي أواخر الأربعينات، قام تيار قوي لهذه الظاهرة في العراق، شارك فيه **بدر شاكر السياب**، **وبلند الحيدري**، ونازك، **وشاذل طاق**، **والبياتي**، فماذا يسوغ لنازك حق الادعاء لها وحدها؟!.

غالي شكري في «**شعرنا الحديث إلى أين**»، لا يهمه المصطلح والنشأة والريادة، بل يسارع في استقراء سريع إلى تعيين الاتجاهات الشعرية وفهمها فهماً نقدياً مختزلاً.



★ علي أحمد باكثير ★

ومحمد النويهي في « **قضية الشعر الجديد** » ، ينصف شعراء مصر الذين تجاهلتهم نازك ، ويمس مؤثرات **تي . إس . إليوت** في الحركة الشعرية الحديثة سيما ظاهرة الشعر الحر ونشأتها مساً رقيقاً .

وعز الدين إسماعيل ، يهتم بالبنية والصورة والرمز في سياق اصطفائي ، لا يراعي الصور التاريخية لنشأة الحركة وظروفها في كتابه « **الشعر العربي المعاصر** » .

ما من دراسة واحدة تقدم للقارئ تاريخاً في الزمان والمكان والسياق الحضاري ، ويوضح حقائق الحركة الشعرية الحديثة ، وتطور مفهوم التجديد على مساحة الوطن الشعري ، والشعراء الذين أرسوا قواعد هذه الحركة الأولية . إن هذا الناقد أو ذاك يجهد في خلق الأطر الموضوعية لتبرير رؤية نقدية مجتزأة ، لذلك يحل الاجتزاء محل استقراء النصوص استقراء كاملاً في شبه كامل لهذه الحركة ونشأتها وتدرجها التاريخي والحاجة إلى دراسة نقدية تاريخية لهذه الحركة ما تزال قائمة .

ثم إن هذه الكتب المذكورة رغم أهميتها النسبية لم تول اهتماماً كافياً لإسهامات العديد من شعراء الشام ومصر والمغرب والجزيرة العربية وغيرها ، ويحس القارئ أنه أمام صورة مختارة مصطفاة لكنها مجتزأة .

إن صورة الإنجازات المبكرة لحركة الشعر الحديث لا تزال بحاجة إلى جلاء من الوجهة التاريخية . ولو فعلنا ذلك لأيقنا أن نشوء حركة الشعر الحر ، لم يكن استعارة آلية من الغرب ، كما يذهب إليه خصوم الظاهرة والحركة ككل ، كما لم يكن إنجازاً فردياً ، كما يذهب إليه كثير من روّاد هذه الحركة والمشتركون بها ومشايعيهم من هواة الشعر والنقد . لم يكن عملاً فردياً بقدر ما كان تعبيراً عن حاجة كيانية استشعرتها الأجيال العربية الشعرية على اختلاف المنشأ ، فساهم كل جيل ، حسب علمه وموهبته ، بإرساء القواعد المناسبة ووضع حجارة الأساس .

باكثير .. الرائد

لقد ألقى النقّاد ضوء كافياً على إسهامات شعراء العراق ، **وما يزال كثير من الدارسين يعتقد خطأً أن ظاهرة الشعر الحر ، هي من إنجاز المدرسة العراقية وحدها . وهو بعض الحقيقة لا الحقيقة كلها .**

إلا أن ريادة هذا النوع الشعري ليست لنازك الملائكة ، ولا لبدر شاكر السياب ، كما يعترف هو نفسه في واحدة من مراسلاته **لمجلة الآداب البيروتية** عام ١٩٥٤م . . . بل **لعلي أحمد باكثير وهو شاعر مسرحي من حضرموت من الجزيرة العربية** . فقد كتب باكثير شعراً تقليدياً وكان من المتمرسين بالقصيدة الموحدة الوزن والقافية وبأغراضها وعمودها .

لكنه خلافاً **لخليل اليازجي** ، صاحب أول مسرحية شعرية بعنوان « **المروءة والوفاء** » في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي ، وخلافاً **لشوقي** أمير الشعراء وجيله ، لم يجد القصيدة العمودية صالحة للنوع الشعري المسرحي ، رغم أنه ــ أي باكثير ــ كان من أنصار الاتباع الحديث في شعره الغنائي .

وتجربة باكثير تجربة كاملة ، رغم أن شرارة البداية فيها كانت ترجمته لرواية **روميو وجولييت** . لقد فرض النموذج الشعري الإنجليزي نفسه على المترجم باكثير ، لكنه لم ينقل ذلك نقلاً حرفياً لخلاف نوعي بين العروضين العربي والإنجليزي . ورغم مثول النموذج الشعري الشكسبيري لمفهوم « **النظم المرسل المنطلق** » ، أو « **RUNNING BLANK VERSE** » ، فالإرسال والإطلاق اللذان مارسهما باكثير يرتبطان بالوحدة الأساسية لإيقاع العروض العربي وموسيقاه الشعرية ، مما دعا باكثير واقتضاه العودة إلى جذوره الشعرية ، واستنباط الوحدة النغمية الأساسية للنظام الجديد منها .

طبعاً ، لا يمكن الدارس والباحث أن يتجاهل محاولات **لويس عوض** في « **بلوتولاند** » عام (١٩٤٧م) ، وهي مجموعة شعرية حاول فيها استكشاف النظام الجديد بشكل تجريبي أيضاً . لكننا نرتكب خطأً فادحاً حين نتجاوز ما حققه **علي أحمد باكثير** في وقت مبكر ، إن في ترجمته لمسرحية « روميو وجولييت » لشكسبير ، أو في مسرحيته الشعرية المرسلة الجيدة « **أخناتون ونفرتيتي** » ، التي أنجزها بما لا يقل عن عقد من السنين لمحاولات بدر شاكر السياب وجيله . فقد كتبها في عام (١٩٣٨م) ، ونشرها في القاهرة عام (١٩٤٠م) ، مستخدماً فيها ما أسماه بـ RUNNING BLANK VERSE أي النظم المرسل المنطلق ، الذي يستخدمه شكسبير في شعره المسرحي على حد تعبير باكثير نفسه .

قلنا اعترف بدر شاكر السياب الشاعر العراقي بأسبقية باكثير على تجربته وتجربة نازك وغيرها ، لكنه أصر على مصطلح الشعر المنطلق قبالة إصرار نازك على الشعر الحر (FREE



علي أحمد باكثير ..
وريادة الشعر الحر



★ نازك الملائكة ★



★ بدر شاكر السياب ★

VERSE) ، فهي تسكت عن إنجاز باكثير في الطبعة الأولى والثانية والثالثة لكتابها « **قضايا الشعر المعاصر** » ، ثم تنتحل أعذاراً واهية في طبعته الرابعة عام ١٩٧٤ م ، أي بعد اثنتي عشرة سنة من الطبعة الأولى ، وتضع شروطاً تعسفية لبدايات الشعر الحر لتبقي على باكثير في الظل ، رغم أن هذه الشروط التعجيزية تنطبق على كشف باكثير ، إلا أن نازك تصر على ريادتها وحدها لهذه الحركة بتحيز ظاهر يلبس ثوب الموضوعية ، وتترك للسياب موقعاً هامشياً في هذه الريادة .

وتجربة باكثير في رأينا جديدة في إيقاعها ومصطلحها من حيث المبدأ والتطبيق ، وهي غير تجربة **الزهاوي وزكي أبي شادي ومحمد فريد أبي حديد** وغيرهم ، التي قامت إما على إرسال القافية ، أي التحرر منها على شكل الـ « BLANK VERSE » ، أو خلط التفعيلات كما عند زكي أبي شادي ، لأنهم أبقوا على مبدأ تناسبية البيت ، ولم يفكوا الوحدة ، أو الوحدات الأساسية للعروض العربي ، ويوزعوها توزيعاً جديداً كما فعل باكثير .

بكلمة واحدة ، لقد دمروا محطات الإيقاع للقصيدة الغنائية التي تعتبر ضرورة ولم يستحدثوا بنية موسيقية بديلة ، وإن كانت محاولاتهم قد مهدت الطريق لتجارب باكثير والسياب وغيرهما .

أما إرهاص **عبد القادر المازني** في القصيدة القصصية التي نشرت في مجلة « **الحرية** » في العراق عام (١٩٢٣ م) ، وفك فيها بحر الرمل ، فقد كان عفوياً ، ولم يؤثر في حركة الشعر فعلياً كما أثر باكثير في السياب وعبره إلى باقي الشعراء . وهو إرهاص بقي فرداً معزولاً إلى درجة أن عبد القادر المازني** لا يذكره على الإطلاق في مقدمته لمسرحية باكثير ، ويسم المحاولة الأخيرة بالجدة كلياً في عام (١٩٤٠ م) .

ولعل السياب بصفته شاعراً متمرساً بالقصيدة الغنائية كان يؤكد على الطرف الأول من المصطلح الإنجليزي أي (RUNNING) ، وهو أدل على انطلاق الوزن الجديد من الأوزان القديمة من مصطلح نازك (الحر) أي (FREE) الذي يرتبط بخلط الأوزان والتجرد من الإيقاع الواحد بالإيقاعات المتعددة في القصيدة الإنجليزية أو الفرنسية الواحدة . بينما في العربية حررنا التفعيلة من قيدها التناسبي ، ومحاولة خلط التفعيلات بعضها ببعض وفي النظام الجديد باءت بالفشل .

أحقية الريادة

وعلى هذا ، فالتجربة والظاهرة ، ظاهرة الشعر الحر كما شاعت وكان حقاً أن تسمى بالمنطلق ، كما ذهب إليه أصل المصطلح بالإنجليزية وتمسك به السياب نقلاً عن باكثير ، هذه التجربة ومصطلحها واضحة الانتماء إلى بدايات علي أحمد باكثير الشاعر المسرحي الحضرمي نزيل القاهرة .

إذن ، فريادة النظام الجديد في بنيته الإيقاعية المولدة لحركة الشعر الحر لم تكن لشعراء العراق أو مصر أو الشام ، بل لشاعر من حضرموت .

الظاهرة والشعراء العرب

إلا أن شعراء هذه البلدان استفادوا من تجربة باكثير وتوسعوا بها ، وزادوا على إيقاعاتها حتى تجاوزت الدائرة الأساسية التي بدأ منها باكثير .

لويس عوض يصرح عن رغبته بتطعيم النظام القديم بالنماذج الغربية لتحديث التراث عن طريق المحاكاة ، ولا يذكر شيئاً عن تجربة باكثير .

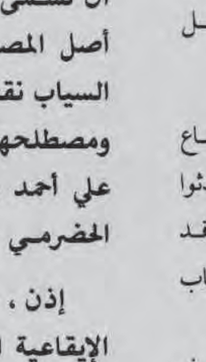
نازك ، رغم أنها في قصيدتها « **الكوليرا** » أطلقت البحر نفسه (**المحدث**) الذي أطلقه باكثير في مسرحيته ، تزعم بداية مستقلة تبرر اعتقادها أنها مكتشفة ورائدة ، والحيدري لا يقول شيئاً . لكن بدر شاكر السياب أبكرهم إلى المحاولة والتجربة الجديدة يعترف بفضل باكثير .

وإذا اعتبرنا تجربة السياب وغيره من مجايليه ، نجد أنه نقل إطار التجربة من الشعر المسرحي الذي اختص باكثير به نفسه إلى القصيدة الغنائية .

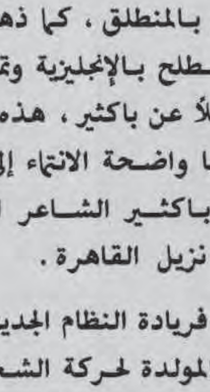
قد تكون القافية مطلوبة في هذا النوع الأخير ، لكنها في المسرح تقف عائقاً دون الغرض ، وكذلك في الأنواع الملحمية والقصصية . لذلك تخلى باكثير عنها وتمسك بها متنوعة بدر شاكر السياب ، فقد تبنى هذا الشاعر الذي لم يكن المسرح من همومه ، رغم درامية بعض قصائده ، إرسال التفعيلة من صيغة البيت العربية التناسبية كما فعل باكثير ، ولكنه أبقى على نسق القافية المتعددة مع بنية نغمية موحدة للقصيدة .

وكذلك فعل مجايلوه من حركة الشعر الحر ، فحرروا التفعيلة من صيغة التناسب وشكلوها في صيغ حرة ، بينما أرسلها باكثير من القافية أيضاً تبعاً لغاياته المسرحية وغير الغنائية ، فدمج شكلي الشعر : **المرسل** (BLANK) ،

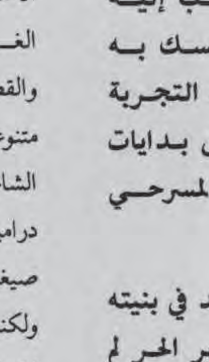
★ البياتي ★



★ ت . س . إليوت ★



★ د . عز الدين إسماعيل ★



والمنطلق (RUNNING) الذي استبدل فيما بعد **بالحر** (FREE) في شكل واحد يلائم النوع المسرحي وحركته وتوتره وتمسك الشعراء الآخرون بقافية متنوعة تلائم القصيدة الغنائية الجديدة .

الأصالة والتماس الغربي

هذه التجربة التي كان لها أكبر الأثر في شعرنا العربي الحديث والمعاصر ، تمت إذن على يد شاعر حضرمي من الجزيرة العربية ينزل في القاهرة . وقد توفرت عوامل متعددة لولادة هذه الظاهرة هناك .

فالتماس الضروري بالأنواع المسرحية والوسط الحضاري النامي والمتحرك ، ومعرفة كافية بالتراث العربي وأصوله . ومع أن باكثير حاول أن يمزج تفعيلات متنوعة لبحور متعددة كالمتحدث والمتقارب وغيرهما ، إلا أنه في مسرحيته « أخناتون » اقتصر على بحر واحد هو المتدارك أو المحدث ، وزاوج بين تفعيلته الأصلية (فاعلن) على ما يذهب إليه أهل العروض وجوازها (فعلن) في النظم ، وفك تناسبية البيت الواحد ، بأعداد متفاوتة من التفعيلات أو الوحدات غير المتساوية خلافاً للبيت القديم .

وقد قدم إلى هذه المسرحية **عبد القادر المازني** وهو من فرسان مدرسة « **الديوان** » بشيء من التردد والشك في صلاحية الشكل الجديد في صورة البحر المحدث يقول :

« هذه ثمرة أخرى يجنينا إياها الصديق باكثير ــ كثر الله خيره ــ من بستان أدبه . وكانت الأولى مما ترجم عن شكسبير ، قرأته منسوخاً وراجعته على الأصل ، وشهدت للصديق بالدقة والاقتدار ، ونفي في نفسي شك في صلاح البحر الذي تخيره لهذا الضرب من الشعر المرسل الذي يجري فيه الحوار التمثيلي » .

« ولشدة ما تمنيت وأنا أتلقى من الصديق كتابه الجديد ، لو أنه كان جعله قصة منثورة ، فقد درس أخناتون وعصره درساً يعين على التوسع المشبع ، ولكنه شاعر . . وماذا تنتظر من الشاعر إلا أن يشعر؟؟ وفي أخناتون نفسه ــ وهو موضوع الكتاب ــ شاعرية معدية على أني ما لبثت أن راجعت نفسي فيما تمنيت ، فقد وجدت في شعر الصديق أبي كثير تحوراً وسلاسة وسهولة لا تدع للنثر مزية والنظم قيد ، ولكن أباكثير لا يعبأ به ولا يشعرك أنه تكلف فيه جهداً ، ولا يكاد قارئه يدرك أن هذا شعر موزون .

« وقد كانت الصعوبة الكبرى في نظم القصص التمثيلي ، أن بحورنا تغلب عليها الموسيقية فهي لا تكاد تصلح للحوار فما كل كلام يستحق أن يجري مجرى الموسيقى ، أو بالذي يطيب في السماع أن يجري هذا المجرى ، فالحاجة شديدة إلى بحر يتسع ويتحدر ولا يضيق بألوان الحوار الطبيعي ولا يثقل على القارئ منه ، التوقيع والتنغيم ، ولا يبدو على الكلام من جراء ذلك أثر التكلف .

« وأحسب أن الصديق باكثير قد وفق في اختيار بحر لشعره التمثيلي يسهل وروده على الأذن ويطرد فيه الكلام اطراد النثر » (ص ص ٧ ــ ٨) من مقدمة المسرحية .

وهكذا فإن مهارة باكثير وحذقه وتجويده أقنعت المازني بصلاحية الشكل الجديد في صورة البحر المحدث ، كما أطلقه باكثير واقتنع بأهمية المحاولة الجديدة وقيمتها في تطوير الأداة الشعرية في المسرح عندنا .

إن التماس بالآداب الغربية وحده لم يؤد إلى تبني أو استيراد الصيغة الغربية لشعر منطلق أو حر ، بل حرض المبدع على العودة إلى الجذور ، فاستنبط من قيمها الثابتة قيماً ديناميكية متحركة ، وولد من وحدات العروض العربية وتفعيلاتها الأساسية صيغاً شعرية موسيقية جديدة لسبعة أو ثمانية بحور منطلقات جديدة قائمة على الوحدة القديمة نفسها الذي قام عليه شعرنا العربي ، واكتشف نظامه الخليل بن أحمد الفراهيدي .

لست في مقام التقويم الكلي لأعمال باكثير المسرحية وشخصيته ، لكني لا أود أن أجتزئ إنتاجه أو إسهامه في إيجاد معادلة إيقاعية جديدة من سياقها الإبداعي . ولا بد لي هنا من أن أنوّه بأن معاصريه من النقّاد لم ينتبهوا إلى أهمية ما وقع عليه باكثير . لم يتردد المازني في إعطاء باكثير حقه حين تكلم عن بنية المسرحية « أخناتون ونفرتيتي » ، فشهد له بقدرته على تصوير عصر أخناتون وسبر أبعاده وإبراز شخصياته إبرازاً درامياً من أخناتون نفسه إلى شخصية الملكة تي امرأته ، ونفرتيتي زوجته الثانية ، وما بينهما من صراع الغيرة وحبهما لأخناتون .

إن المهارة والحذق في التركيب المسرحي اللذين شهد له بهما **محمد مندور** لا يؤديان بباكثير إلى جادة التلفيق الدرامي كما أعتقد ، ومسرحية أخناتون شاهد على ذلك . وأنا هنا لا أود أن أطرح قضية باكثير المسرحية بقدر ما أريد أن أقيم وقوعه على المعادلة الإيقاعية في إطاريها التاريخي والإبداعي وسياقها العضوي .

يقول أخناتون من الفصل الثاني ، المنظر الثالث من المسرحية (ص ٦٦٠) :



علي أحمد باكثير . .
وريادة الشعر الحر

★ خليل اليازجي ★



★ د . لويس عوض ★



«كيف أثني عليك إلهي؟ بأي لسان؟
يا من خلق الألوان أفانين شتى
وأرسلها تسري في هذا الكون العجيب!
في السماء وزرقتها، في البحر المحيط
في النجوم ولألائها، في انبثاق الفلق
في سواد الليل البهيم وسود الحدق»

وتقطيعه هو كما يلي:

فاعلن فاعلن فعلن فاعلن فعلان
فعلن فعلن فعلن فعلن فاعلن فا
علن فعلن فعلن فعلن فعلن فاعلان
فاعلن فعلن فعلن فعلن فاعلان
فاعلن فعلن فاعلن فاعلن فاعلن
فاعلن فعلن فاعلن فعلن فاعلن

والملاحظ أن باكثير يختار **المتدارك** لأنه يتسع للغة الكلام اليومي أي له قدرة على استيعاب الحوار الذي يتطلبه العمل المسرحي من حيث الأداة.

لكنه يعتمد على ما يسميه العروضيون بأصل تفعيلة هذا البحر هو «فاعلن» لا فعلن التي يفضلها شعراء القصيدة الغنائية. وينطلق باكثير من فاعلن إلى فعلن وفعلن كجوازين عروضيين لتفعيلة البحر المذكور. ويلائم ملاءمة موسيقية جيدة بين الأصل وبين جوازه، لكن هذه الملاءمة لا تسعفه دائماً بل تخونه أحياناً، مما يشعرنا بعدم انسياب الإيقاع وتدفقه، كما أنه في أعجاز الأبيات يصلها أو يفصلها بالسياق كما يقتضيه الوزن، فيخرج إلى فاعلان أو فعلان ولا يستقيم له ذلك إلا بتسكين الكلمة والوقوف عليها في العجز وهو جواز مستحدث لا تتسع له الجوازات الموروثة.

إن الإيقاع الذي اعتمده باكثير في ترجمة روميو وجولييت ومسرحيته هذه يستأهل دراسة موسعة علمية على طريقة **البنيويين** الذين يستخدمون الحاسب الآلي لرصد المعادلة الإيقاعية، أصولها وتفريعاتها وخصائصها المولدة، لكني هنا أعني بالخطوط العامة شكلها وهويتها.

لم يكن يدر في خلد باكثير أن عثوره على مبدأ إطلاق البحر المتدارك سيؤدي إلى توليد نظام عروضي وبحور جديدة استخرجت من صلب القديم. فالتجريب كان سبيله إلى تغيير البنية الفنية من أجل استيعاب مضامين جديدة وأنواع شعرية وافدة، لأن إخضاع هذه الأنواع كالمسرح والقصة والملحمة لصيغة القصيدة الغنائية ربما أغنى هذه القصيدة، ولكنه فرض شكلاً جاهزاً سلفاً على مضامين تستدعي أشكالها.

وحين تستبدل هذه الأشكال، تخسر روح الأنواع الشعرية التي تتعامل معها، وتتحول بها من جسد ملائم إلى جسد آخر مستعار.

إن التماس مع الآخر الأجنبي تراثاً وأدباً وثقافة وعلماً، إن هو إلا شكل من أشكال النظر إلى الذات في مرآة الآخرين. وهذا هو ما تعنيه في الجوهر تجربة باكثير وجيله، لأن الهم الأساسي هو العودة إلى جذور الهوية الحضارية وتميزها والقدرة على المشاركة بالإنجازات الإنسانية.

إن الاستلاب والتهجين لا يصدران إلا عن شخصيات ضعيفة مهزوزة، أما التجريب عن قدرة ووضوح الشخصية فمشروع لا من أجل الإضافة فحسب، بل من أجل أن يبقى التراث الذي إليه ننتسب حياً متحركاً بجذوره في باطن التاريخ وتربته وبفروعه التي تعانق الريح وضوء الشمس.

نتيجة

وهكذا يتبيّن لنا في النتيجة أن باكثير لم يكن يسعى إلى ريادة لم تخطر له على بال، بل كان يحاول عن طريق التجريب أن يخلق أداة مسرحية شعرية تقابل مفهوم الشعر المرسل الذي يستخدمه شكسبير، فوقع على ما وقع عليه. وفي هذا تكمن أهمية اكتشافه إذا صحّ التعبير، لكن هذا الاكتشاف له أهمية مثلثة أصابت دائرة الشعر الحر، ودائرة المسرح الشعري، ودائرة الدراسات المقارنة، حاولت في هذا البحث المتواضع أن أرسم حدودها وأجلو معالمها.. والله الموفق.

الهوامش

★ كنا قد طرحنا هذا الموضوع وعالجناه في أطروحتنا للدكتوراه: FREE VERSE IN MODERN ARABIC LITERATURE - INDIANA 1969، وقد ترجمنا قسمها الأول في مئة واثنتين وثلاثين صفحة إلى العربية، وقد نشرته مكتبة الفكر الإسلامي في الرباط في طبعتين بصورة مونوغراف (١٩٧٤ ــ ١٩٧٥ م)، ومنذئذ أكثر من باحث عربي وأجنبي أثرى هذا الموضوع بمزيد من البحث والمناقشة، وإن لم يفرد لريادة باكثير ومضاعفاتها بحثاً خاصاً مما دفعنا إلى إعادة طرح الموضوع بالعربية، وما كان له من نتائج في تطوير حركة الشعر الحر في إطار النوع الغنائي. أما الشعر التمثيلي، فإن «مأساة الحلاج» لصلاح عبد الصبور، و«الحسين ثائراً»، و«الحسين شهيداً» لعبد الرحمن الشرقاوي وكلها نظمت على البحر نفسه الذي التزمه باكثير يمكن أن تعتبر امتداداً لطريقته التي وصل إليها أصلاً لأغراض الشعر التمثيلي لا الغنائي مما يستأهل بحثاً منفرداً.

★★ أوردها الدكتور يوسف عز الدين في كتابه «الأدب العربي الحديث.. بحوث ومقالات» بغداد، عام ١٩٦٧ م، وناقشه عبد الله محمد الغذامي في الشعر الحر والموقف النقدي حول آراء نازك الملائكة، مجلة «كلية الآداب والعلوم الإنسانية»، المجلد الأول، جامعة الملك عبد العزيز ــ جدة، (١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م).

★ محمد فريد أبو حديد ★ ★ د. محمد مندور ★ ★ المازني ★





تعريب الدخيل على اللغة العربية

بقلم : د. سامي الرباع



★ البيروني ★



★ الرافعي ★

لا أشاطر الرأي الشائع في بعض الأوساط العربية في أن اللغة العربية هي أكثر لغات العالم قدرة على استيعاب الدخيل ، فجميع اللغات الحية تقترض وتستعير وتخضع المقترضات لقوانينها اللغوية ، سواء في حقل الصوتيات أم في حقل الإعراب.

وهذا ما فعله أجدادنا عندما أحسوا بالحاجة إلى التعبير عن مفاهيم ومسميات لم يكن في لغتهم الأصلية ما يدل عليها . فاقترضوا وقربوا الحروف التي ليست في لغتهم أو التي لا يستجيب لها جهازهم النطقي في الاستعمال الشائع إلى أقرب الحروف لها في لغتنا .

كما أنهم اختصروا من حروف الكلمات حين كانت أطول مما يطيقون ، أو حين كان إخضاعها لمقاييسهم في التثنية والجمع والنسبة وغير ذلك من الأمور المعروفة يتعذر . فما توانوا عن أن يقبلوا مثلاً كلمة (**بارنامیه**) الفارسية إلى (**برنامج**) ، وذلك بقلب الـ (**ب**) إلى باء وهاء التسكين الفارسية التي لا تظهر عليها علامات الإعراب العربية إلى حرف هو (**الجيم**) ، لأنه يتناسب مع هذه الظاهرة . ثم كان الاستغناء عن النون في حال الجمع ، فجمعت على (**برامج**) لتكون على وزن مفاعل إلخ . . .

إن القدرة التي تتميز بها العربية على استيعاب المفردات الأعجمية تعود إلى قدم هذه اللغة واستمرارها . فاللغة الصينية مثلاً لغة قديمة ، وكذلك اليونانية واللاتينية ، ولكن أية من هذه اللغات لم يكتب لها البقاء والاستمرار . فالاكتساب عامل مهم في الاستمرار . وسلوك الاكتساب والمرونة عن طريق التعديل والصقل ساهم في استمرار اللغة العربية مدى القرون ؛ وأهلها لأن تكون لغة الفكر والأدب والعلم .

القدرة .. والملاءمة

فإلى اللغة العربية نقلت قديماً علوم **الهند والفرس واليونان** . وشهادات القدماء في قدرة العربية على استيعاب العلوم كثيرة نكتفي منها بما أورده **أبو الريحان البيروني** (٩٧٢ ــ ١٠٤٨ م) ، في كتابه (**الصيرفة**) ، الذي اشتهر بإتقانه العديد من اللغات السائدة في عصره كالهندية والسريانية واليونانية ، إلى شهادات من المستشرقين في العصور الحديثة .

إن هذه الملاءمة تعود إلى غنى اللغة العربية بالأصول والمشتقات . ثم إن استيعاب العربية للعلوم الدخيلة لم يكن استيعاباً اعتباطياً ، بل وفقاً لمقاييس دقيقة أفاض في ملاحقة تفاصيلها **أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا** (٣٢٩ ــ ٣٩٥ هـ) ، في كتابه (**معجم مقاييس اللغة**) . وقد شغلت هذه المقاييس نخبة من اللغويين الحديثين والمعاصرين ، بدافع سد الحاجات الحضارية الحديثة . فوضع فيها **الشدياق** كتابه (**سر الليال في القلب والإبدال**) ، ونشر فيها **اليازجي والرافعي ومبارك والعلايلي والأركوزي** العديد من المؤلفات .

دور المجامع

إن العودة إلى تلك الآثار إلى جانب ما نشرته المجامع اللغوية في **دمشق والقاهرة وبغداد** ، تزود الراغب بمادة دسمة تعينه على سد حاجته سواء كان مترجماً أم مقتبساً أم باحثاً . . . فإذا استحال الاشتقاق فلا ضير من نقل المصطلحات المستجدة في فروع الفلسفة والآداب والعلوم بلغاتها كالفيتامينات والهرمونات وغيرها من المصطلحات المألوفة عالمياً .

إن في ذلك لدليل على الحيوية . فعندما تكون الأمة حية لا يهمها أي عائق ولا يقف في سبيلها أي سد . بل تكاد تفعل المستحيل للوصول إلى غاياتها . وليس عيباً أن تقترض الأمة الناطقة بلغة ما مفردة أو أكثر من لغات جيرانها حين تدعو الحاجة ، أو أن تنحت من اللغة الأصلية لفظة تحل محل اللفظة المقترضة . وقد حدث هذا كثيراً في عصر النهضة .

فاستعمل العرب الناهضون لفظة (**أوتوموبيل**) ، ثم حلت محلها (**سيارة**) و (سيارات) ، واقترضوا (**كازيت**) وجمعوها على (كازيتات) إلى أن حلت مكانها (**جريدة**) و (**صحيفة**) ، و (جرائد) ، و (صحف) إلخ . . .

أما ما سعت إليه **المجامع العربية** في وقت من الأوقات لإيجاد ألفاظ تحل محل الألفاظ المقترضة ، كما في مثال (**السندويش**) ، فقد قدر لبعضه أن يحيا وأن يصير قاضياً على الكلمة المستعارة ، كما قدر لبعضه الآخر أن يعيش جنباً إلى جنب مع الكلمة المقترضة ، كما هي الحال مثلاً في (**التلفون**) ، و (**الهاتف**) . . . والبعض لم يكتب له العيش بحيث

ظلت الكلمة الدخيلة أقوى منه لأسباب عديدة أهمها الخفة على النطق والاستعمال . وهذا يحدث في جميع اللغات ، وأسبابه معروفة في الأبحاث اللغوية وبوسع من شاء الرجوع إليها .

الاجتهاد

ومن جهة أخرى ، فمما لا ريب فيه أنه من الخير للعرب أن يقترضوا ويسايروا ركب الحضارة العالمية من أن يظلوا متمسكين بشكليات لا تخدم الفكر العربي ، فالدخيل يهضم ويصبح من صميم اللغة أو يستغنى عنه بنشوء مستجدات لفظية تستجيب للمفاهيم الجديدة نشوء طبيعي يكون نتيجة لحيوية المستخدمين وتطورهم ، لأن الأمة غير القابلة للتجديد ، لا يمكن أن تبدع في أي ميدان ، وبالتالي لا يمكن للغتها ـ كونها وسيلة الفكر والإبداع ـ أن ترقى وأن تتطور .

فالمهم أن يندرج الاجتهاد تحت قاعدة النفعية أي سد حاجة المعنى المطلوب دون تعسف وقسرية . ذلك لأن اللغة من حيث هي مؤسسة متحركة لارتباطها بنشاط الإنسان المتجدد ، تتحرك هي بقانون الغاية لا قانون السببية ، لأن قانون السببية يعزلها فيما قانون الغاية يجعلها رفيقة التطور الفكري على اختلاف مجالاته .

ويعجبني في هذا المجال ما كتبه **الشيخ عبد الله العلايلي** في (مرجعه) حين يقول : « فهذا المرجع إذن ، عمل يتصل بالأساس اللغوي ويتصاعد مع اللغة تصاعدها الطبيعي الحيوي الحضاري . . . » ، فهو يكشف عن اللغة في جانبها اللغوي ـ الثقافي ، ثم يحقق دلالتها القديمة ويصل بينها وبين ما يحمل الذهن الحديث من طوابع ومفاهيم ليفرغ أخيراً إلى فتح باب الاشتقاق على مصراعيه وتطبيقه بأوسع أشكاله . وإذا علمنا أن مصدر الاشتقاق لا يقتصر على الجذور المصدرية للأفعال بل يتعداها إلى الاشتقاق من أسماء الأعيان ، اتسعت دائرة الاشتقاق بشكل يقرب إلى سد ما تستدعيه الحاجات المستجدة .

معاجم جديدة

ولا بد بهذا الصدد من الإشارة إلى معجمين جديدين ظهرا مؤخراً للدكتور **جبور عبد النور** اعتمد فيهما نهجاً يتميّز بالجرأة والحيوية ، فيقول في مقدمة (**المعجم الأدبي**) الذي صدرت طبعته الأولى في آذار (مارس) **١٩٧٩** م : « وقد راعينا في انتقاء مادته وصياغة نصه التقيد بما ارتضيناه من خطة وغاية وأنزلناه في قسمين اثنين : الأول منهما يسوق المصطلحات الأدبية ، أو بالأحرى ما اخترناه منها ، ويجلو أبعادها المعنوية ضمن اختصاص معيّن ، فتتلاقى على صفحاته ألفاظ ما تيسر لها من قبل المثول في المعاجم التقليدية ، إما لأنها معربة حديثة ، وإما لأن اشتقاقها القياسي لم يسبغ عليها هوية معترفاً بها . وأوردنا فيه مفردات لها مفهوم أدبي ضعيف الصلة بالمفهوم المعجمي العام ، بعد أن تطورت عبر الأيام على أقلام الكتّاب ، مما جعل معناها الجديد يطغى على معناها القديم . . . » .

ولم يجد المؤلف حرجاً في اصطفاء مفردات من نصوص لكتّاب محدثين أشاعوا في عروق هذه المفردات نبض الحياة . وهذا النهج نراه أبعد شمولا في (**معجم عبد النور**) « عربي ـ فرنسي » ، وقد التزم بشروط منهجية معيّنة اقتضاها هذا النوع من التأليف . فإن البعد الفكري الكامن في خلفية هذا العمل المعجمي كان وراء استضافة العديد من المفردات والمصطلحات التي تهيبت المعاجم السابقة عن استضافتها ، أو أنها وقفت من هذه الاستضافة موقفاً خجولا .

اللغة ظاهرة اجتماعية ، وهي بالتالي لصيقة بتطور الحياة ومفرداتها ، أصيلة كانت أم دخيلة . عن طريق الاشتقاق لا يجوز سجنها في نطاق مدلول ثابت لا يتبدّل .

الكلمة طاقة حيّة

إن إدراج المفردة في اللغات الحية من مدلول إلى آخر على مر السنين ، أمر مسلّم به في الدراسات اللسانية العالمية وإقبال المعجميين على تدوين طبيعة هذا الانزلاق المعنوي وأبعاده واجب محتم عليهم ، لتظل المفردة في أذهان الناطقين بها وبمفاهيمهم نابضة بالحياة وملمحة في الوقت نفسه إلى الأطوار التي اجتازتها في سنوات عمرها بإفصاحها عن حاجة لصيقة بالمجتمع وشؤونه .

إن هذه العملية هي في حد ذاتها أقرب ما تكون إلى تسجيل سيرة ذاتية للمفردة ، منذ تبرعمها إلى حين إنزالها في بطون المعاجم ، لتستقر في أبعاد معيّنة ومضمون محدد ، إلى أن يأتي من بعد كاتب بارع أو شاعر مبتكر أو عالم مخترع ، فيتصرف بها تصرفاً جديداً ، ويطور معناها بمختلف الأساليب الاشتقاقية والبلاغية المتعارف عليها في العلوم الصرفية والبيانية .

فالكلمة طاقة حية متنامية من حال إلى حال ومنتقله من محتوى إلى آخر حسب المعطيات الاجتماعية والحضارية التي تقتضي استعمالها في مستحدثات الأنماط المعاشية والفكرية والعاطفية .

إن تتبع هذا العدد الجم من المفردات في تحولاتها وشموليتها وما يقتضيه هذا التحري من ضروب الاستقصاء والتحليل والتعليل ، جعل من معجم عبد النور إنجازاً نموذجياً جديراً بالاقتداء ، ولا سيما ما تعلّق بتسقط ما يشاع من المفردات الحديثة في المجلات والجرائد والدوريات على وجه صحيح من الاشتقاق والانزلاق المعنوي الذي اكتسبت من خلاله حيوية جديدة بحكم الاستعمال الجديد .

إن تمكين اللغة العربية من أن تصبح لغة عصرية يبقى الشاغل النبيل للمثقفين العرب في أقطارهم كافة . ولكن هذا التمني لا يحققه الجهد الحثيث والتناول العشوائي المؤذي . لأن حسن التناول من مقتضياته الاستقصاء العلمي والدقة والاستنتاج ، فلا تموت لغتنا بفوضى الاجتهادات السقيمة ونحن ننقذها من براثن التقليد .

ظاهرة البديع في الشعر العربي

بقلم: د. محمود أبو الخير

يظل الشعر مضطلعاً بمهمته السامية المتمثلة في التعبير الصادق عن هموم الشاعر وهموم مجتمعه، ما بقي بعيداً عن مظاهر التكلّف والتصنّع. وقد كان الشعر العربي في عصوره الزاهرة يصدر عن القريحة والطبع، وينأى عن التكلّف والصنعة «إلا الصنعة التي تعين على تجويد الشعر وتقويمه وتهذيبه»[1].

فقد عرف البديع في الشعر الجاهلي، ووردت أمثلة من فنونه في القرآن الكريم والحديث الشريف، وترددت بعض ألوانه وضروبه في الشعر الإسلامي والأموي، ولكنها كانت تأتي عفو الخاطر، وتصدر عن الطبع والسّليقة، دون أن يسعى الشعراء إليها أو يلتمسوا إيرادها في شعرهم.

وأخذ الاهتمام بفنون البديع يتنامى ابتداءً من العصر العباسي. ويعتبر بشار بن برد من أوائل من عنوا به، وتبعه مسلم بن الوليد الذي ظهر ميله له واضحاً، حيث أكثر من توشية شعره بالطباق والمقابلة، والجناس، وبخاصة جناس الاشتقاق.

وانفرد **أبو تمام** باستخدام ضروب من البديع عرف بها. وبعد أبي تمام برز في ميدان الشعر شعراء فحول أخذوا بنصيبهم من البديع، منهم: **أبو الطيِّب المتنبي، وأبو العلاء المعري، والشريف الرضي** وغيرهم. ولكن مواهبهم الشعرية العالية وقدراتهم الفنيّة الراقية وتمرسهم بفنون القول، مكّنتهم من إخضاع البديع لشعرهم، وحالت بينهم إرضاء البديع على حساب المعنى أو العاطفة أو الإحساس.

وظهر ميل واضح لألوان من البديع لدى **الفاطميين**، حيث أسرف شعراؤهم في السجع والجناس وغيرهما.

يتّضح من هذا السرد المجمل أن الشعر العربي عرف ألواناً من البديع منذ أقدم عصوره، وأن التصنّع البديعي قد عرف طريقه إلى الشعر قبل القرن الخامس للهجرة، وهو القرن الذي تعرّضت بلادنا ــ منذ أواخره ــ لموجات الغزو المتتالية، من صليبيين ومغول وأتراك وأوروبيين وصهاينة.

مؤثرات وتأثيرات

والحقيقة أننا ما إن نصل إلى **عهود الزنكيين والأيوبيين والمماليك** (القرنين السادس والسابع الهجريين) حتى نجد تيّار البديع قد تعاظم، وجرف غالبية شعراء العربية، فأخذ ميلهم يبدو واضحاً نحو المحسّنات اللفظية، والمبالغات المستكرهة، والتكلّف المستهجن، والصنعة الثقيلة، التي تحول دون التعبير الشعري الصادق المحبّب[2]. وغدا الشعر على الجملة «صناعة لفظية وتلاعباً يفتن في ضروبه الشعراء»[3].

وساعد على ترسيخ هذا الاتجاه لدى شعراء القرنين المذكورين، ما شاع بين النقّاد من مقولة فحواها أن القدماء قد ذهبوا بالمعاني ولم يغادروا منها شيئاً إلا طرقوه واستهلكوه[4]، وغلب على ظن القوم أن مجال التجديد أصبح ينحصر في تناول المعاني القديمة وتوشيحها ببعض الزخارف اللفظية، أو إبرازها من خلال صور تعبيرية تعتمد على فنون البديع المختلفة.

وهكذا ساهم النقّاد في شيوع البديع، عندما أخذوا يقيسون الجودة بمقدار تفنن الشعراء في اختراع الصور البديعية، وتحلية شعرهم بمظاهر الصناعة اللفظية، وترصيعه بألوان الزخارف البديعية. وتبعهم الشعراء فاستجابوا لهذا المقياس، وخضعوا له، وطفقوا يتنافسون في التلاعب بالألفاظ، على حساب المعاني، وعدوا ذلك مجال مهارة ولباقة[5].

ويبدو أن الاتجاه نحو البديع قد أصبح الذوق الأدبي السائد في القرنين السادس والسابع الهجريين، وأن ذلك الذوق أصبح يشكّل ضغطاً على الشعراء الذين قد يحاولون الخروج عليه. وإذا كان (**تين**) يدخل في أثر البيئة على الأدب ما يكون من أوضاع اجتماعية أو سياسية، كما أنه يعد المجتمع الذي يكتب له الأدب من بين العوامل المؤثرة على الإنتاج الأدبي، ويرى أن الذوق العام الشائع في زمن الأديب يؤثر في نتاجه[6]. وإذا كان **طه حسين يرى أن مفهوم البيئة «يجمع الزمان والمكان والحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية وكل أمر خارجي يمكن أن يكون قد ترك في نفس الشاعر أثراً ما»[7]**، فإن البيئة بأبعادها الاجتماعية والسياسية والذوق العام بضغوطه وإغراءاته قد وجّها شعراء تلك الفترة نحو البديع بقيوده وأصباغه.

وكان لبعض ذوي النفوذ السياسي والأدبي الواسع أثرهم الواضح في ترسيخ ميل الشعراء للصناعة البديعية، وفي مقدمة هؤلاء **القاضي الفاضل**، الذي كان صاحب طريقة خاصة في الكتابة، تجنح للفظية المفرطة، وتعتبر الجودة مرهونة بإيراد الألفاظ المتشابهة المعاني، والمختلفة

الحروف ؛ أو الألفاظ المتشابهة الحروف ، المختلفة المعاني ، أو غير ذلك من الأمور الشكلية .

وأحدثت طريقة **القاضي الفاضل ـ وهو الوزير الأول في الدولة الأيوبية ، وصاحب الحل والعقد فيها ـ** أحدثت أثراً كبيراً في كُتَّاب القرنين السادس والسابع الهجريين وشعرائهما . إذ إنه صار لزاماً على كل شاعر يطمح في الوصول إلى القصر أن يلتزمها في شعره ، ولم يقف ذلك الأثر عند شعراء الأيوبيين فحسب ، بل تعدّاهم إلى من جاء بعدهم من شعراء العصور اللاحقة[8] .

ولعلّ خير من يمثّل تعلّق الشعراء والكتّاب بالطريقة الفاضلية ، **العماد الأصفهاني** واقرأ الفقرة التالية من **الخريدة** ، لتدرك مدى انبهار العماد بطريقة أستاذه في الصنعة البديعية . قال العماد واصفاً القاضي الفاضل :

« ربّ القلم والبيان ، واللَّسَن واللِّسان ، والقريحة الوقادة ، والبصيرة النقّادة ، والبديهة المعجزة ، والبديعة المطرزة ، والفضل الذي ما سمع في الأوائل ، بمن لو عاش في زمانه لتعلّق بغباره ، أو جَرى في مضماره »[9] .

وما دامت هذه هي نظرة العماد للقاضي الفاضل ولطريقته في الكتابة ، فلا غرو أن يلتزم السجع وألوان البديع في شعره ونثره ، وأن يحتذي الطريقة الفاضلية شأنه شأن غيره من الشعراء والكتّاب الذين التفّوا حول القاضي الفاضل واعتبروه إمامهم ومثلهم الأعلى في الأدب . وراحوا يجارونه في نهجه .

روى **ابن خلكان** أن العماد لقي القاضي الفاضل يوماً « وهو راكب على فرس ، فقال له : سر فلا كبا بك الفرس ، فقال له الفاضل : دام علا العماد . وهذا مما يُقرأ مقلوباً وصحيحاً »[10] .

واجتمعا يوماً في موكب **السلطان صلاح الدين** ، وقد انتشر من الغبار لكثرة الفرسان ما سدّ الفضاء ، فتعجبا من ذلك ، فأنشد العماد في الحال :

أمّا الغبار فإنه	مما أثارته السنابك
والجوّ منه مظلم	لكن أنار به السنابك
يا دهر لي عبد الرحيـ	ـم ، فلست أخشى مسّ نابك

قال ابن خلكان : « وقد اتفق له الجناس في الأبيات الثلاثة ، وهو في غاية الحسن »[11] .

ولعل في هذه المحاورات ما يدل على انسياق شعراء الأيوبيين مع طريقة القاضي الفاضل ، ومجاراتهم له في التماس ضروب البديع . ولا شك أن من جاءوا بعدهم قد نهجوا نهجهم .

وهكذا ، غدا البديع غاية في ذاته ، وأصبح اهتمام الشعراء منصباً على المفردات اللغوية من حيث معناها ورسمها وصوتها وإيقاعها ، « حتى لقد صارت مفردات اللغة سبيلاً عريضاً إلى أشكال من تداعي المعاني والرسوم والأصوات والإيقاعات ، وقد يكون ذلك التداعي حرًّا طليقاً ، بحيث تستدعي الكلمة أنواعاً من الإيحاءات التي لا تخطر لأول وهلة في الذهن . وفي ذلك من الخطر ما فيه ، إذ قد تصبح الكلمة هي التي تولد الفكرة ، بدلا من أن تستدعي الفكرة الكلمة أو الكلمات المعبِّرة عنها ، المحددة لها »[12] .

دور علماء البلاغة

وكما ساهم النقّاد والكتّاب في ترسيخ اتجاه الشعراء إلى البديع ، كان لعلماء البلاغة دور هام في ذلك المجال أيضاً . فقد أخذوا في الاهتمام بالبديع وضروبه منذ أواخر القرن الثالث للهجرة . ويعد **ابن المعتز** المتوفي سنة (٢٩٧ هـ) ، أول من ألّف فيه ، فقد وضع كتابه المشهور « **البديع** » سنة (٢٧٤ هـ) ، وجاء فيه قوله : « فأمّا العلماء باللغة والشعر القديم ، فلا يعرفون هذا الاسم ، ولا يدرون ما هو ، وما جمع فنون البديع ، ولا سبقني إليه أحد »[13] .

ومهما يكن من اعتداد ابن المعتز بما أنجزه ، فلا شك أن الفضل يعود إليه في تخصيص البديع من علوم البلاغة ، وجعله في سفر مستقل . وقد جمع المؤلف في كتابه سبعة من أنواعه .

وعاصر ابن المعتز **قدامة بن جعفر** المتوفي سنة (٣٣٧ هـ) ، وجمع في كتابه « **نقد الشعر** » عشرين نوعاً منه . وجاء **أبو هلال العسكري** المتوفي سنة (٣٥٩ هـ) ، فجمع في كتابه « **الصناعتين** » سبعة وثلاثين فنًّا بديعياً . وخلفه **ابن رشيق القيرواني** المتوفي سنة (٤٥١ هـ) ، فجمع مثلها في كتابه « **العمدة** » . وتبعه **التيفاشي** فجعلها سبْعين نوعاً[14] .

ولاحظ **عبد القاهر الجرجاني** المتوفي سنة (٤٧١ هـ) ، الاهتمام الزائد بين العلماء والمثقفين والشعراء ، بفنون البديع ، ولمس انسياق الأدباء في تيارها الجارف فعارض الاتجاه البديعي المتعاظم وندّد به قائلاً : « وقد تجد في كلام المتأخرين كلاماً ، حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ما له في البديع ، إلى أن ينسى أنه يتكلم ليُفهم ، ويقول ليبين ، ويخيل إليه أنه إذا جمع أقسام البديع في بيت فلا خير أن يقع ما عناه في عمياء ، وأن يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء »[15] .

البديعيات

وبلغ البديع كعلم ذروة نضجه في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن للهجرة ، على يد خطيب دمشق وقاضيها **جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني** المتوفي سنة (٧٣٩ هـ) ، الذي لخّص **كتاب « مفتاح العلوم » للسكاكي** في كتاب أسماه « **تلخيص المفتاح** » ، ثم شرحه بعد ذلك في كتاب آخر أسماه « **الإيضاح** » .

وفتن هذا الاهتمام المتزايد من قبل علماء البلاغة ، بفنون البديع شعراء العصور المتأخرة ، الذين تأثروا بما شقّقه البلاغيون من أنواع البديع ، حتى إذا قارب القرن السابع على الانتهاء ، تمخّض عن ظهور فن جديد هو فن « **البديعيات** » . وهي قصائد طويلة ، بحرها البسيط ،

ظاهرة البديع في الشعر العربي

وقافيتها الميم ، تدور في نطاق علم البديع وتستمد حياتها منه . ويتضمن كل بيت منها نوعاً من أنواع البديع ، وموضوعها الرئيس هو مدح الرسول عليه الصلاة والسلام .

ولعلّ أول من نظمها ، **صفي الدين الحلي** ، المتوفي سنة (٧٥٠ هـ) ، فقد نظم قصيدة على غرار **بردة البوصيري** ضمنها مائة وخمسة وأربعين نوعاً من أنواع البديع . ومطلعها :

إن جئت سلعاً فسل عن جيرة العلم
واقر السلام على عُرْب بذي سلم[١٦]

وأطلق عليها « **الكافية البديعية** » وكتب عليها شرحاً سماه « **النتائج الإلهية في شرح الكافية البديعية** » ، قدّم له بمقدمة في الكلام عمن سبقوه من البديعيين .

وكتب **عبد الغني النابلسي** شرحاً آخر على بديعية الحلي سماه « **الجوهر السني في شرح بديعية الصفي** » .

ومن البديعيات المشهورة ، بديعية **ابن جابر الأندلسي** المتوفي سنة (٧٨٠ هـ) ، المسماة « **الحلّة السيرا في مدح خير الورى** » . ومنها بديعية **عز الدين الموصلي** المتوفي سنة (٧٨٩ هـ) ، التي نظمها على نهج بديعية الحلي . ومنها بديعية **ابن حجة الحموي** المتوفي سنة (٨٣٧ هـ) ، التي اشتهرت بين الدارسين ، ووضعت حولها الشروح والتعليقات ، وانبرى كثير من العلماء والشعراء لمحاكاتها ومعارضتها إظهاراً لبراعتهم ، وتقرّباً إلى الله بمدح رسوله الكريم ، **محمد صلى الله عليه وسلّم** . ونظم **السيوطي** المتوفي سنة (٩١١ هـ) ، بديعية أخرى ، كما أنشأت **عائشة الباعونية** المتوفاة سنة (٩٢٢ هـ) ، بديعية ذائعة .

وهذا الاهتمام البالغ بالبديع وفنونه غدا مذهباً شعرياً مشهوراً في عصري الأيوبيين والمماليك ، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على أن الاهتمام بالخصائص الحسية والجمالية في فنون القول قد صار مقدماً على الاهتمام بالخصائص المعنوية ، أو أن البديع قد أصبح « فنّاً في التعبير ، وطريقاً من طرق القول الجميل ، الذي يمتع الأذن ويعذب وقعه في النفوس ، بما يستدعي من معان ، وما يحدث من تقسيم وإيقاع »[١٧] .

وقد نظر بعض الدارسين إلى أدب القرنين السادس والسابع الهجريين ، نظرة إعجاب على الرغم من طغيان الزينة اللفظية على جانب كبير منه ، وممن نظروا إليه هذه النظرة **المستشرق (جب)** الذي يرى أن القرنين المذكورين يمثلان « العصر الفني للأدب »[١٨] ، وأن أدبهما « يتميّز بالإبداع والعبقرية ، قدر امتيازه بالبراعة في الصنعة ، أو المهارة الفنية »[١٩] .

وممن يرى رأياً مشابهاً **الدكتور محمود إبراهيم** الذي يذهب إلى أن البديع في هذين القرنين « استخدم كل ما يمكن استخدامه من خصائص اللفظ العربي ، وإمكاناته الصوتية والمعنوية ، مفرداً ومركباً ومنظوماً »[٢٠] .

ومما يجدر النظر إليه بعين الاعتبار أن البديع ليس شراً كله ، وأنه إذا ما أحسن استغلاله استطاع أن يؤدي مهمة بلاغية أصيلة لها أثرها في توكيد المعاني في النفوس ، وأن يضفي على تلك المعاني إشراقاً وجمالاً يجعلها سائغة في النفوس والقلوب وليس من قبيل العبث اللفظي ، ما ذهب إليه ابن حجة الحموي ، حين قال : « إن لكل زمان بديعاً ، تمتّع بلذة الجديد »[٢١] .

الحواشي

(١) أحمد الجندي : مقدمة ديوان فتيان الشاّغوري ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٣٨٧ هـ ــ ١٩٦٧ م ، ص ٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الأدب في العصر المملوكي ، لمحمد الفقي ، الهيئة المصرية العامة للكتّاب ، القاهرة ١٩٧٦ م ، ص ١٢٦ .

(٤) انظر : عيار الشعر لابن طباطبا ، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام ، طبع القاهرة ١٩٥٦ م ، ص ص ٨ ــ ٩ ، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر دار الجيل ، بيروت ، ط ٤ ، سنة ١٩٧٢ م ، جـ ١ ، ص ٧٤ .

(٥) الأدب في العصر المملوكي ، ص ١٢٦ .

(٦) انظر : الأدب المقارن لمحمد عبد السلام كفافي ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٦٩ م ، ص ٥٧ .

(٧) انظر : الشعر الجاهلي : مادته الفكرية وطبيعته الفنية ، لمحمد أبي الأنوار ، القاهرة ، مطبعة قاصد خير ، سنة ١٩٧٦ م ، ص ٣٦٣ ، والحوار الأدبي حول الشعر للمؤلف ، ص ١٥٣ .

(٨) محمد إبراهيم نصر : ابن سناء الملك ، الهيئة المصرية العامة للكتّاب ، المطبعة الثقافية ، القاهرة ١٩٧١ م ، ص ٣٠ .

(٩) خريدة القصر وجريدة العصر ، قسم شعراء مصر ، تحقيق شوقي ضيف ورفيقيه ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥١ م ، جـ ١ ، ص ٣٥ .

(١٠) وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، جـ ٣ ، ص ١٥٩ .

(١١) المصدر السابق .

(١٢) انظر : صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني لمحمود إبراهيم ، طبع مطابع دار القلم بيروت ، ط ١ ، ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م ، ص ٢٠٢ .

(١٣) البديع لابن المعتز ، طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٦٤ هـ ــ ١٩٤٥ م ، ص ١٠٦ .

(١٤) انظر : ابن نباته أمير شعراء المشرق لعمر موسى باشا ، طبع دار المعارف ــ القاهرة ١٩٦٣ م ، ص ٧٩ .

(١٥) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق خفاجي ، مكتبة القاهرة ، ص ٦ .

(١٦) تاريخ البلاغة العربية ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٠ م ، ص ٣١٨ .

(١٧) صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني ، ص ٢٠٠ .

(١٨) الأدب في العصر الأيوبي ، محمد زغلول سلام ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٨ م ، ص ١٦٨ .

(١٩) المرجع السابق .

(٢٠) صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني ، ص ٢٠٠ .

(٢١) خزانة الأدب ، طبع المطبعة الخيرية بالقاهرة ، ط ١ ، ١٣٠٤ هـ ، ص ٥ .

رحلة في كتاب



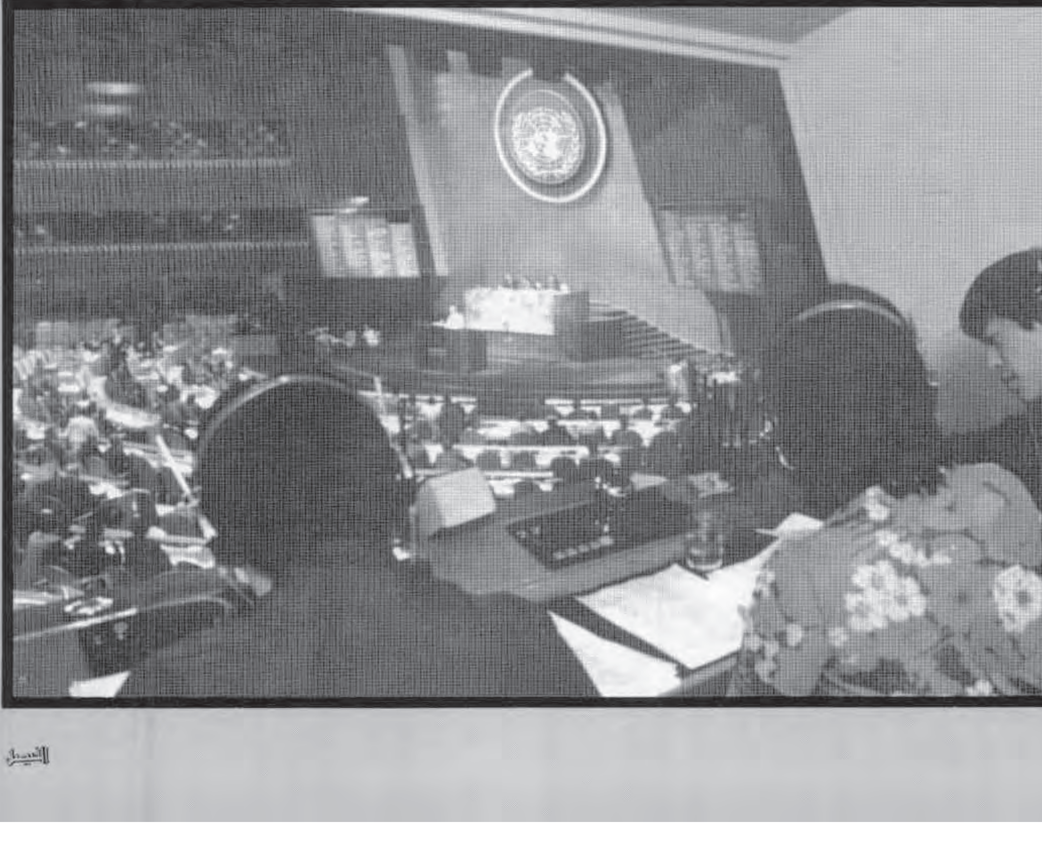
عرض وتقديم : د. مصطفى ماهر

علم الترجمة

دراسات جمعها وقدم لها فولفرام فيلس

صدر هذا الكتاب بالألمانية في سلسلة معروفة في ألمانيا الغربية يسمونها «طرق البحث» أو «اتجاهات البحث»، ترعاها دار للنشر في دارمشتات هي «الجمعية العلمية للكتّاب». تبلغ صفحات الكتاب (٤١٤) صفحة من القطع المتوسط تضاف إليها صفحات المقدمة والمحتوى. والكتاب ثمرة مشاركة عدد كبير من العلماء المبرزين في مجال علم الترجمة لا في ألمانيا وحدها ولكن في بلاد أخرى عديدة مثل: النمسا وفرنسا وتشيكوسلوفاكيا والولايات المتحدة الأمريكية وسويسرا. والطريف أن فولفرام فيلس، هو أستاذ علم الترجمة في جامعة زاربروكن، له كتاب بالألمانية أيضاً، نشره في عام ١٩٧٧ م، يحمل العنوان نفسه «علم الترجمة» وعنواناً إضافياً هو «مشكلاته ومناهجه».

ولما كان علم الترجمة علماً حديث النشأة، فمن الطبيعي أن تختلف آراء المشتغلين به، وأن تتعدد آراء الذين يوجهون إليه النقد، ومن هنا فإن فكرة إخراج كتاب واحد يشترك في تأليف فصوله أكثر من عشرين عالماً فكرة ممتازة، فهي تتيح للقارئ الاطلاع دفعة واحدة على اتجاهات مختلفة، وتتيح للباحثين فرصة التقريب بين الآراء المتباينة.



أقسام الكتاب

ويقسم الكتاب إلى **ثلاثة أقسام** . يتناول **القسم الأول** نظرية الترجمة العامة . ويحتوي هذا القسم على بابين . يتناول **الباب الأول** نظرية الترجمة وصلتها باللغويات النصية . ويضم هذا **الباب الأول** الفصول التالية :

– **تصورات خاطئة وتصورات صحيحة في نظرية الترجمة** ، بقلم **أوجينيو كوشيريو** .

– **مشكلة الترجمة** ، بقلم **إرفين كوشميدر** .

– **بعض النواحي المهارسية في الترجمة** ، بقلم **ألبريشت نويبرت** .

– **تحديد النص ومنهاج الترجمة ، تخطيط لتحديد أنماط النصوص** ، بقلم **كاتارينا رايس** .

– **الترجمة من حيث هي إيصال** ، بقلم **أنطون پوپوڤيتش** .

– **الترجمة المطابقة لغة ونصاً وموضوعاً** ، بقلم **فريتس بيبكه** .

أما **الباب الثاني** من القسم الأول فيتناول نظرية الترجمة وصلتها بنظرية اللغة . ويضم الفصول التالية :

– **جوهر الترجمة** ، بقلم **أوجين نايدا** .

– **أفكار حول منهاجية لعلم الترجمة تقوم على أساس من النظرية اللغوية** ، بقلم **كارلهاينتس فرايجانج** .

– **نماذج لغوية لعملية الترجمة** ، بقلم **فيلن كوميساروف** .

ويضم **الباب الثالث** من **القسم الأول** ، وهو بعنوان نظرية الترجمة والمطابقة :

– **لمحات لغوية للترجمة** ، بقلم **رومان ياكوبسون** .

– **بعض المشكلات الإيصالية للترجمة** ، بقلم **أوتو كاده** .

– **الترجمة من حيث هي عملية ترجيح** ، بقلم **جيري ليڤي** .

– **عناصر علم الترجمة** ، بقلم **هنري ڤيرني** .

– **في وصف عملية الترجمة** ، بقلم **هانس ڤيرمير** .

– **ملحوظات حول تعريفات لعملية الترجمة وحول نقد الترجمة** ، بقلم **ڤرنر كوللر** .

ويتكون القسم الثاني من الكتاب ، ويحمل عنوان « **علم وصفي للترجمة مرتبط باللغتين** » ، من خمسة فصول هي :

– **النقل .. محاولة لتصنيف جديد** ، بقلم **ريشارد باوش** .

– **عملية الترجمة** ، بقلم **أندريه كلا** .

– **الترجمة الحرفية** (الفرنسية والألمانية) ، بقلم **جيزيلا تومه** .

– **لغاتنا .. بنيات أدواتية وبنيات عقلية** ، بقلم **ماريو ڤاندروشكا** .

– **ترجمة برتولد فيرتل لـ« عربة اسمها الرغبة »** ، بقلم **أورترون تسوبر** .

ويتكون **القسم الثالث** والأخير وهو بعنوان « **علم الترجمة التطبيقي المرتبط باللغتين** » ، من الفصول الأربعة التالية :

– **تحليل من وجهة نظر الترجمة لنص مأخوذ من قصة تينيسي وليامز « الشيء الهام »** ، بقلم **باتريشيا كلمرث** .

– **نظرات في التحليل النفسي المرتبط بالترجمة** ، بقلم **جيزيللا تيل** .

– **الأسلوبية والتحويل** ، بقلم **جان پول ڤينيه** .

– **النقل الحرفي والنقل والمطابقة الديناميكية** ، بقلم **ويليام وندرلي** .

التقديم

يبدأ ڤولفرام ڤيلس تقديمه التحليلي لفصول الكتاب بقوله :

« إذا أردنا الإجابة على التساؤل عن مهمة علم ما إجابة تتفق مع تصورات النظرية العلمية الحديثة ، فإننا قد نقول إن مهمة هذا العلم تتلخص في وصف وشرح المجال الذي ينصب عليه هذا العلم على نحو تحليلي إعلامي باستخدام مناهج مناسبة لموضوعه . ويتكوّن المجال الموضوعي لعلم الترجمة من ثلاثة مجالات جزئية هي : **أولا :** التحليل

النصي المنصب على لغة المنطلق . **ثانياً :** النقل بين لغتين . **ثالثاً :** ناتج عملية الترجمة . ومعنى هذا ، إذا أخذنا أنفسنا بالتبسيط الشديد ، **إن مهمة علم الترجمة هي ابتكار مناهج لهذه المجالات الثلاثة الجزئية ، وتحديد شروط المطابقة على نحو علمي يمكن التحقق من سلامته .**

وإذا نحن نظرنا إلى تطور علم الترجمة في العشرين سنة الماضية ، تبيّنا في غير صعوبة أنه كان حريصاً في المقام الأول على التأسيس النظري لمجال موضوعه . ويمكننا أن نَرُدَّ الجهود التي بذلت في هذا الاتجاه إلى الحاجة إلى تعليل موضوعي للمعرفة ، الغرض منه تفسير جوهر عملية الترجمة انطلاقاً من شروطها العملية والنصية . ويتلخص الهدف الذي تسعى إليه جهود علم الترجمة على صعيد وضع الفروض وبلورة النظرية في التوصل إلى مجموعات من الأحكام تكون متكاملة في ذاتها وغير قابلة للاختزال ، تتيح لنا أن نفهم كيان عملية الترجمة ، وتتيح لنا بالتالي أساساً لصياغة محددة للمسائل النوعية المتصلة بالتزاوج اللغوي .

مشكلات الترجمة

وسنحاول في رحلتنا في هذا الكتاب أن نعرض بعض الآراء الأساسية التي تضمنتها بعض الفصول . يرى **أوجينيو كوشيريو** ، وهو عالم ألماني من أصل روماني ، يدرس في **جامعة توبنجن** ، أن الصعوبات التي تصادف الباحثين في معرض التأسيس النظري لعلم الترجمة ترجع في المقام الأول إلى غموض العلاقة بين نظرية الترجمة من ناحية ولغويات النص من ناحية ثانية ، ويلخص نقده في المسائل الأربع التالية :

(١) إن مشكلات الترجمة يُنظر إليها من حيث هي مشكلات نوعية متصلة بـ « اللغة » لا من حيث هي مشكلات نوعية متصلة بـ « الكلام » .

(٢) إن المتطلبات التي تفرض على الترجمة متطلبات مثالية ، ومعنى هذا أنها مستحيلة التحقيق من الناحية العملية ومستحيلة الصياغة من الناحية النظرية .

(٣) إننا لا نفرق بما فيه الكفاية بين النقل الذي هو عملية التوصل إلى النظائر على أساس التحويل من لغة إلى لغة أخرى ، والترجمة وهي عملية تحويل لغوي تتخذ هيئة الفن .

(٤) إن نظرية الترجمة في صورتها الحالية تقوم على أساس مفهوم مجرد ، على الرغم من أن الترجمة نشاط مرتبط بهدف معيّن ، أي إنه نشاط له شروطه التاريخية .

ويرى **كوشيريو** أن الهدف من الترجمة هو التعبير عن المضمون النصي نفسه ، فالمطلوب من أي ترجمة هو صياغة نص **لغة المنطلق** صياغة نستخدم فيها وسائل **لغة المستهدف** ، وهي عملية تتم عن طريق التطابقات اللغوية التبادلية المنصبة على « **المدلولات** » لا « **الدلالات** » . ومعنى هذا أن حدود الترجمة ليست في إطار العقلانية بل في إطار الخبرة والممارسة . ومن هنا كان من الضروري التركيز على توضيح مقاييس التساوي فيما يتصل بموضوعات النصوص ووظائف النصوص ومعالجة النصوص معالجة تقوم على الخبرة والممارسة .

عملية الترجمة

ويدخل الأستاذ **إرفين كوشميدر** في تفصيلات عملية الترجمة نفسها فينفي أنها عملية نقل إبدالية ، فنحن لا نعرف إلا حالات نادرة يمكن أن تقوم فيها الترجمة بعملية تحويل لغوي « **واحد إلى واحد** » . ينبغي على المترجم أن يبحث في مكوّنات لغة المنطلق من حيث هي **إشارات** ، فيكشف ما تشير إليه ، ويتبيّن المقصود بالإشارة مضمونياً وأسلوبياً ، ثم يبحث لنفس هذا المقصود عن الإشارة المناسبة في اللغة المستهدفة مروراً **بالمشار إليه** أيضاً . ومعنى هذا أن **كوشميدر** يرسم لعملية الترجمة تخطيطاً من خطوتين فقط ، على عكس **نايدا وفرايجانج وكوميساروف** الذين يرسمون لعملية الترجمة تخطيطاً من ثلاث خطوات . ويقوم تخطيط **كوشميدر** على أن المترجم يقوم بعمليتين جزئيتين متتاليتين زمنياً : **العملية الجزئية الأولى هي تشخيص النص في لغة المنطلق ، والعملية الجزئية الثانية أو الخطوة الثانية هي إعادة تكوين النص في لغة المستهدف .**

ويؤكد **كوشميدر** ـ مثله مثل **ياكوبسون و نويبرت** وآخرين ـ أن النصوص ذات المضامين المعرفية قابلة للترجمة ، وأن عملية الترجمة تتطلب أحياناً إجراء تحويرات في العبارة تنصب على تكوين الجملة أو السمات الدلالية تفرضها التباينات البنيوية أو الظروف الاجتماعية الثقافية الخاصة بكل لغة .

أنواع النصوص

وإذا كان **نويبرت** يرى بصفة عامة أن الترجمة من لغة إلى لغة ممكنة تماماً من ناحية المبدأ ، إلا أنه يتحفظ عندما يتحدث عن التطابق أو التناظر ، **وهو يصف عملية الترجمة بأنها عملية استخدام لغوي تسير من نص مكتوب في لغة المنطلق إلى نص مكتوب في لغة المستهدف يناظره على أكبر قدر ممكن** . هذه النسبية دفعت **نويبرت** إلى تقسيم النصوص من حيث قابليتها للترجمة إلى أنواع :

(١) هناك نصوص مرتبطة ارتباطاً كاملاً بلغة المنطلق مثل النصوص الجغرافية .

(٢) وهناك نصوص مرتبطة بلغة المنطلق ارتباطاً أولياً (النصوص الأدبية) .

(٣) وهناك نصوص مرتبطة بلغة المنطلق ولغة المستهدف معاً (النصوص العلمية والفنية مثلاً) .

(٤) وهناك أخيراً نصوص مرتبطة بلغة المستهدف ارتباطاً كاملاً أو أولياً (النصوص الخاصة بالدعاية الخارجية مثلاً) .

ويخلص **نويبرت** من هذا التقسيم إلى أن القابلية للترجمة تتدرج من قابلية نسبية إلى قابلية جزئية أو قابلية فائقة . ويبيّن **نويبرت** أهمية المعالجة الخبرانية للنص ، فالمترجم يعالج في البداية النص المطلوب ترجمته ، ثم يعالج النص المستهدف آخذاً في اعتباره قطاع الجمهور الذي تتجه إليه الترجمة . ويؤكد **نويبرت** أن المترجم إذا لم يأخذ في اعتباره دور قطاع الجمهور المستهدف ، فإن النص الذي يصل إليه في نهاية عملية الترجمة لا يحقق الغرض منه . ومعنى هذا أن التساوي أو التطابق تحكمه النسبية ، وأن هذه النسبية تعتمد فيما تعتمد عليه على نوعية قطاع الجمهور المستهدف .

هذه المحاولة التي قام بها **نويبرت** لتقسيم النصوص تقسيماً نمطياً ليست هي المحاولة الوحيدة ، فهناك محاولة **بولر** التي تحظى بتقدير كبير على نحو ما نقرأ في دراسة **كاتارينا رايس** . ويقوم تقسيم **بولر** على أساس ثلاثي فهو يفرق بين :

(١) النصوص التي يميّزها المضمون .

(٢) النصوص التي يميّزها الشكل .

(٣) النصوص التي يميّزها التأثير .

وتضيف **كاتارينا رايس** مجموعة رابعة هي مجموعة « **النصوص المعاونة** » مثل نصوص الأوبرات . فالنصوص التي يميّزها المضمون يجب معالجتها من ناحية مناهج الترجمة على نحو يكفل عدم التغيير على مستوى المضمون . أما النصوص التي يميّزها الشكل فإن هدف مناهج الترجمة ينصب على تحقيق التساوي بين نص المنطلق والنص المستهدف على المستوى الجمالي . والنصوص التي يميّزها الحرص على التأثير على القارئ ، تتطلب من المترجم أن ينقل التأثير الذي يعنيه المؤلف في نص المنطلق ، ولا يمكن للمترجم أن ينجح في هذه العملية إلا إذا كان على علم كاف بما يهدف إليه النص من أهداف نوعية ، خارج الإطار اللغوي وخارج الإطار الأدبي . أما في حالة النصوص المعاونة فينبغي على المترجم الذي يتصدى لترجمتها ، أن يتبع منهجاً يقوم على مراعاة شروط الترجمة النوعية ، المتمثلة في الوظيفة النوعية المعاونة لمثل هذه النصوص .

نظرية الترجمة

ويعرض **أنطون پوپوفيتش** أفكاراً مثمرة تفيد في وضع مثل هذه التقسيمات النمطية ومشكلاتها النوعية في إطار نظري متكامل ، **فهو يتحدث عن نظرية الترجمة العامة ثم عن نظرية الترجمة الخاصة ، إلى جانب حديثه عن ممارسة الترجمة وتعليم الترجمة** .

فالترجمة الأدبية ، مثلاً ، تنتظمها نظرية الترجمة الخاصة ، وهذه النظرية الخاصة تأخذ في اعتبارها مجالات علمية مختلفة ، تتصل بها نوعياً منها : **علم اللغة المقارن ، وعلم الأسلوب المقارن ، وعلم الأدب المقارن** .

ويعالج **پوپوفيتش** نسبية التطابق أو التساوي في الترجمة واعتمادها على قطاع الجمهور المستهدف أو المستقبل . ويرى أن قطاع الجمهور المستهدف أو المستقبل إذا كان على علم بالنص في لغة المنطلق فإن الترجمة التي تقدم إليه تكون ترجمة **لنص تحويلي** ، أما إذا لم يكن على علم به فإن الترجمة تكون ترجمة **لنص ابتدائي** . وعلى الرغم من عدم وضوح التعبير الذي يستخدمه **پوپوفيتش** إلا أن دراسته تنبّه إلى قيمة الناحية الإيصالية والاستقبالية .

ويرى **پوپوفيتش** أن الترجمة الأدبية لا يمكن تحقيقها دائماً على كل المستويات النصية : **المستوى الصوتي ، والمستوى الصرفي ،**

ومستوى الجملة، ومستوى الألفاظ، ولكنه يوضح على أية حال أن مترجم النص الأدبي عليه أن يراعي ثلاثة مستويات: **المستوى اللغوي، ومستوى الأسلوب، ومستوى الموضوع**. والمترجم يواجه مشكلة «**الثبات النصي**»، و«**التحويرات النصية**»، التي تدخل على النص المستهدف. والتحويرات النصية التي نلاحظها على النص المترجم، تدفع **پوپوڤيتش** إلى تقسيم الترجمات إلى ثلاثة أنواع:

- **ترجمة تحقق تجانساً بين لغة المنطلق ولغة المستهدف.**
- **ترجمة تتبع لغة المنطلق.**
- **ترجمة تتبع لغة المستهدف.**

والترجمة من حيث هي عملية **تحويل كودي للنص** تخضع لعوامل متعددة منها عامل الزمن، وهذا هو السبب في أن بعض الترجمات تصبح قديمة بمرور الوقت، وتظهر حاجة إلى ترجمتها من جديد. وهو يضع هذه الملحوظة في إطار العملية الإيصالية، وهو الإطار العام لأفكاره بصفة عامة.

الترجمة الآلية

ومن الطبيعي أن نقرأ في كتاب كهذا يتناول موضوعات علم الترجمة المختلفة شيئاً عن الترجمة الآلية. يتناول **فريتس بيبكه** هذا الموضوع من منطلق التركيز على قيمة المترجم البشري. فهو يرى أن المترجم يقوم في أثناء عملية الترجمة بشيء أساسي هو **التفسير**، وهو لا يستطيع أن يترجم إلا إذا فهم النص، بل هو لا يترجم إلا ما يكون قد فهمه، **ومن هنا فإن عمل آلة الترجمة الإلكترونية لا يمكن أن يسمى ترجمة، لأنه لا يقوم على فهم**. الآلة الإلكترونية تقوم بمهمة أخرى هي نقل المعنى دون فهمه. الفرق بين العمليتين فرق جوهري يبدأ من نوعية تحليل النص في لغة المنطلق. فالآلة الإلكترونية عندما تحلل النص تتلمس ما في النص من علاقات لغوية بداخله، أما المترجم البشري فلديه القدرة على التعامل مع ما في النص من علاقات لغوية بداخله (داخلية)، وعلاقات لغوية (خارجية) ليست بداخله، بل متصلة بمجالات خارجية. ويتحدث **بيبكه** عن الدور الحسمي أو الترجيحي الذي يلعبه المترجم، فهو يفهم ويدرك العلاقات الداخلية والخارجية، ثم يتخذ قراراً يقوم على وجهة نظره في تفسير ما قد فهم، قراراً حسمياً أو ترجيحياً، وهذا ما لا تستطيعه الآلة.

ويقترب **نايدا** من هذا الرأي عندما يبيّن أن عمليات الترجمة ليست عمليات نقل مباشر **على مستوى سطح النص**، بل هي عمليات تحليلية تركيبية تعتمد على قدرات بشرية في المقام الأول. **ولنايدا** رأي مشهور في تحليل عملية الترجمة إلى ثلاث مراحل:

★ **المرحلة الأولى: هي المرحلة التي يحلل فيها المترجم النص في لغة المنطلق.**

★ **المرحلة الثانية: يتناول فيها المترجم الشرائح النصية المتفرقة التي توصل إليها بالترتيب في اتجاه اللغة المستهدفة.**

★ **المرحلة الثالثة: هي المرحلة التي ينشئ فيها المترجم النص المستهدف عن طريق عملية تركيبية منصبة على اللغة المستهدفة.**

وتتضح خبرة **نايدا** الواسعة بالترجمة في وصفه لمرحلة التحليل، وهو يرى أنها تنقسم إلى جزءين: جزء ينصب على العبارات أو تركيب الجمل، وجزء ينصب على الناحية الدلالية. أما التحليل المنصب على تركيب الجمل فلا يعتمد فيه على العلاقة بين **السطح والبنية العميقة**، بل على العلاقة بين السطح وبنيات بسيطة يسميها **اللبيّات القريبة**، فمن رأيه أن مفهوم البنية العميقة لم يتحدد بعد على النحو الذي يمكن علم الترجمة من الاعتماد عليه. وأياً كان الأمر، فإن المترجم يقوم في أثناء عملية التحليل بما يمكن أن نسميه بالحوار الذاتي، وهو حوار بديل للحوار مع مؤلف النص، وهذا الحوار الذاتي يتضمن تحويلات استرجاعية تقوم على عمليات تحوير الجمل على مستوى التداخل اللغوي يوجهها الحدس. والمترجم عندما يقوم بهذه العمليات التحويرية المنصبة على الجمل يضفي على التحليل سمة هامة هي سمة الابتكار، لأنه يحلل بقصد نقل النص من لغة المنطلق إلى لغة المستهدف.

وهكذا فإننا نخرج من مطالعتنا لهذا الكتاب الدسم بصورة عما وصل إليه علم الترجمة في الربع قرن الماضي. فقد قطع العلماء شوطاً كبيراً في تحديد مجال العلم، وفي توضيح مناهجه، وألقوا الضوء على كثير من خبايا عملية الترجمة التي هي أبعد ما تكون عن الآلية، وأقرب ما تكون إلى الإبداع. وهكذا أصبح في مقدورنا أن نقوّم ما بين أيدينا من ترجمات على أسس موضوعية بعد أن كان التقويم رهناً بالمزاج الشخصي والخبرة المجردة.

مطالعات في الكتب

تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي ١٩٢٠ - ١٩٧٠م



عرض ونقد : عواد أبو زينة

في خضم النشاط الفكري لمفكرينا وكتّابنا ومراجعتهم النقدية لحركات الفكر العربي في الفترات المختلفة ، صدر عن سلسلة « عالم المعرفة » التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت كتاب بعنوان : « تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي ١٩٣٠ - ١٩٧٠ م » للدكتور محمد جابر الأنصاري . والدكتور غني عن التعريف ، فهو بالإضافة إلى ما عرفنا له من مؤلفات سابقة ، فإنه يطالعنا باستمرار على صفحات مجلة « الدوحة » بدراساته عن أدب الخليج .

يتناول هذا الكتاب قضايا شغلت الفكر العربي على امتداد فترة زمنية ، لا تقل عن نصف قرن تقريباً ، في مصر والشام والعراق ، ليضع القارئ أمام ما كان وما يزال يصطرع في الساحة من أفكار لها أثرها الفاعل في الحياة العربية . . ماضياً وحاضراً ، حصر فيه الباحث تيارات الفكر العربي عبر هذا الامتداد الزمني في هذه المنطقة ، وعبّر عن المواقف التطورية للحركات الفكرية وروّادها وعوامل تطورها ، وقد جعل النصوص المقتبسة تنطق بذاتها .

يقع الكتاب في (٢٦٦) صفحة من الحجم المتوسط مقسمة بين « **تمهيد** » **ومقدمة وأربعة فصول وخاتمة وملاحق** .

المقدمة

في المقدمة تحدث عن حركات فكرية وسياسية ثلاث : **فني حركة الإحياء السلفي** رأى أنه غالباً ما توازت فيها « ظاهرة الصمود المشرف والمقاومة المسلحة العنيفة ضد الغرب . . مع ظاهرة الإخفاق في تحقيق أي قدر من التحديث أو الاستيعاب لعناصر القوة المعنوية أو المادية في الحضارة الغربية أو حتى إدراك أهداف الغرب الحديث » ص (٧) .

وفي **الحركة التوفيقية** لدى **الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي** « حتمت طبيعة الظروف الجديدة أن يلمس الإسلام الحديث من الغرب ظواهره المادية المتفوقة قبل أن يدرك جوهره الحضاري الإنساني الداخلي » ص (١٠) ، فظل التوفيقيون المحدثون « ينتقون من الغرب ما يرونه باهراً أو ظاهراً من أوجه حضارته كأساليبه العسكرية والسياسية والاقتصادية ، دون النفاذ إلى ما وراء تلك الأساليب من غايات ومنطلقات ، ومن نظرة كونية جديدة للإنسان والحضارة والطبيعة مغايرة لكل ما سبقها من نظرات غيبية » ص (١٠) .

ويرى أن حركة « العلمنة والرفض » حركة جديدة أي « من خارج البيئات السلفية والتوفيقية » ، لذلك لم تكن حركة بقدر ما كانت نماذج فردية وفئات محدودة ، وقام بهذا الدور « العلمانية المسيحية » .

واستخلص الكاتب من ذلك أنه على الرغم من محاولات الغرب في تجزئة الوطن العربي . . فقد ظل الفكر العربي يسعى نحو تحقيق الذات ضمن تشكل مشترك جديد مكون من الجذور الحضارية والتفاعل مع حضارة الغرب . . ص (٣٠) .

في **الفصل الأول** وعنوانه « **الإحياء التوفيقي بين تصلب السلفية وتطرف العلمانية** » حدّد الباحث الفترة التي تفاعل فيها الفكر العربي بين عامي ١٩٣٢ م ، و١٩٣٩ م ، انطلاقاً من الدوافع والاستعدادات الذاتية ، فقد شهدت المنطقة « مراجعة ومعارضة تتسم بالتصلب قبل الحرب بسنوات عديدة » ص (٣٩) وبدأت الإرهاصات للتحولات الجديدة عام ١٩٣٢ م ، بانعقاد « **مؤتمر الطلبة الشرقيين** » في مصر ، ودعوة **عبد الوهاب عزام** لهم بالبحث عن الذات الحقيقية الأصيلة في التراث ، واتخاذ موقف نقدي من الحضارة الغربية يستند إلى التمييز بين العلوم والصنائع ، وبين العقائد والخلق وسنن الاجتماع ، ص (٤١) .

كما تحولت (**السياسة الأسبوعية**) نحو التيار الإسلامي **وتخلى محمد حسين هيكل عن موقفه العلماني وهاجم الحضارة الغربية التي تحارب حرية العقل ، وتدعم التبشير ، ولا تقدم للشرق إلا أسوأ ثمراتها ، وهي حضارة مادية جشعة** ، وطلب من رجال العالم الإسلامي أن يعيدوا إلى الوجود ، بطريقة علمية صحيحة ، التراث الإسلامي . وأخذ ينشر في (السياسة الأسبوعية) كتابه (**حياة محمد**) ، فكان بداية ظاهرة إسلامية عند كل من **طه حسين** في الجزء الأول من (**على هامش السيرة**) ١٩٣٣ م ، وعند **توفيق الحكيم** في مسرحيته (**محمد الرسول البشر**) ، ١٩٣٦ م ، وعند **العقاد** في عبقرياته منذ ١٩٤٣ م .

لكن هؤلاء ظلوا يؤمنون بوجود قيم إيجابية في

الحضارة الغربية تستحق الدرس والاقتباس، ص (٤٧).

لكن **ميخائيل نعيمة** ـ بعد عودته للبنان سنة ١٩٣٢ م ـ يظهر حدّة أكثر في رفضه العقلانية مؤمناً بقوة الروح رافضاً أية إمكانية للتوفيق بين مادية الحضارة الجديدة وروحانية الشرق.. ص (٤٨).

وفي الحديث عن الخلفية الفكرية لانشطار العقل العربي ١٩٢٠ ـ ١٩٣٠ م، بين القديم والجديد، حدّد المؤلف هذين التيارين، وبيَّن سبب انشطارهما. فهناك السلفيون الذين شعروا أن في السياسة الغربية بتقسيم الشرق وبعث الروح الوطنية المحلية يمثل تهديداً يستهدف الكيان الإسلامي ليس في الإطار السياسي فحسب.. بل في جوهر معتقداته وأسس وجوده. كما أن تجارب الأنظمة الوطنية البرلمانية لم تحقق الحد الأدنى مما تطلبه الجماهير، فتزايدت «قوة الرفض لا للتسلط السياسي الأوروبي وحده وإنما للحضارة الأوروبية ذاتها» ص (٥٦).

إزاء هذا وجد تياران فكريان اجتماعيان متصارعان: (**القديم، والجديد**)، وهذا الجديد لم يكن واحداً بل هو كل صراعات أوروبا وتناقضات حضارتها، فتحير هذا الجيل، وأعلن **منصور فهمي** ـ الذي كان من دعاة التعريب ـ حيرته عام ١٩٣٩ م، ومحاولته للموازنة بين العقل والروح، وكذلك حاول **أحمد أمين في مجلة (الرسالة)** التي صدرت عام ١٩٣٣ م، أن يتجاوز الثنائية بين التغريب والسلفية، فهو يريد علماء وتربويين «جمعوا بين الثقافة الدينية الإسلامية العميقة وبين الثقافة الأوروبية العلمية الدقيقة» ص (٦٥).

ويعالج **الفصل الثاني**، وهو بعنوان «**إخفاق الليبرالية في الشرق العربي** ـ الأسباب والنتائج» ظروف تطبيق الديمقراطية في الحكم بُعيد الحرب العالمية الأولى.

ويلاحظ أن الديمقراطية لم تنغرس في البيئة العربية، لعدم اندماجها مع الإسلام اندماجاً عضوياً، كما أن السلطة الأوروبية لم تكن مخلصة في نقل هذه التجربة للشرق. ص (٨٢).

وقد ساهمت ممارسات الدول الأوروبية المنتصرة في الحرب، ومحاولة فرض الديمقراطية، وفشل تجربتها في أوروبا نفسها ونشوب الصراعات الغربية وانعكاساتها على الشرق، ساهمت في «سرعة تهاوي الأنظمة الديمقراطية الشكلية» ص (٨٧) وقلّلت من هيبة أوروبا المادية والمعنوية ودفعت الجيل فيما بين ١٩٣٠ م، و١٩٣٥ م، إلى إعادة النظر في قناعات الجيل المخضرم، وإلى البحث عن خلاص جديد للذات والجماعة يختلف عما يدعو إليه جيل الآباء المجددين. فكان من نتاج هذا فكر **لويس عوض** الذي فقد الإيمان بالفلسفة الليبرالية وأخلاقيتها المزدوجة.. ص (٩٠).

في **الفصل الثالث** تحدث عن (**ركائز التحولات الجديدة**) وهي:

(أ) «**تسييس الإسلام العربي**»: حيث حدث التناقض بين الانتماء التاريخي والعقيدي لدار الإسلام، وبين الولاء المفترض للوطن المحلي، هذا التناقض الذي حدث عند مفكري العرب بعد إلغاء الخلافة، وتقسيم الشرق العربي إلى دويلات، لذلك كانت الثورات العربية المضادة للغرب تتخذ طابعاً جهادياً حتى الحرب العالمية الأولى، حيث اتخذت طابعاً وطنياً، وإن بقي الإسلام أحد عناصر هذه الثورات فإنه ليس طابعها المميز، وإن هذا العامل الإسلامي أخذ ينشط منذ ١٩٣٠ م، وخاصة بعد ١٩٤٥ م، حيث نشطت المجموعات الإسلامية القوية الواسعة بعد أن خف الضغط الاستعماري على الشرق، بعد فشل التجارب البرلمانية في إحداث التغيير الاجتماعي، واستشهد على عوامل هذا النشاط بنقولات عن كل من **برنارد لويس، ومحمد محمد حسين، وجون س. بادو، والعقاد.** ص (١١٣ ـ ١١٦).

ويخلص المؤلف من استعراضه لتسييس الإسلام إلى التلميح إلى «**أن توفيقية أخرى قد بدأت تتبلور بين «المفهوم الديني» و«المفهوم القومي» لدى المفكرين القوميين الجدد، في وقت واحد مع عودة الجيل المخضرم إلى التراث وإعادة صياغته للتوفيقية الدينية المستجدة**» ص (١٣٣).

(ب) «**تعريب مصر سياسياً**»: واعتبر الدكتور جابر الأنصاري أن التفاعل بين العروبة والإسلام هو الذي أعاد مصر إلى الدار العربية، وجعلها تحتل مركز الثقل في الفكر القومي، بعد أن مثَّل العراق مركز الجذب القيادي في العشرينات والثلاثينات، وبعد أن مثَّلت سورية بعد عام ١٩٤١ م، مركز «عدوى فكرية ثورية وشعبية». ص (١٣٥).

وخلص الباحث من هذا إلى أن **عروبة مصر سبقت ثورة ١٩٥٢ م، بحوالي عقدين من الزمن، وأن هذه الثورة كانت نتيجة لذلك التحول وليست سبباً له، واحتلت مصر دورها العربي القيادي سياسياً وثقافياً.**

(ج) «**تثوير الطبقة المتوسطة الصغيرة**»: وأشار الدكتور الأنصاري هنا إلى الإصلاحات الزراعية حتى ١٩٢٠ م، وبروز جذور الرأسمالية بعد ذلك، لكن هذه الإصلاحات والمشاريع الصناعية توقف مدّها فحدثت التناقضات الاقتصادية الاجتماعية الثقافية فيما بين ١٩٤٦ م، و١٩٥٢ م.. ص (١٥٧).

وفي **الفصل الرابع** وهو بعنوان (على المفترق بين انشطار العنف واستعادة التوفيق) تحدث الباحث عن انهيار الهيبة المعنوية والمادية الأوروبية بعد التحولات الفكرية والاجتماعية السابقة، وأدت التناقضات الدولية، والتناقضات المحلية الاجتماعية والثقافية إلى فوران اجتماعي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، واندمجت المطالب

الاجتماعية بالمؤثرات الفكرية الجديدة الوافدة من الغرب والاتحاد السوفياتي ، وأصبح الهمّ الاجتماعي لا يقل أهمية عن التحرر السياسي أو الاستفاقة الإسلامية في وجه الغرب ، وستتشابك هذه الهموم لتعكس أزمة المنطقة عامة ، وهذا من أسباب التمزق والصدام بين قوى التغيير وهي في فترة حيرتها .

وبدأ البحث عن محتوى اجتماعي للمشاعر القومية والدينية المتنامية يندمج مع المحتوى العقيدي لها ، فبدأت تظهر في الأدب بوادر الاتجاه الواقعي (١٩٣٦ ــ ١٩٤٦ م) ، وكذلك في الصحف الحزبية والدراسات والأبحاث ذات الاتجاه المستقل التي لم تكن بالضرورة اشتراكية النزعة . وكان **أحمد حسن الزيات** قد جسد هذا في (الرسالة) ، وكذلك **سيد قطب** . وصاحب هذا أنواع عنف سياسي من مظاهرات وانقلابات وحوادث ضرب القوات المحتلة في كل من العراق وسورية وفلسطين ، هذا العنف جعل اليمين أشد يمينية واليسار أشد يسارية ، وتمثل اليمين في جماعة الإخوان المسلمين ، وتمثل اليسار في الجماعات الشيوعية المتعددة . . ص (٢٠١) . ولأن المجتمع العربي يرفض العنف المؤدي إلى الانشطار إلى إسلامية ولا إسلامية ، تحتم أن توجد معادلة وسطى بين السلفية والعلمانية ، بين الإخوان والماركسية ، وتقدمت الطبقة المتوسطة الصغيرة بفكرها ومؤسساتها وقدراتها الاجتماعية للحيلولة دون الانشطار الذي سيؤدي إلى تمزقها بين الفئات الميسورة ، والفئات الفقيرة العمالية والفلاحية ، فبعد أن انجرف مفكروها في العنف أخذوا يبحثون عن صيغة علمية للتغيير . وفي محاولة الرصد لهذا التحول في السنوات التالية لهزيمة ١٩٤٨ م ، يقول إن تلك الهزيمة طرحت المشكلة السياسية المباشرة للنظام القديم ، بعد أن بدا عجزه وسوءاته بوضوح ، فتحركت قوى التغيير لتكون موجة جديدة من العنف السياسي بشكل أكثر حسماً على صعيد السلطة من سابقتها . وتراوحت بين حوادث اغتيال وسلسلة إعدامات وانقلابات في كل من مصر وسورية والعراق ولبنان والأردن . ص (٢١٧) .

هذا الكتاب جدير أن يقرأه كل قارئ عربي وأن يطلع عليه ، فإن به حقائق وتحليلات واستنتاجات قيمة ، تنم عن وعي الكاتب وقدرته على تحليل المقولات وطرح المقدمات ، والاستنتاج منها عن الفكر العربي وعلاقته بالتحرك الاجتماعي ، كما أن فيه جهداً واضحاً مستوعباً للتيارات الفكرية العربية وتشعباتها ورصد مصادر هذه التشعبات ومساراتها . وقد حرص على أن يجعلنا نَسْبُر غور النصوص للوصول إلى حقائق معينة ، فإن هذه النصوص المنقولة رغم طولها كانت شهادات حقيقية تدعم رأي الباحث وتحليله الذي يظهر في حينه . كما استطاع الكاتب أن يشدّ القارئ ويجذبه لقراءة هذا الكتاب بأسلوب سهل منطقي . هذا الجهد جهد واضح يشكر عليه الباحث .

لكني أريد أن أشير بملاحظات كنت أرغب ألا تكون موجودة وأن يكون الكاتب قد تدارك مثل تلك الهفوات ، وأهمها أن الفترة التي تناولها الكاتب كما في عنوان الكتاب هي من عام ١٩٣٠ م ، وحتى عام ١٩٧٠ م ، ولكن الكتاب انتهى عملياً عند بداية الخمسينات ، وكان في معظمه عما سبق الحرب العالمية الثانية ، فأين صدى **هزيمة عام ١٩٦٧ م** ، التي كان لها الأثر القوي على المفكرين العرب ، وانعكس ذلك في كتاباتهم بنبرات ومواقف مختلفة . وقد أكّد الكاتب أن عام ١٩٣٦ م ، كان عام تحولات في مصر والشرق ، وفي الوقت الذي أعاد فيه التحولات التالية إلى التناقضات الاجتماعية فإننا لم نشهد مثل ذلك التحليل الاجتماعي للأحداث عام ١٩٣٦ م ، وما قبلها . وأكّد الكاتب غير مرّة على أهمية العوامل الذاتية في التحول ، ولكنه تحدث كثيراً عن عوامل خارجية بصورة لا تقل أهمية عن العوامل الذاتية ، وكأنما أصبح الاستعداد الذاتي ردّ فعل أو مهادنة لمؤثر قوي من الخارج ، ذلك ما كان واضحاً في تناوله لكل مرحلة توفيقية . . وهكذا دل الأسلوب الذي تناول به الظواهر واعتقد أن الذاتية المطلقة ــ لو توفرت ــ ما كانت تؤدي إلى توفيقية مع وافد واقع بل مفروض أحياناً كثيرة كما أشار الكاتب نفسه في غير موطن .

وقد وقع الكاتب في التكرار أحياناً دون حاجة كما أرى (انظر مثلاً ص ٤٧ ، ص ٦٧) ، واتضح أن الكاتب لم يعط الحركة الإسلامية حجمها الطبيعي وخاصة في الأربعينات والخمسينات ، واكتفى بالإشارة إلى قوتها (ص ١١٣) دون أن يرينا أثرها في الساحة الاجتماعية الفكرية ، كما أنه لم يعط الحركة الاشتراكية حقها كذلك حينما أشار إليها في مصر فقط (ص ٢٥) فأين كانت تقف ؟ وما مدى فعاليتها في فلسطين والشام والعراق ؟ ويبدو جلياً أن الكاتب قد وضع أن الفكر العربي فكر توفيقي ، ثم أخذ يثبت هذا الحكم ويدعمه ويختار له المفكرين والنصوص . هذا ما أكده هو في التمهيد والخاتمة (ص ٥ ، ٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧) . ثم كيف يمكننا أن ندرج الدعوة الوهابية ضمن (الصوفية) ؟ (انظر ص ٧) .

ويقع الكاتب في إحالات كان الأولى أن لا تكون موجودة حينما وعدنا بالحديث عن شيء سبق أن تحدث عنه في الكتاب نفسه (ص ٩٣) ، أو حين أحال إلى جزء من الكتاب غير موجود أصلاً (ص ٢١٦) ، كما ورد في متن الكتاب ما يجب أن يورد في الحاشية (س ١٣ ، ص ١٤) ، لا سيما أنّه مكرر في متن الكتاب (ص ٢٥) . والكاتب يحدثنا غير مرة عن تحول (السياسة الأسبوعية) بعد سنة ١٩٣٢ م ، في حين أن هذه الصحيفة كانت قد توقفت في أوائل عام ١٩٣١ م ، وأن الملحق الأسبوعي للسياسة اليومية هو الذي نشر فيه محمد حسين هيكل كتابه (حياة محمد) . . وقد أشار الكاتب نفسه إلى ذلك (ص ٦٧) ، أما السياسة الأسبوعية فبقيت متوقفة حتى أوائل عام ١٩٣٧ م .

وعلى الرغم من هذه الملاحظات التي لا تقلل من أهمية الكتاب فإنه يظل جديراً بالقراءة .

موضوع خاص

قشريات جديدة

بقلم: عبد الرحمن حريتاني



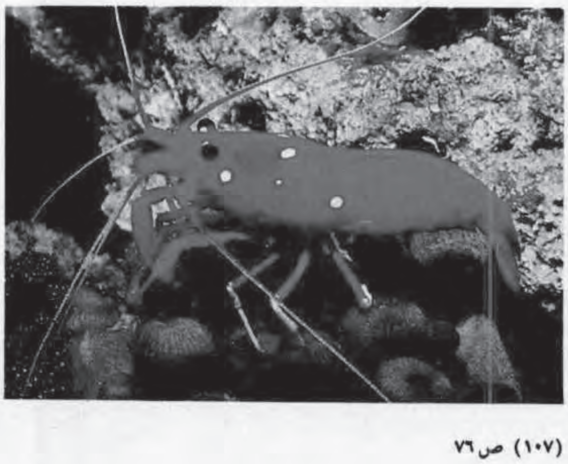
رتبة القشريات
Crustaceans Class

تحتوي رتبة أو صف القشريات على (٣٠) ألف نوع حيوان قشري تعيش معظمها في البحار، ويعيش البعض منها في المياه العذبة والبرك والترب الرطبة، وقد اكتسبت هذه الرتبة اسمها من وجود قوقعة قشرية تحيط بجسمها، وأهم أنواعها السرطانات Crabs وجراد البحر lobsters وبراغيث الماء والروبيانات (القريدس) الصغيرة shrimps (التي هي موضوع دراستنا هذه)، وللقشريات أهمية كبيرة في عالم التغذية، ذلك لأن الأعداد الهائلة جداً من هذه القشريات الصغيرة التي تعيش في البحار والبحيرات والبرك في مناطق كثيرة ومتنوعة من العالم تعتبر المصدر الرئيسي للغذاء النافع المفيد والممتع للملايين من البشر.



★ الروبيان المهرج The Clown Shrimp ★

وكلمة روبيان shrimp تعني لغة الانكماش أو التقلّص ، ذلك لأن هذه الكائنات الصغيرة الفائقة الجمال والروعة تحتوي تراكيب أجسامها وهياكلها على تشاكيل عجيبة ورسوم منوّعة ملوّنة مختلفة النماذج تثير الاهتمام وتأسر الألباب لفرط دقتها . وقد أثارت هذه الحيوانات الرائعة الجمال اهتمام علماء الحيوان والحياة البحرية ، ومنهم عالم الحياة البحرية Marine biologist **(آلكس كيرستيتش Alex Kerstitch) الباحث المساعد في جامعة (أريزونا)** ـ أميريكا ـ الذي يدرس ويبحث وينقّب منذ أعوام في أدق تفاصيل حياة وسلوك أكثر من (١٠٠٠) نوع منها ، وخاصة الأنواع النادرة جداً ، أو الأنواع التي يصعب الحصول



★ القشري الروبيان المنظف The Cleaner Shrimp ★



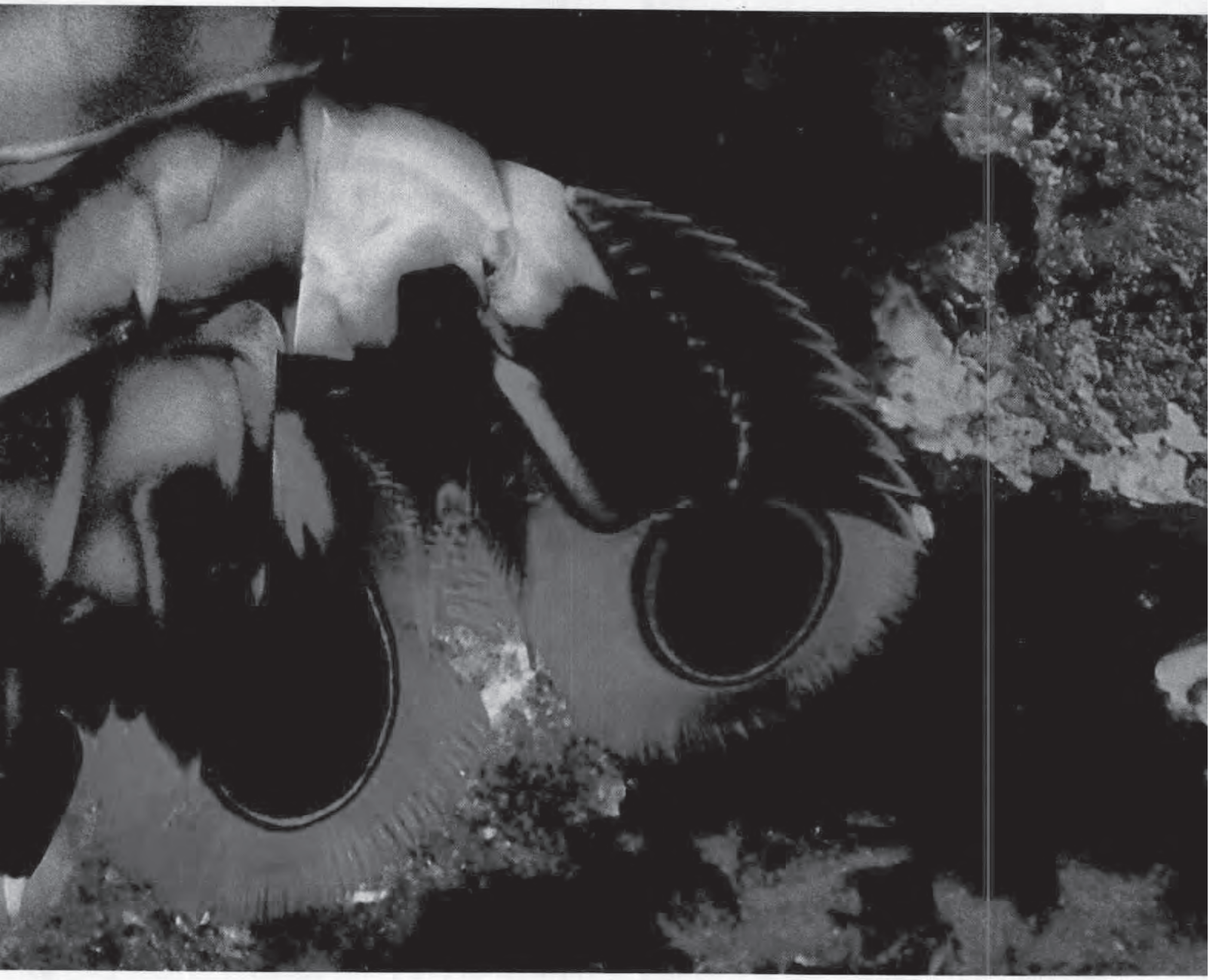
★ الروبيان الأحدب Humbak Shrimp ★

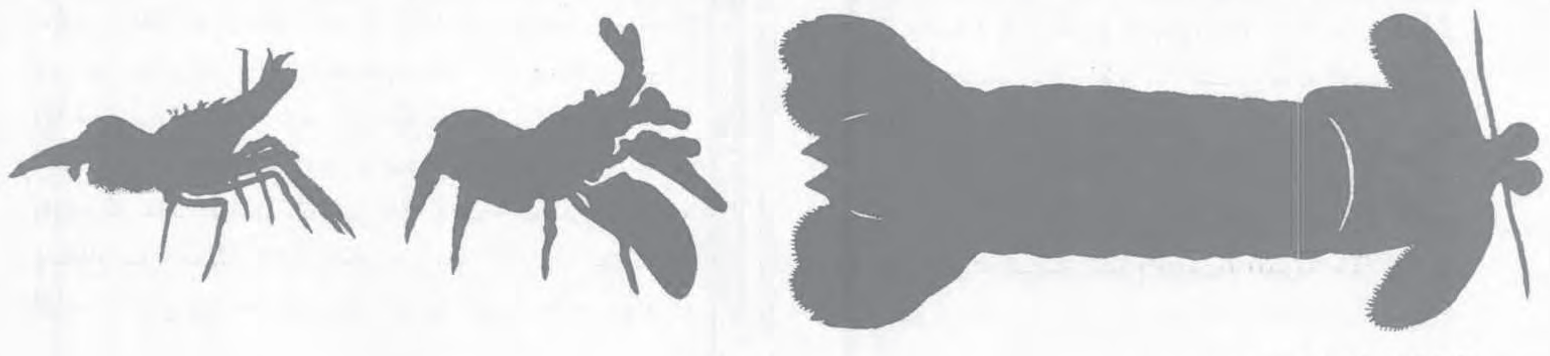
عليها ، ويقول العالم (كيرستيتش) : « إنني أرغب حين أقوم بدراساتي في التطبيق العملي الفعّال على كل هذه الأنواع ولا أكتفي بما يقدّمه العلم النظري ، ذلك لأننا إلى الآن لا نعلم إلا القليل عن بيولوجية (علم الحياة) جميع أنواع القشريات ، وإن ازدادت معرفتنا عنها كثيراً في الفترة الأخيرة ، وأنا شخصياً أرغب بمعرفة المزيد عن سلوك وحياة هذه المخلوقات المدهشة رائعة الجمال » ، وقد استمر العالم (كيرستيتش) يجري دراساته وأبحاثه بانتظام على هذه الحيوانات لأكثر من (١٢) عاماً بصورة متصلة ، واستطاع بمقدرة عظيمة اكتشاف الكثير من الأنواع الجديدة التي تُعرف لأول مرة ، ومن بينها هذه الروبيانات الجميلة التي نشاهدها على هذه الصفحات ، وقد التقط العالم هذه الصور لها بنفسه بواسطة كاميرا خاصة تعمل تحت الماء وباستخدام ضوء strobe قوي جداً ، وذلك في **بحر (كورتز Cortez) في (خليج كليفورنيا)** بعيداً عن الشاطئ الغربي للمكسيك وفي أماكن أخرى من العالم ، وقد أبحر في عام (١٩٨٢م) ، على متن مركب الأبحاث البحرية إلى أن وصل إلى **بحر المرجان Coral** الذي يبعد حوالي (١١٠٠) ميل عن الشاطئ الشرقي لاستراليا ، حيث حطّ رحاله في **أرخبيل (فانواتو Vanuatu)** ، ومن خلال بحوثه وتنقيباته المستمرة استطاع أن يقدّم للبشرية هذا الكشف الجديد الكبير .

القشري الروبيان المنظّف

The cleaner shrimp

روبيان (قريدس) من القشريات من نوع (بيريكليمينيس Periclimenes)، طوله حوالي (٢) إنش (الإنش = ٢,٥٤) يتوضّع على حيّد بحري reef (سلسلة صخور قرب أو تحت سطح الماء) قرب أرخبيل (مجموعة جزر) فانواتو في بحر المرجان بعيداً عن الشاطئ الشرقي لاستراليا، وهذا الروبيان المتوهّج يشبه أنواع أخرى من القشريات التي تنتمي إلى أنواع ما تزال هي الأخرى بلا اسم، وهو **يدعى بالقشري المنظّف Cleaner، لأنه يحصل على معظم غذائه من أكل**





الطفيليات Parasites التي تعلق بالأسماك والأحياء المائية الأخرى التي يريحها جداً التخلص منها ، وأيضاً لأنه يأكل النسج الميّتة التي تتخلّف من بقايا الأسماك والأحياء المائية بعد موتها ، ويقول العالم (كيرستيتش) إنه كثيراً ما شاهد أسماكاً تتوضّع فوقه لتقوم هي أيضاً بتنظيفه وخدمته ، وكأن الأمر تبادل منافع وخدمات ومصالح فيما بينها في هذا العالم البعيد عن العيون والمشاهدة عميقاً تحت طيّات مياه هذه المحيطات على أراضي قيعان تسكنها عوالم ومخلوقات لا يعلم مددها ومُراد تكوينها إلا خالقها الذي أوجدها (سبحانه وتعالى) . . ويقول العالم (كيرستيتش) إنه شاهد لتوّه أربع روبيانات منظّفة تقوم معاً بتنظيف فم ورأس نوع من الأسماك الأنكليس اسمه





★ الروبيان السرعوف

★ Mantis Shrimp





★ روبيان البرميل المهيب

★ The Peppermint Shrimp

(**أنكليس موراي Morayeel**) من الطفيليات والبقايا العالقة بها التي لا تستطيع تنظيفها بنفسها .

الروبيان المهرّج
The clown shrimp

هذا الجمال الرائع الأخّاذ والتخطيط التشكيلي إبداعيّ التلوّن والتمازج والتناسق والتساوق اللطيف المحبّب المريح ، أوجده خالقه (سبحانه وتعالى) بهذه الكيفية والخلقة التشكيلية المبدعة من أمر (كن فيكون) دونما جهد تكلفة منه سبحانه وحاشاه .. فهو الخالق البارئ المصوّر .. لغايات وأهداف ومرام وشؤون لا يعلم مدلولاتها إلا هو (سبحانه) .. ونجهلها نحن وما أكثر ما نجهل من أمور موجودات وشتات وتفريق وجمع بنيان تركيب هذا الكون العظيم ، ولهذا الروبيان الرائع الجمال اسم لطيف وسلوك وعادات ألطف تتناغم مع شكله اللطيف الآسر ، واسمه (**هيمينوسيرابيكتا Hymenocerapicta**) ويتغذى بأكل نجوم البحر Sea stars .

فبعد أن يلتقط واحدة منها بكلّاباته القوية يقلبها ظهراً لبطن ويلتهمها ، ولكنه عادة يكتفي بأكل ذراع واحدة منها ويتركها وشأنها ، وفقدان ذراع أو أكثر من أذرعة نجم البحر لا يضيرها كما نعلم ، إذ سرعان ما تنمو لها ذراع جديدة عوضاً عن الذراع المفقودة التي التهمها الروبيان المهرّج ، وخاصية تجديد الأعضاء المبتورة في حيوانات نجم البحر خاصية فريدة مدهشة تتميّز بها عن باقي الكائنات الحية ، فباستطاعة نجم البحر إعادة إنماء أي ذراع يفقدها ، بل حتى إنه باستطاعته تجديد رأسه أو معدته إن فقدهما ، وطول الروبيان المهرّج حوالي (٢,٥) إنش ، ومع ذلك بإمكانه أن يلتهم نجم بحر طوله (٦) إنشات خلال (٤٨) ساعة فقط ، ونراه في الحيد البحري لـ (أواهو) .

الروبيان الأحدب
Humback shrimp

جمال أخّاذ مبهر .. وأفعال إلهية تُعجز فلا نستطيع وصفاً لها أو تحليلاً أو إدراكاً .. إنه روبيان غريب جداً بتركيبة هيكليته وتلوينه الدقيق المنمنم المحسوب بقدر .. وهو من نوع (**رهينكوسينيتيس** Rhynchocincinetes) ويسمى **بالروبيان النعناع** ، وعلماء الحياة يدعونه بالروبيان ذو المنقار لأن له رأس قابل للتحريك يدور في جميع الاتجاهات وهم يجهلون الحكمة التي تخفى وراءها ، وأيضاً فإن العلماء يجهلون لماذا تشكّل هذه الروبيانات أحياناً صفوفاً طويلة تتبع بعضها لتهاجر من موطنها في كلّ موسم مثلها مثل بعض أنواع جراد البحر lobsters المهاجرة ، وطول هذا الروبيان لا يتعدّى الإنش الواحد ، وفي هذا الإنش نرى كل هذا التلوين والإبداع الإلهي المعجز .. والتقطت هذه الصورة في تخوم الحيد الاسترالي الكبير .

روبيان البرميل المهيب
The Peppermint shrimp

روبيان صغير جداً يشبه بتكوينه البرميل ولكنه مهيب ، فهو من نوع (جناثو·فيلم بانامينسي Gnathophylumpanamense) ، وحجمه الصغير هذا يساعده في عملية التنكّر والخداع التي يسلكها لتأمين غذائه ، فهو يتوضّع بين نتوءات **قنفذ البحر** sea urchins حيث يستطيع من مكانه هذا تصيّد والتهام الأقدام القنّابية tube feet لقنفذيات الجلد هذه التي تستخدمها للتحرّك ولإمساك العوالق (البلانكتون Plankton) وهي الكائنات الحيوانية أو النباتية الصغيرة المعلّقة أو الطافية على المياه ، وتمتلك قنافذ البحر وهي من القشريات مئات الأقدام التي تسير عليها ببطء وتمهّل ، وهذه الروبيانات البرميلية توجد بكثرة في خليج كاليفورنيا حيث نرى في هذه الصورة التي التقطت هناك واحداً منها يدبّ فوق بعض أنواع المرجان في كهف عميق تحت المياه .

الروبيان السُّرعوف
Mantis shrimp

معظم الروبيانات تنتمي إلى النوع المسمّى (**ديكابودا** Decapoda) ، والروبيان السّرعوف له نوعه الخاص به ويسمّى بالنوع (ستوماتوبودا stomatopoda) ، وتكمن قوّته في شفاهه الأمامية القوية التي صمّمها له الخالق المصوّر (جلّ جلاله) لتكون الوسيلة لمعاشه وتغذيته ، وهذا النوع منه يستخدم هذه الشفاه القوية لتحطيم وفتح الصدفات shells القاسية للفرائس التي يتغذّى عليها مثل **البطلينوس** clam (حيوان من الرخويّات) ، وتوجد أنواع أخرى منه تمتلك شفاهاً شائكة صمّمت لتمكّنها من الإمساك بالفرائس ذات الملمس الناعم .

ونرى في أعلى الصورة الروبيان السّرعوف الذي يبلغ طوله حوالي (٧) إنشات ويدعى (أُدونتوداكتيلس سكيلارس odontodactylus scylarus) بعيداً عن أرخبيل (فانواتو) كما نشاهد في الصورة الكبيرة تكبيراً لقطع الذنب التي ينشرها بهذا البسط والعرض في حالتين مهمتين بالنسبة لحياته .. في حالة القتال والدفاع عن النفس ، وحالة الغزل .

وأسفل الصورة رسوم تقريبية للروبيانات التي مرّت معنا خلال صفحات هذه الدراسة ، وذلك بحسب أحجامها الحقيقية من الأصغر إلى الأكبر ، ونراها على التسلسل بدءً من الروبيان الذي يبلغ طوله (نصف إنش) إلى الذي يبلغ طوله (٧) إنشات .

اكتشافات علمية

اكتشافات علمية

اكتشافات علمية

دراسة علمية عن طمي الأنهار في العالم

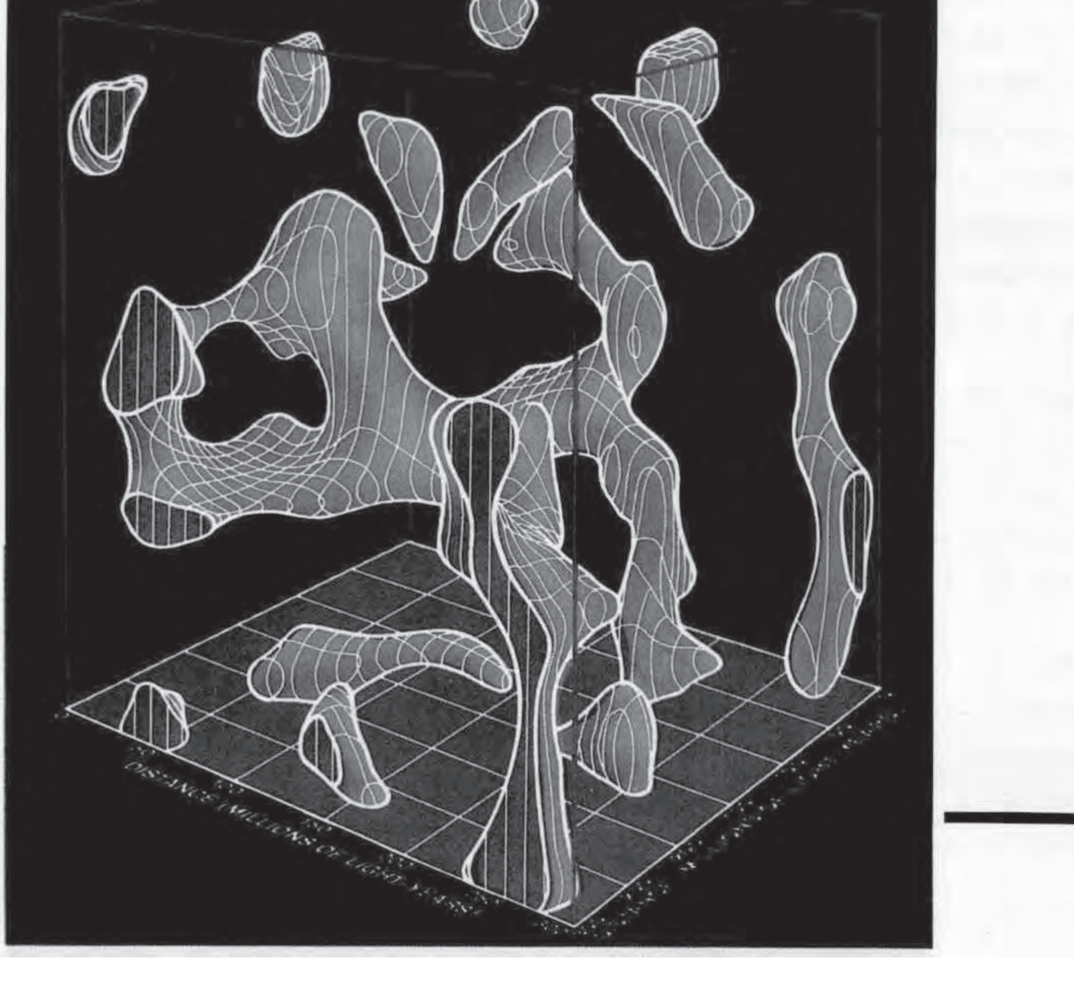
تقذف أنهار العالم كل عام حوالي ١٥ بليون طن من الرواسب في المحيطات ، حسب ما جاء في أحد الأبحاث الحديثة . . . وسبعون بالمائة منها يأتي من أنهار **جنوب آسيا** ، وأنهار الجزر الكبرى في المحيطين **الهادي والهندي** .

وقد كان الاعتقاد السائد أن الأنهار التي تجري في المناطق التكتونية النشيطة Tectonically Active ، تحمل أكبر كمية من الرواسب ، وهكذا فإن الاكتشاف الحالي كان نوعاً من المفاجأة ، بسبب الكميات الهائلة من الرواسب في منطقة غرب المحيط الهادي .

والقياسات السابقة للرواسب في أنهار جزر هذه المنطقة (هي جزء من المنطقة التي يُطلق عليها اسم **حلقة النار** Ring of Fire بسبب نشاطها البركاني المتواصل) ، كانت أكثر مما هي عليه في الحقيقة Underestimate ، حسب ما جاء في تقرير الجيولوجيين **جون ميليمان** John Milliman ، **وروبرت ميد** Robert Meade ، من إدارة المسح الجيولوجي الأميريكية ، اللذين قارنا الأرقام السابقة بالأرقام الحالية .

وقد ذكر العالمان أن طمي الأنهار « **الغرين** » Silt الذي يتدفق خلال أنهار **آسيا** تبلغ كميته حوالي ٦ بلايين طن سنوياً ، بينما الكمية التي تتدفق في أنهار **أميريكا الجنوبية** تبلغ ٢ بليون طن ، وفي أنهار **أميريكا الشمالية** ١,٥ بليون طن ، وفي أنهار **أوقيانوسيا** ٣ بلايين طن ، أما كمية الطمي التي تجلبها أنهار **إفريقيا** فلا تتعدى ٥٣٠ مليون طن ، وتأتي في المؤخرة أنهار **أوروبا وأستراليا** ، إذ تجلب كل منها ٢٣٠ مليون طن ، و ٦٠ مليون طن على التوالي .

إن بناء السدود قلّل بشكل كبير رواسب كثيرة من الأنهار ، ومن أشهرها نهر **كولورادو** ، الذي كان يضخ في الماضي ١٣٥ مليون طن سنوياً ، ولكنه الآن لا





يقدم إلا مائة ألف طن .. ونهر **النيل** كان يجلب ما قوامه مائة مليون طن من الطمي كل عام ، ولكن ما يضخه الآن حسب تقرير العالمين شيء لا يُذكر .

وأكبر كميات من الطمي يضخها نهر .. هي تلك الكميات التي يجلبها نهر **الغانج** في الهند ، إذ تبلغ ١,٦ بليون طن سنوياً .. ولمعرفة ترتيب بقية أنهار العالم في هذا المجال انظر الصورة .

ترتيب أنهار العالم من حيث كمية الطمي التي تجلبها سنوياً :

١ ــ نهر الغانج / براهمابوترا .
٢ ــ النهر الأصفر (هوانغ هو) .
٣ ــ الأمازون .
٤ ــ يانغتزي .
٥ ــ إيراوادي .
٦ ــ ماغدالينا .
٧ ــ المسيسبي .
٨ ــ أورينوكو .
٩ ــ النهر الأحمر (هنغ هو) .
١٠ ــ الميكونغ .

صورة الكون

عندما تتجمع النجوم مع بعضها ، فإنها تكوّن المجرات Galaxies ، والمجرات تتجمع مع بعضها لتكوّن الثريا .. وهكذا .. **ولكن كيف يبدو الكون كله مجتمعاً في صورة شاملة ؟** .

تقول عالمة الفضاء **جون سنتريللا** Joan Centrella ، وزميلها **أدريان ميلوت** Adrian Melott : إن الكون يبدو **«كقطعة الجبن السويسرية»** ... وسنتريللا هي عالمة فلك بجامعة **تكساس** ، وميلوت من جامعة **شيكاغو** ، قاما بالبحث عن صورة الكون الشاملة بواسطة نموذج رياضي Mathematical Model يصوّر الكون بعد الانفجار العظيم ، الذي يطلق عليه العلماء اسم Big Bang ، والذي يعتقدون أنه البداية الأولى للخليقة .

والنموذج الرياضي المطروح مبني على أساس تصرفات **النيوترينو** Neutrino ، تلك الجزيئات الذرية التي يُعتقد أنها تكوّن ٩٠ بالمائة من المادة الموجودة في الكون .. وبمرور الزمن ، وبتأثر قوى الجاذبية ، تجمعت تلك الجزيئات الذرية مع بعضها البعض على شكل قطع طويلة متداخلة من المادة الكونية .. وبين هذه القطع ذات المادة الكثيفة توجد **فقاعات من الفراغ ...**

تقول سنتريللا : إن المادة تداعت إلى هذه الأشكال ، لأن حساء الجزيئات في الكون كان على شكل موجات أشبه بموجات المحيط ... ويعتقد الفلكيون أنه حالما تحركت هذه الموجات في فراغ الكون بعد بداية تكوّنه ؛ جعلت مادته تنضغط مع بعضها البعض ، ثم تكاثفت المادة وانضغطت أكثر وأكثر ، مكوّنة تجمعات أكبر من المجرات والثريا .

ويتعامل النموذج الرياضي مع النيوترينو فقط ، الذي لا نستطيع رؤيته ... ولكن الباحثَيْن يشعران بأن نتائجها يمكن تطبيقها على النجوم وعلى الغازات الكونية أيضاً .

يقول الباحثان : **يوماً ما ، سنرسم خريطة أدق للكون كله ، وسنرسم سهماً يشير إلى مجرتنا مجرة الطريق اللبني التي تقع ضمنها مجموعتنا الشمسية ، وسيكون ساعتها باستطاعتنا أن نكتب على السهم «نحن نعيش هنا»** ...

والخريطة المبدئية التي تراها هنا ، تشمل حدود الكون إلى مسافة ثلاثمائة مليون سنة ضوئية فقط في الاتجاهات الثلاثة .

☆ ☆ ☆

لوحة وفنان

اللوحة: نغم البادية

● استلهم الفنان موضوع لوحته من موجودات البيئة التي تعلّق بها وعشقها، حيث نشأت رابطة روحية بينه وبين مكوّناتها كالصحراء.. والخيام.. والبدويات، والزخارف الشعبية.. كما نشأت رابطة روحية أيضاً بينه وبين الأمسيات الليلية الصحراوية الجميلة، حيث يتجمع الأصدقاء في جلسة طرب، للغناء والعزف على الآلات الموسيقية البسيطة، كالربابة التي تعزف ألحاناً شجية حزينة تطرب السامعين.. ومن هنا استمد الفنان موضوع لوحته نغم البادية.

● لم يصور الفنان الموضوع بشكل واقعي، أو تقليدي، رغم أنه يهتم بقواعد الرسم والنسب التشريحية، ولم يتبع النهج التقليدي أو النهج الأكاديمي أيضاً في بنائية اللوحة.. فاللوحة عبارة عن مستطيل رأسي قسمه الفنان إلى مستطيلين أفقيين، ووضع عناصر ومفردات الموضوع في هذين المستطيلين اللذين يفصلهما عدة خطوط ومساحات أفقية تمثل خطوط الصحراء الممتدة.

● صوّر الفنان في الجزء العلوي من اللوحة وجهاً لبدوية، تلك التي يعزف لها العازف ألحانه الشعبية، يظهر وجهها من خلف خيمة ويظهر خلف وجهها هالة ضوء دائرية تمثل القمر، وكأن الفنان يريد القول إن العزف تم في ليلة قمرية أو إن محبوبته كالقمر... وقد صوّر في الجزء السفلي من اللوحة «المستطيل» الجزء الهام من العازف، صوره هو ويديه في حالة العزف ولم يظهر رأسه أو باقي جسده، كما صوّر الآلة الموسيقية والألحان الصادرة وهي عبارة عن مساحات لونية تأخذ شكل الخطوط العريضة المنحنية لتتجانس مع خطوط السجادة ذات الزخارف الشعبية.. وبذلك قد جمع الفنان عدة عناصر من البيئة في لوحته ومزج بينها بشكل منسجم.

● الألوان منسجمة ومتباينة وذات طبيعة نغمية، وفي نفس الوقت عبّرت عن التراث الشعبي، وعن الألحان والأنغام، وعن الليلة القمرية، وقد استخدم الفنان التباين بين الألوان والأضواء والظلال ليعطي الإحساس بسقوط ضوء القمر.

الفنان: سعود الفرج



● ولد بالكويت عام ١٩٥١م.

● تخرّج في معهد المعلمين ــ شعبة التربية الفنية عام ١٩٦٩م.

● حصل على بكالوريوس المعهد العالي للفنون المسرحية بالكويت عام ١٩٨١م.

● يعمل موجهاً فنياً بإدارة النشاط المدرسي.

● اشترك في معرض الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية عام ١٩٧٢م.

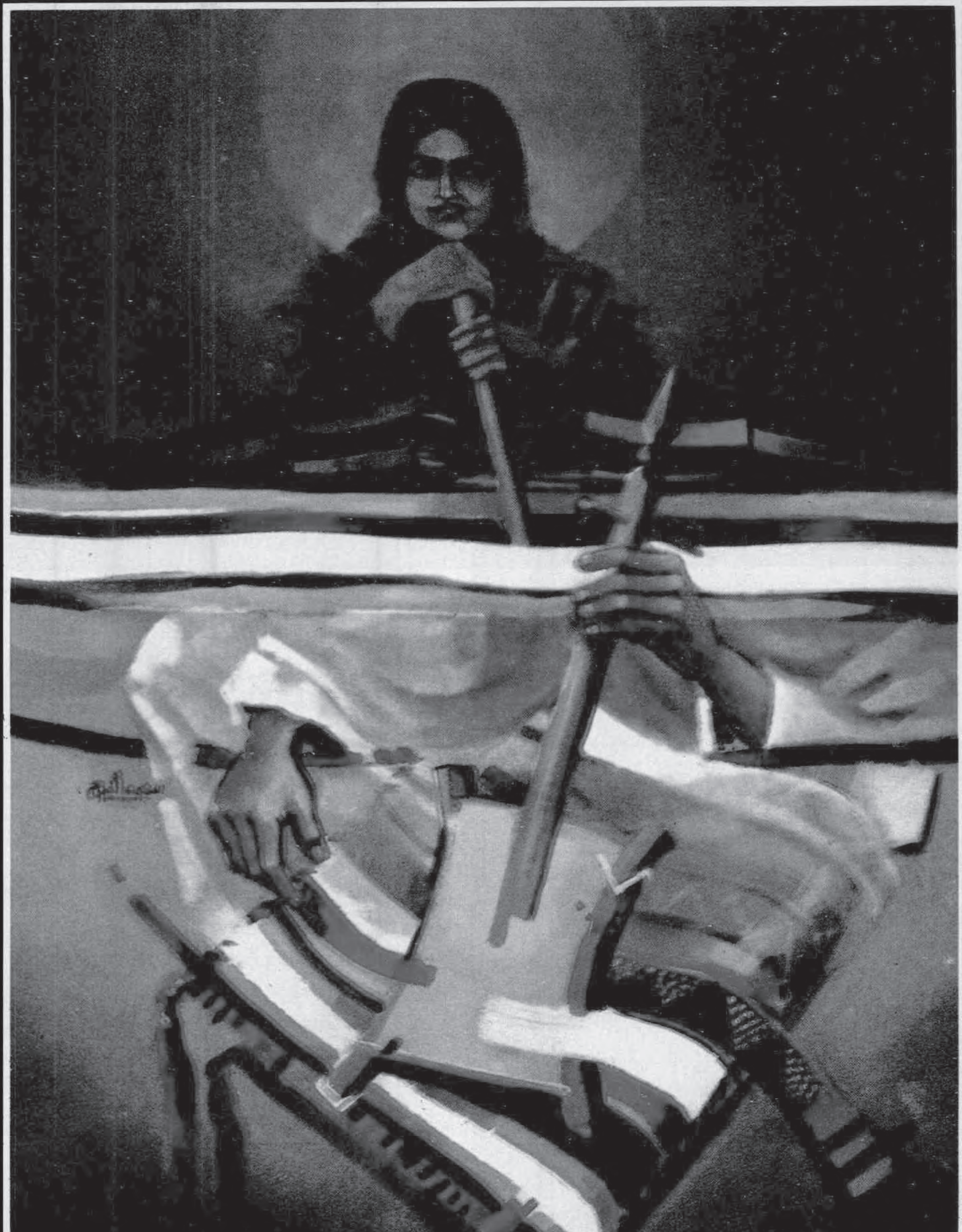
● اشترك في بعض معارض السيدات الأميركيات بالكويت.

● شارك في معرض الفنانين التشكيليين العرب الثامن بالكويت عام ١٩٨٣م.

● قام بتصميم عدد من الديكورات المسرحية.

● اشترك في معارض الجمعية الكويتية التي أقيمت في كل من إسبانيا، وعمان، والإمارات العربية المتحدة.

● حصل على عدة جوائز منها الميدالية الذهبية من معرض الجمعية الكويتية الخاص عام ١٩٨١م.







الضفدعة السابحة في الهواء

هذه السباحة في الهواء التي نشاهدها في الصورة من خلال القفزة الغريبة جدًا لضفدعة الشجر الأوروبية المسماة بـ (Hylaarbored) والتي تـم خلال زمن ضئيل جدًا لا يتجاوز الـ (١٥) جزءً من ألف من الثانية ، ما كانت لتتم لولا تلك الرابطة العصبية العضلية Neuromuscular .. وبعد أن تحطّ من قفزتها على الغصن الآخر ستكون قد قطعت مسافة أكثر من (**مترين**) بفضل قوّة العضلة الخيّاطية sartorius muscle التي تقع على كل فخذ من الأمام .

وتبدأ القفزة باندفاعة قوية جدًا للضفدعة من الورقة التي على غصن الشجرة على اليمين إلى الورقة التي على غصن الشجرة إلى اليسار ، وذلك بعد أن تحث الخلايا العصبية وتحرّك الشحنات الكهربائية باتجاه الألياف العضلية ، بحيث تقابلهم فجوة مملوءة **بالأيونات** ، لينقلها الناقل العصبي المسمّى بـ (**الأسيتيل كولين**) ، ولتعبر الجزئيات الفجوة إلى الليف العضلي وتعمل كمستقبلات receptors ، وليتبدّل الجهد الكهربي خلال الليف ، ومن ثم تنكمش العضلة وتذهب بالضفدعة بعيداً في الهواء .

وتتميز ضفدعة الشجر الأوروبية ببراعة فائقة ، وبسرعة تحركاتها وقوّة وشجاعة لا توصف رغم وجهها الطفولي ، وذلك بشهادة الدكتور (**هانس رودولف هيوسر**) من متحف علوم الحيوان في جامعة **زيوريخ** ، كما أنها تتميّز بأنّها **الضفدعة الأصخب في أوروبا** ، وهي تستجيب لضفادع الأشجار الأخرى ولأيّ صوت يشابه أصواتها ، لأن صوتها لا يشابه نقيق الضفادع الأخرى .

وفي فصل التزاوج ، يتجمّع الذكور في الليالي الدافئة عند أقرب بركة ويشكلون مجموعة واحدة ، ينشدون ترتيل الأناشيد والأنغام ، ثم تظهر الإناث فيما بعد في المساء ليبدأ التزاوج ، وفي هذه المناسبة عادة تكون نسبة الإناث للرجال (٢٠) إلى (١) .

وتأخذ قفزة الضفدعة الغريبة هذه حوالي (١٥٪) من الثانية فقط ، ولذلك فإن العين الإنسانية لا تستطيع متابعتها لأنها لا تتمكّن من متابعة أكثر من (١٠) صور في الثانية ، ولولا طريقة التصوير **الستروبوسكوبي** stroboscopic لما شاهدنا هذه الصورة الرائعة ، ونحصل على الضوء في هذه الطريقة بتفريغ شحنة عالية الجهد voltage جدًا تجري إلى قناة مملوءة بالغاز ، وضوء **الستروب** strobe يمكن أن يضيء لأكثر من (١٠,٠٠٠) مرّة في الثانية ، وصورة قفزة الضفدعة (**فوق**) التقطت من خلال مصراع الكاميرا المفتوح حيث أثير ضوء الستروب ليضيء ثلاث مرّات فقط أثناء القفزة .



★ غرن كابوسي عبارة عن أورام وعائية تظهر في الطرفين السفليين وتنتشر لتصيب جميع أنحاء الجسم

الأيدز AIDS

زلـــزال علـــم المناعـة

بقلم : د . ضياء الدين الجماس

عدّ العلماء القرن العشرين الميلادي ، عصر علم المناعة . وقد صُرفت المليارات من الدولارات لبحوث هذا العلم الدقيق ، حتى ذهب أكثر علمائه إلى اعتباره العلم الوحيد الذي سيفسر جميع الظواهر المرضية ، وعلاقة العضوية بمحيطها .

وفي نهاية السبعينات ، وبعد أن قطع هذا العلم شوطاً كبيراً في الكشوف باستخدام المصول ، والمجهر الإلكتروني ، والرحلان الكهربائي . . . تمكن العلماء من وضع قواعد أساسية أصبحت من البديهيات في هذا العلم المتطور ، وأذكر منها ما يلي :

١ ــ تقوم الخلايا اللمفاوية في جسم الإنسان بالدور الرئيسي في الدفاع عنه .

٢ ــ أمكن تمييز نوعين رئيسيين من الخلايا اللمفاوية :

أ ــ **الخلية ب (B) :** وتتميز بوجود مستقبلات مناعية غلوبيولينية ، نوعية للمستضادات ، وتتوضع هذه المستقبلات على سطح الخلية ، وبهذه الخاصة أمكن تمييز هذه الخلايا باستخدام مستضادات متألقة Fluores-cent Antigen ، يمكن كشفها بالمجهر الخاص بذلك . **(مجهر التباين ، شكل ١) .**

تتحول الخلية ب (B) إلى **خلية مصورية** Plasma Cell إذا استُثيرت بالمستضد Antigen المناسب ، وبتحريض من الخلايا ت (T) وضمن توازن وتنسيق فيما بين الخليتين ، يتم إفراز **الغلبيولينات** المناعية الخلطية ومنها : **1gE, 1gA, 1gD, 1gG, 1gM** .

وهكذا تكون الخلية ب (B) هي الخلية



الأولية المنتجة للأضداد الخلطية ، ولا تتداخل في المناعة الخلوية . وهناك تشارك وظيفي بينها وبين الخلية ت (T) ، ويعتقد أن منشأ هذه الخلية هو الأرومة اللمفاوية المتواجدة في النقي العظمي .

وهكذا يرمز الحرف ب (B) إلى الحرف الأول من كلمة **Bone marrow** .

ب ـ **الخلية ت (T) :** ويعتقد أن منشأها هو التوتة **Thymus** ، ولها أدوار عديدة ومختلفة أوجزها بما يلي :

ـ تتميّز بجذبها للكريات الحمراء للخروف ، وبذلك يمكن معرفة عددها ونسبة تواجدها في الدم المحيطي (تلتصق الكريات الحمراء للخروف حولها بشكل الوردة) .

ـ لها مستقبلات أيضاً على سطحها الغشائي ، طبيعتها غير معروفة ، وإذا استُثيرت بالمستضد المناسب ، فإنها تتحول إلى خلية **أرومية Blast** ، تنتج عوامل ووسائط كثيرة ، ذات دور في تنظيم عمل الخلايا ب (B) ، ومن هذه الوظائف أمكن تمييز نوعين من الخلايا ت (T) ، هي الخلية (ت : T) المساعدة **T helper** ، والخلية (ت : T) الكابتة **Suppressor** ، ومن هنا تأتي الوظائف المتشاركة للخليتين ت و ب . فلا يمكن مثلاً للخلية ب أن تنتج الغلوبيولين 1gA الطبيعي إلا بتحريض من الخلية ت (T) المساعدة .

كما تنتج الخلية عوامل أخرى ذات وظائف مناعية من نوع آخر ، كعامل النقل مثلاً ، Transfer Factor المسؤول عن نقل التحسس المتأخر من شخص إيجابي إلى شخص سلبي التحسس . فهذه الوظيفة للخلية اللمفاوية ت إذاً هي وظيفة تنظيم للمناعة الخلطية .

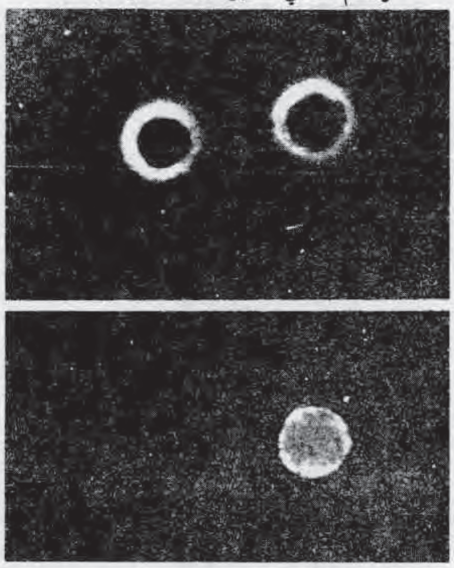
ـ للخلية ت (T) الدور الأساسي في المناعة الخلوية .

هذه أهم الأسس المناعية التي اعتمد عليها علماء المناعة في تفسير الأمراض وآلية حدوثها ، حتى جاء الزلزال الذي خلخل هذه القواعد ، وأثار الشكوك في مدى صحتها ، فأثار الفوضى

★ صورة بالمجهر الإلكتروني لأحد البوغيات الخفية (التكبير × ٣٦٠٠٠) ★



★ القسم العلوي خلايا لمفاوية ت (اثنتان) والقسم السفلي تظهر خلية لمفاوية ب ★



بين العلماء في تفسير كنه هذا المرض وفق هذه القواعد . . حتى ذهب بعضهم إلى القول إنه يجب إعادة النظر في أسس المناعة ، ولنبدأ من جديد . . .

فما هو هذا المرض الذي تحدى العلماء وأظهر ضعفهم ، بل قال لهم بلسان حاله وفعله : « ما زلتم لا تعلمون شيئاً من حقائق الأمور » .

تعريف الأيدز

لا بد من التعريف أولا بهذا المرض ، ثم نبدأ بالقصة منذ البداية :

إن كلمة الـ **AIDS** (الأيدز) تمثل الحروف الأولى من العبارة الأجنبية : Acquired Immune Deficiency Syndrome وتعني **« متلازمة العوز المناعي المكتسب »** .

وهو شكل وبائي جديد لعوز مناعي خلوي عميق ، فتحدث نتيجة لذلك ، الأخماج الطارئة أو الأورام ، أو كليهما . . . وقد أصاب بشكل خاص الجِنْسِيّين (**اللوطيين**) ، وانتشر عن طريقهم إلى غيرهم كوباء عمّ وألقى الرعب في

★ فرفرية نقص الصفيحات الغامض عند الرجال بادرة لظهور الأيدز ★



قلوب شعوب أميريكا، وأوروبا، وأواسط إفريقيا. وقد ينتشر إلى غيرهم من المجتمعات، إذا لم تتخذ التدابير اللازمة لدرء انتشاره، ومن هنا تعالت صيحات التحذير لتوعية المجتمعات من خطورة هذا الداء، وهو اليوم إعصار حموي وبائي قاتل.. فلنبدأ بالقصة منذ البداية لتكون تحذيراً وعظة.

لمحة تاريخية

بدأت الإصابات بالظهور بشكل متفرق لم ينتبه إليه أحد، حتى في أرقى مراكز الطب في العالم، لأنه لم يكن معروفاً من قبل، ولم تفسر الإصابات المتفرقة إلا بعد حدوث الوباء، وكثرة الإصابات هي التي لفتت نظر الأطباء إلى احتمال وجود وباء جديد على البشرية يجب كشفه وتحريه.

بدأت الجائحة الأولى في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩م، وتركزت الإصابات في مدينة نيويورك، ثم ظهرت في مراكز أخرى مثل: سان فرانسيسكو، ولوس أنجلس، ولم تظهر الإصابات في الشواطئ الغربية من الولايات المتحدة الأميريكية إلا بعد عام من ظهور وباء نيويورك.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد سُجل نفس الوباء في مراكز مكافحة الأوبئة الأوروبية بعد عام ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣م. ثم كشفت إصابات في **هايتي، وأواسط إفريقيا**.

ويعتقد بعضهم أن أواسط إفريقيا هي منبع الانتشار، ولكن ذلك مشكوك فيه.

وقد تبيّن بدراسة هذا الوباء أن هناك عوامل تعتبر التربة المهيأة لظهور الداء تدعى عوامل الخطورة « Risk Factors » وهي:

١ ـ **الجنوسيّة (اللّوطية):** وهي أهم العوامل إطلاقاً، ويمثل هؤلاء المرضى الغالبية العظمى من مرضى الأيدز.

٢ ـ **الإدمان على تعاطي الحقن الوريدية.**

٣ ـ **الناعور.**

٤ ـ **تلَقّي الدم بشكل متكرر.**

٥ ـ **زوجات وأبناء المصابين.**

٦ ـ **الإصابة المسبقة بالاعتلال اللمفاوي** المعمم الباقي. (PGL).

٧ ـ **بعض أفراد منطقة الهايتي، وأواسط إفريقيا.**

ويقرر العلماء أن أهم عامل يُعَدُّ مُنْطَلَقاً للوباء هو التماس الجنسي بنموذج الجنوسية Homo Sexual، والإدمان على الحُقَن الوريدية.

ومن الملاحظات الأخرى أن العقْد الوسطي لأعمار المصابين هو (٣٠ ـ ٣٩ سنة) الرابع، وأن فترة الحضانة طويلة تمتد بين أشهر إلى سنوات.

وأهم ما يميّز هذا الوباء هو نسبة الوفيات العالية بين المرضى، فتصل حتى ٩٥٪ من الحالات إذا تضاعفت الإصابة بالخمج الطارئ.

كيف تبدأ الإصابة؟

★ **الإنذارات:** لقد تبين في الوقت الحاضر أن هناك اضطرابات ذات علاقة بمتلازمة الأيدز، ويعد حدوثها عند أحد المرضى إنذاراً يهدد باحتمال ظهور متلازمة الأيدز، وهي: (**الأيدز البادري**) Prodromal AIDS، وهو ظهور حرارة غير مُفَسَّرة، مع نقص الوزن، والإسهالات المعندة، وكثرة الإصابة بفطور المبيضات في الفم، ونفاد الخلايا اللمفاوية (ت T) المساعدة، وكثيراً ما تتضاعف هذه الأعراض بظهور الأخماج الطارئة.

وقد ظهرت هذه الأعراض في ٧٧٪ من المصابين بالأيدز، قبل عدة أشهر من ظهور الأعراض الصريحة.

★ **اعتلال العقد اللمفاوية المعمم الباقي:** Persistent Generalized Lem-

★ منظر مقرب لإحدى الآفات بسبب الأيدز ★





phadeno Pathy (PGL) وتشبه أعراض هذا المرض أعراض الأيدز، ولكنها تظهر مخففة، ويظهر اعتلال العقد اللمفاوية مع فرط تَنَسُّج جرابي ضخم، وقد يستمر هذا الاعتلال العقدي دون أن يترق (الباقي)، بينا تتطور الحالات الأخرى (بنسبة ٢,٥ ــ ١٩٪) إلى الأيدز وتأخذ عادة شكل غرن كابوسي Kaposi's Sarcoma، أو أحد أشكال اللمفومات. **فهل مرضى الـ PGL هم شكل مختلف عن الأيدز؟ أم هو أيدز مُجَمَّد؟** ونتأمل من الدراسات القريبة أن تعطي جواباً شافياً! ...

★ فرفرية نقص الصفيحات الغامض: Idiopathic Thrombocytopenic Purpura (I.T.P) وهو مرض يصيب النساء عادة، بسبب نقص الصفيحات الدموية لسبب مجهول، ولذلك تظهر أعراضه على شكل فرفريات (نزوف تحت الجلد زرقاء اللون).

فإذا حدثت هذه الإصابة عند الرجال على شكل وافدة، فإنها تكون بادرة لظهور الأيدز عندهم، وقد ظهرت هذه الأعراض بشكل خاص عند الجنوسيّين، ومرضى الناعور.

التظاهرات السريرية للأيدز
Clinical Manifestations

يتظاهر المرض بأحد نموذجين سريرين أو كليهما، وهما:

١ ــ مجموعة التظاهرات الخمجية.

٢ ــ مجموعة التظاهرات الورمية.

وإليك بعض التفصيل عن هاتين المجموعتين:

أولاً ــ التظاهرات الخمجية
Infections

تبدي المضاعفات الخمجية الرئيسية ميلاً خاصاً بالجهاز الرئوي، والمعدي المعوي العصبي، بالإضافة إلى مواضع أخرى.. وفي الحقيقة، تكون أعراض الإصابة مختلفة تماماً عن أعراض نفس المرض لو حدث عند شخص طبيعي المناعة، فالأعراض في الأيدز أشد وأعنف، والسير أسرع بكثير...

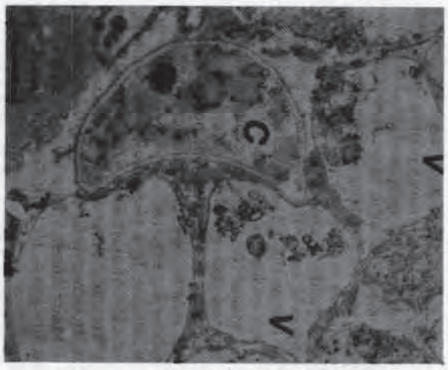
● **إصابات الجهاز الرئوي** Pulmonary Tract: وتنجم الأعراض والعلامات عن التهاب الرئة الخلالي، كالسعال الجاف، واللّهاث المترقي، وأعراض نقص الأكسجة، والسحنة المريضة. وتظهر الظلال المنتشرة في الساحتين الرئويتين (بصورة الصدر × الشعاعية).

وأهم عوامل الإصابة الرئوية: المتكيسات السكارينية Pneumocystis Carinii، والحمات المضخمة للخلايا، والمتفطرات (وخاصة من نوع avium التي ظهرت في الولايات المتحدة الأميريكية).

ثم يأتي بعد ذلك (كنسبة حدوث) المبيضات، والمكورات الخفية، والنوكارديا والمُتَوَسِّجات، والأوالي Protozoa.

وقد شوهدت حالات تعطي نفس أعراض التهاب الرئة الخلالي بأحد العوامل السابقة، دون إمكانية كشف أي عامل من العوامل المذكورة.

هذا، ويمكن أن نجد أكثر من عامل واحد عند المريض الواحد.



★ صورة لمظاهر الأيدز داخل الجسم ★

★ يظهر غرن كابوسي في الأيدز على شكل لويحات، وقد تكون ناقصة الصباغ ★



ويتم تحري هذه العوامل باستخدام التنظير القصبي الليفي ، وغسل الأسناخ ، وأخذ الخزعات من خلال القصبات .

● **إصابات الجهاز المعدي المعوي Gastro Intestenal Tract :** وتختلف الأعراض باختلاف العامل المسبب ، فالإقياء والإسهالات نجدها في الإصابة بالمبيضات ، وخاصة إذا كانت شاملة للجهاز الهضمي كله ، كما تسبب عسرة البلع .

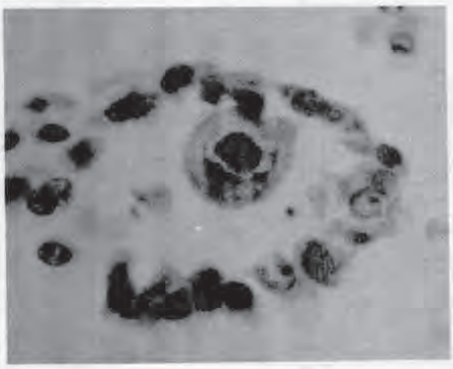
وتأخذ الإسهالات شكل الكوليرا إذا كانت الإصابة بالبَوْغيات الخفية (**شكل ٢**) ، فيصاب المريض بالدنف العام خلال أشهر ، وأما الإصابة **بالسالمونيلا** فتمثل المشكلة الأخطر في أوروبا وإفريقيا بسبب تضاعفها بإنتان الدم (الإنْتَانَمِيَّة) ، وتأخذ إصابات الخلاء البسيط شكلاً متقرحاً وعميقاً ، مع تخرب نسيجي واسع .

● **إصابات الجهاز العصبي Central Nervous System :** وأهم أعراضها الحُمّى والدعث ، والهياج ، والصداع ، والهزع (الترنّح) ، والفوالج والسُبات . . وذلك بحسب العامل المسبب ، وتَوَضُّع مكان الإصابة ، وانتشارها . . . وأهم عوامل الإصابة في الجملة العصبية المركزية هي **المقوسات القُنْدية** Toxoplasma gondii ، التي تسبب خراجات دماغية ، أو التهاب دماغ منتشر ، ويحدث التهاب الدماغ عديد البؤر المترقي بحمة Polyima (JC) ، وفي حالات الإصابة بالحمة المضخمة للخلايا ، شوهدت اضطرابات عتهية ومترقية وبطيئة ومترافقة بشكل عام بالضمور الدماغي . . .

● **مواضع أخرى لتظاهرات الأيدز other Sites :** قد تصاب العقد اللمفاوية ، وخاصة بالمتفطرات . وأما الإصابات العينية فهمة جداً ، فقد نشاهد التهاب المشيميّة والشبكيّة بالمقوسات ، أو الحمات المضخمة للخلايا . وقد تتهدد الرؤيا في حالات التهاب الشبكية الواسع ، وقد يحدث التهاب العنبيّة الأمامي .

التظاهرات الجلدية شائعة ، فتظهر الاندفاعات غير النوعية المعممة في بداية المرض ، وقد تقلد أكزيما التماس ، أو الأكزيما المزمنة ، أو الصدف . كما نجد أخماج الأظافر والأفوات الفطرية ، أو التهاب الأوعية الجلدية .

★ صورة لمظاهر الأيدز داخل الجسم ★
(طالع فقرة إصابات الجهاز الرئوي في هذا البحث)



★ غرن كابوسي في الساق ، وبقية أنحاء الجسم ★



تكون الأخماج البولية بالحمات لا عرضية عادة ، وأهميتها غير واضحة إلى الآن ، ومن النادر أن تحدث التصلب الكبي البؤري .

ثانياً ـ التظاهرات الورمية
Tumours

وتأخذ شكلين رئيسيين هما : غرن كابوسي ، ولمفومات الخلية ب (B) .

★ **غرن كابوسي : Kaposi's Sarcoma**

وهو في الأصل مرض معروف في أواسط إفريقيا ، كمرض يصيب الشباب ، ويظهر بشكل خاص عندهم في الأطراف السفلية ، ولا يترافق بمظاهر نقص المناعة ، وقد شوهدت مثل هذه الأشكال السليمة عند الأكبر سناً من **الإيطاليين** اللاجنوسيين ، **ويهود الأشكينازي** .

وأما في الأيدز فيتظاهر غرن كابوسي على شكل لويحات جلدية قرمزية غير مؤلمة ، تتضخم ببطء ، قطرها عدة مليمترات ، وقد تكون ناقصة الصباغ ، ويمكن أن تحدث في أي جزء من الجسم ، وخاصة الجزء العلوي منه . وقد تقلد الأشكال السليمة فتصيب الأقدام . ومن الشائع أن تصاب الأغشية المخاطية في الفم ، والجهاز الهضمي فتظهر التقرحات ، أو السليلات في الأمعاء . وقد تنتشر هذه التقرحات في الكولونات فيشبه التهاب الكولون القرحي ، ويصيب الورم أحياناً الرئة والجنب . ويشخص بالخزعة .

★ **لمفومات الخلية ب (B) : Bcell Lymphoma**

إن ظهور هذه الأورام في الأيدز يعد مضاداً لطبيعتها ، فهي في العادة تكون سبباً لنقص المناعة ، لا أن تكون نتيجة لها . وتظهر بكل



أنماطها عند الجنوسيين ، كلمفوما أشباه بروكيت ، والغرن الأرومي المناعي ، وبعض أشكال لمفوما الخلية ب الأخرى .

الأسباب والمناعة

Aetiology, Immunology

لقد ثبت أن العامل المسبب للأيدز هو حمة من زمرة الحمات الخلفية Retrovirus ، ذات نموذج جديد ومحدد ، وهي نفسها مسؤولة عن إحداث الـ (PGL) . ولذلك سميت : Human T Lymphotropic Virus III (HTLV III) ، أو الحمة المسببة للاعتلال العقدي اللمفاوي ، والعوز المناعي Lymphadenopathy/ Immunodeficiency Associated Virus . (LAV/IDAV)

وقد أمكن زرع هذه الحمات من الخلايا اللمفاوية لهؤلاء المرضى . ولهذه الحمة ولع خاص بالخلايا اللمفاوية ت (T) المساعدة ، وأما تأثيرها على الخلايا ب (B) فهو افتراضي حتى الآن . **وتدخل هذه الحمة إلى الجسم بالتماس الجنسي ، أو بعد نقل دم مصاب ، أو عن طريق الحقن الوريدية المكررة** ، ثم تتجه الحمة مباشرة إلى الخلايا اللمفاوية (ت) المساعدة فتحدث التأثيرات المناعية الملاحظة عند المرضى وتتلخص بما يأتي :

ـ نفاد الخلايات المساعدة . T المساعدة .

ـ ازدياد نسبة الخلايا الكابتة . T الكابتة .

ـ انقلاب نسبة الخلايا المساعدة إلى الخلايا الكابتة . (النسبة الطبيعية ١/٢,٥) .

ـ قصور المناعة الخلوية . (تتعطل الاختبارات الجلدية ذات التحسس المتأخر) .

ـ اضطراب عمل الخلايا الوحيدة Monocyte .

ـ اضطراب وظيفة الخلايا ب (B) ، فنجد ازدياد الغلوبيولينات المناعية عديدة النسائل Polyclonal وهي غير فعالة وظيفياً .

ـ اضطراب مستويات الهرمونات التوتية .

ـ وجود أضداد مناعية ذاتية .

ـ ازدياد الأنترفيرون ألفا المُعَلَّم الحمضي .

ـ وجود عوامل كابتة .

بالإضافة إلى اضطرابات كثيرة لا مجال لذكرها لكي لا يطول البحث ، والمهم أن نلاحظ أن هذه الاضطرابات لا تتفسر وفق القواعد التي ذكرت في بداية البحث ، فمثلاً من المتوقع حسب وظيفة الخلية (ت) ، أن انعدامها في الأيدز سيؤدي إلى نقص الخلايا (ب) ، أو على الأقل نقص إفرازها للغلوبيولينات المناعية . . . ولكن الذي يحدث هو العكس . . . ومع ذلك تنقص المناعة الخلوية والخلطية بشكل كبير ، مما يهيئ للعناصر المرضية الأخرى الوسط المناسب للهجوم على العضوية بما يعرف بالخمج الطارئ .

إن عوز المناعة في الأيدز هو شكل شديد ويختلف تماماً عن نقص المناعة في الأشكال الولادية ، أو الثانوية كاستعمال الأدوية المثبطة للمناعة . . ولذلك تكون الأخماج الطارئة في الأيدز أشدُّ خطراً وإنذاراً ، وكذلك الأورام في سيرها وانتقالاتها وإنذارها .

حاملو المرض

لقد لوحظ أن هناك أشخاصاً ممن تتوفر لديهم عناصر الخطورة كالجنوسيين مثلاً ، لديهم تفاعلات مصلية إيجابية للحمة (LAV/IDAV) التي تسبب الأيدز والـ PGL ، ومع ذلك لا تظهر عليهم أعراض هذه الأمراض ، **ويعتقد الآن أن مثل هؤلاء المرضى يلعبون دور الحَمَلة لهذه الحمة ، وقد يصابون بالمرض في وقت من الأوقات التي تنقص فيها مناعتهم لسبب من الأسباب . كإصابتهم بأخماج منقصة للمناعة أو استعمالهم لأدوية منقصة لها .**

العلاج

إن معالجة هذه الحالات عسيرة ، وتعطي أسوأ النتائج ، ولذلك يجب الاستمرار فيها لمدة طويلة خشية النكس في الحالات التي يكتب لأصحابها النجاة . وتعالج هذه الحالات في المشافي ، ولذلك لن أطيل فيها لأنها من اختصاص أطباء مدربين .

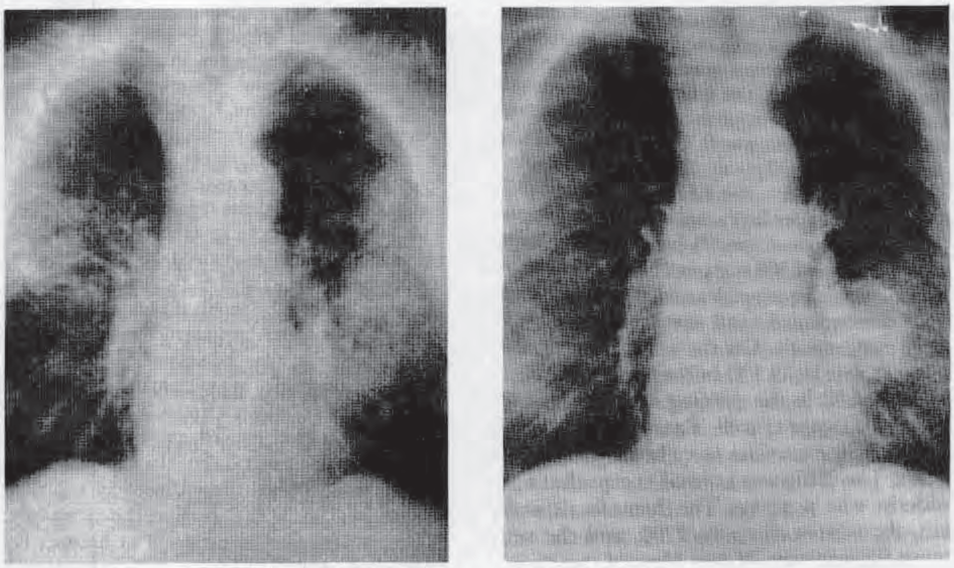
تعالج الحالات الخمجية بحسب العامل المسبب : **فالمتكيسات الكارينية تعالج بالـ** Cotrimoxazole ، وتعالج **الفطور** بالأمفوتريسين ، أو الفلوسيتوزين ، وتعالج **المبيضات** بالكيتوكونازول ، وتعالج حالات **الحلاء** البسيط بالأسيكلوفير acyclovir .

وتستعمل الخلائط في أخماج الدماغ ، لأن العامل المسبب يكون مجهولا في أغلب الأحيان .

وفي حالات **الأورام** يعالج **غرن كابوسي** بالألفا انترفيرون ، أو الفينبلاستين Vinblastine .

الوقاية

ليس من وقاية دوائية أو لقاحية حتى الوقت الحاضر ، وأفضل وقاية تكون بمكافحة الجنوسيّة ، وعدم



★ صورتان شعاعيتان لمريض مصاب بالأيدز ★

استعمال دمائهم في حالات الاحتياج لنقل الدم .

لقد هزّ داء الأيدز العلماء في شتى أصقاع الأرض ، وزلزل قواعد العلم التي وضعوها بعد سَهَر قرون ، وهدر الملايين ، وأرّق العيون . . . وكان عقاباً للمستهترين بقواعد الحياة السليمة ، عقاباً للجهلة بنُظُم الحياة ، وما بُنيت عليه من نواميس وقوانين .

كيف ينتشر الداء ؟

لم يتأكد انتقال الداء حتى الوقت الحاضر إلا عن أحد الطرق التالية :

١ ــ التماس الجنسي المباشر ، وذلك بانتقال الحمة عن طريق السحجات ، التي تحدث بفعل العمل الجنسي .

٢ ــ عن طريق استعمال الحقن الملوثة (عضلية أو وريدية أو جلدية) .

٣ ــ نقل الدم الملوث من المصابين أو الحاملين للمرض .

٤ ــ الجروح والآفات الجلدية النازّة .

وهكذا ، نجد التشابه الكبير بين هذه الحمة وبين حمة التهاب الكبد المصلي B في الانتشار .

أصبح الأيدز مشكلة العاملين في الصحة !

إن العاملين في المشافي والمخابر ، ودور الأشعة من أطباء ، وممرضين ، ومخبريين ، وشعاعيين ، هم كباقي الناس في العالم الغربي ، يستعملون ما أباحه القانون لهم . . . كالجنوسية . . . ومن مبدأ « من يزرع يحصد » ، فقد زرعوا الفساد فحصدوا ثمره وباء فتاكاً ظهر حتى عند العاملين في الصحة ، وهنا كانت الطامة . . . فالمشكلة قد ازدادت تعقيداً ، فإن تسريح مثل هؤلاء العاملين ، وحجرهم يسبب الفوضى في المشافي ، فتقع المصيبة على المرضى الأبرياء . . . وإن استمروا في العمل أصبح احتمال نشر الداء أكبر . . . ومن هنا نجد الصراع الجديد بين الحكماء في اتخاذ قانون أو تدبير لهؤلاء العاملين . فنهم من يطالب بالحجر ، ومنهم من لا يرى ذلك ، بل يعتبره تعسفاً لا مبرر له . . . ولكل منهما حُجَّته :

فالفريق الأول يرى أن أياً من هؤلاء العاملين قد يجرح في غرفة العمليات (مثلاً) فيلوث جميع ساحة العمليات ، ولذلك يجب حجره من باب الاحتياط .

بينما يرى الفريق الثاني ، أن ذلك سيسبب مشكلة نفسية واجتماعية عند هؤلاء العاملين ، تشبه ما حدث عند المجذومين . وبما أنه لم يثبت طريق للانتقال غير الذي ذكر سابقاً ، فإنه يكفي الاحتياط بأن يُجبروا على لبس القفازات ، وتغطية الأنوف والأفواه أثناء العمل .

المشكلة عويصة ، والجدال يحتد . . والمرض يستعر . . . والوباء ينتشر غير عابئ بأحد ، فالكل عنده سواء . . . منهم عقاباً ، ومنهم ابتلاء . . . والنتيجة والنهاية محتومة إلى هادم اللذات لا محالة .

المراجع

(1) The New England Journal of Medicine September 26, 1985.

(2) SAUDI MEDICAL JOURNAL Volume 6 Number 3 May 1985.

(3) The American Journal of Medicine Volume 78 January 1985.

(4) TEXTBOOK OF MEDICINE 1979 Paul B. Beeson, Walsh Mc Dermott M.D.

التكثيف والتنويع في مناطق زراعة القمح



★ بعض تجارب الأعلاف التي تقوم بها كلية العلوم الزراعية والأغذية بمحطة التدريب والأبحاث الزراعية والبيطرية بجامعة الملك فيصل بالأحساء ★

بقلم :
د. يحيى مكي
، د. حامد برهان

إن تكثيف الدورات الزراعية وتنويع محاصيلها ، من أهم القضايا التي نالت اهتماماً بالغاً من الزراعيين في أنحاء العالم في الحقب الأخيرة ، حتى أصبحت معلماً أساسياً من معالم السياسة الزراعية في كثير من البلدان ، وانعكس ذلك في المساعي لتطوير المشاريع الزراعية القائمة ، وفي التخطيط للمشاريع الزراعية الجديدة .

ماهية التكثيف والتنويع

والمعروف أن **التكثيف** Intensification ، هو الزيادة في الرقعة المزروعة في نطاق المساحة الكلية المحددة لأي مشروع ، وبمعنى آخر هو التقليل من مساحة الأراضي البور في الدورة الزراعية ، أو التقليل من المدة التي تبقى فيها الأرض بوراً .

والتنويع Diversification يشير إلى زراعة عدد من المحاصيل المختلفة ، وفي معناه العريض ، قد يشمل إدخال الحيوان في الدورة الزراعية . إن تكثيف الزراعة لا يعني بالضرورة تنويع محاصيلها ، والتنويع لا يحتم تكثيف الدورة الزراعية ، إلا أننا نجد أن الناحية العلمية التي تستوجب زراعة بعض المحاصيل في موسم خاص ، وفق دورة زراعية محددة تجعل من التكثيف والتنويع شقين مكملين لبعضهما البعض .

ولقد كان الاهتمام بالتكثيف والتنويع نتاجاً طبيعياً لموقف كثير من البلدان التي كانت تعتمد لفترات طويلة على محصول نقدي أو غذائي واحد ، الشيء الذي أثبت عدم جدواه من الناحية الاقتصادية والاستراتيجية الغذائية لأسباب كثيرة أهمها : تذبذب الإنتاج ، والطلب في الأسواق المحلية والعالمية ، والمتغيرات في علاقات الإنتاج وتكلفته .

وقد ثبت جلياً أن الاعتماد على محاصيل عدة ، يفتح آفاقاً واسعة للتأمين ضد الهزات

الـزراعـة في المملكة العربية السعودية



★ بعض التجارب على القمح ★

الاقتصادية ، بالإضافة إلى أن التكثيف ، يزيد من كفاءة استغلال الأرض ، ويرتفع بإنتاجها ، ويضمن الاستغلال الأمثل للعمالة ، والآليات وغيرها من الموارد والإمكانات المتاحة .

متطلبات التكثيف والتنويع

ولا بد لنا أن ندرك أن للتكثيف والتنويع متطلبات أساسية لا بد من استيفائها لتحقيق قدر معلوم من التكثيف أو التنويع أهمها :

(١) التكافؤ بين مساحة الأرض الصالحة للزراعة ، وكمية المياه المتوافرة للري .

(٢) إمكانية صيانة خصوبة التربة وخصائصها الأخرى المتعلقة بوفرة الإنتاج .

(٣) إيجاد المحاصيل الملائمة للبيئة المعنية وإمكانية استيعابها في الدورة الزراعية .

(٤) الارتفاع بمستوى فلاحة المحاصيل لمواكبة خطة التكثيف والتنويع .

(٥) مقاومة الآفات والأمراض والحشائش .

وباختلاف الأهمية النسبية لكل واحد من هذه العوامل ، أو المتطلبات الأساسية في الأقطار المختلفة ، وفي المناطق الزراعية المختلفة داخل القطر الواحد ، التي تحددها الموارد الطبيعية والإمكانات المتاحة ، نجد أن التكثيف والتنويع والقدر الذي يمكن تحقيقه ، يختلف من منطقة إلى أخرى . وكما هو الحال في تغذية النباتات ، فإن العامل الذي يوجد بأقل قدر (Limiting factor) ، هو الذي يحدد الدرجة التي يمكن تحقيقها من التكثيف والتنويع .

في المملكة العربية السعودية مثلاً نجد أن نسبة الأراضي الصالحة للزراعة في كثير من المناطق أعلى من كمية المياه المتاحة للري . .

لذا فإن عامل التكافؤ بين الأرض والماء هو العامل الأساسي في تحديد المساحة التي يمكن تعميرها ومدى تكثيفها . وبذلك أصبحت هنالك صلة بين التوسع الأفقي ، أي الزيادة في المزروع ، ودرجة تكثيف الدورة في المشاريع الزراعية التي أنشئت حديثاً تحكمت فيه ،

بالإضافة إلى الموارد الطبيعية ، والإمكانات المالية .

ولكي ندلل على أهمية العوامل التي أشرنا إليها ، لتناول الموضوع في شيء من التفصيل ، سنضرب مثلاً بمشاريع **زراعة القمح في مناطق القصيم وحائل** وغيرهما من مناطق المملكة العربية السعودية ، ذلك لأن لبعض العوامل التي ذكرناها أثراً واضحاً في تحديد معالمها ، ولأن مشاريع زراعة القمح تمثل مرتكزاً أساسياً من مرتكزات التنمية الزراعية في البلاد ، ولما تتمتع به هذه المشاريع من اهتمام بالغ ، وعناية علمية ، وتقنية وإدارية فائقة ، أصبح لزاماً أن نفكر في مثل هذا التكثيف والتنويع .

ولا شك أن هذه المشاريع تعتبر خطوة رائدة في طريق التنمية الزراعية الشاملة ، وإنجازاً فريداً تم من خلاله تحقيق الاكتفاء الذاتي من القمح الذي وصل إنتاجه في المواسم الأخيرة إلى أكثر من مليون وثلاثمائة ألف طن ، إذ تضاعف إنتاج القمح أكثر من ٤٣٣ مرة خلال تسع سنوات .

ولقد توجت مساعي المملكة وإنجازها في مجال الأمن الغذائي والاكتفاء الذاتي من إنتاج القمح ، بالاحتفال والتقدير الدولي الذي تسلم فيه معالي الدكتور عبد الرحمن آل الشيخ وزير الزراعة والمياه ، شهادة التقدير الدولية من منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة في شهر صفر من عام ١٤٠٥هـ .

ولا شك ، أن هذا الإنجاز يدفع لمزيد من الإنتاج والتحسين والتصدي لبعض المشاكل الحيوية التي تواجه هذه المشاريع .

المحاصيل .. والفصول

ومن القضايا الهامة التي تحتاج إلى دراسة علمية متأنية وجادة ، موضوع تكثيف وتنويع الدورة الزراعية لمشاريع إنتاج القمح في المملكة . ويجيء الاهتمام بهذا الموضوع نتاجاً طبيعياً للملاحظات التي أبديت في عدة مناسبات عن اعتماد هذه المشاريع على زراعة محصول واحد . فهي تقوم بزراعة محصول القمح في فصل الشتاء الذي يحتل الأرض لفترة حوالي ستة أشهر فقط ، وتبقى الأرض بوراً خلال الستة أشهر التالية .

وتحقيقاً لمبدأ التكثيف والتنويع الذي أشرنا إلى مزاياه المتعددة آنفاً ، كان لا بد من التفكير في فتح آفاق جديدة بإيجاد محاصيل صيفية ملائمة وذات قيمة اقتصادية ، يتم في ضوئها تصميم دورة زراعية تحقق الاستغلال الأمثل للأرض ومياه الري والآليات ، وغيرها من الموارد المتاحة طوال العام .

ولقد كان اختيار بعض المحاصيل الصيفية المناسبة للدورة الزراعية من القضايا الهامة التي تشغل أذهان الباحثين في قسم المحاصيل والمراعي **بكلية العلوم الزراعية والأغذية بجامعة الملك فيصل** . فقد بدأت التجارب الحقلية في مزرعة الجامعة لبعض **محاصيل العلف البقولية** المستوردة ، وبعض محاصيل **الحبوب البقولية** بغرض مقارنة أدائها وملاءمتها لظروف **المنطقة الشرقية** ، وذلك لاختيار المناسب منها لمزيد من البحث المكثف ، والتقييم الدقيق المركز .

وتشير الدلائل ، بصفة مبدئية ، إلى عدد من المحاصيل الواعدة التي يمكن إجراء بحوث مكثفة عنها لتحديد مدى صلاحية تضمينها ، أو بمعنى آخر إدراجها في الدورة الزراعية مع محصول القمح .. ومن هذه المحاصيل :

★ **لوبيا العلف « الدجرا »** ، محصول علف وحبوب معروف في جنوب المملكة .

★ **لوبيا العلف « اللبلاب »** ، محصول علف رئيسي في السودان .

★ **فول الصويا** (محصول زيتي ـ غذائي) .

★ **الفول السوداني** (محصول زيتي) .

★ **السمسم** (محصول زيتي) .

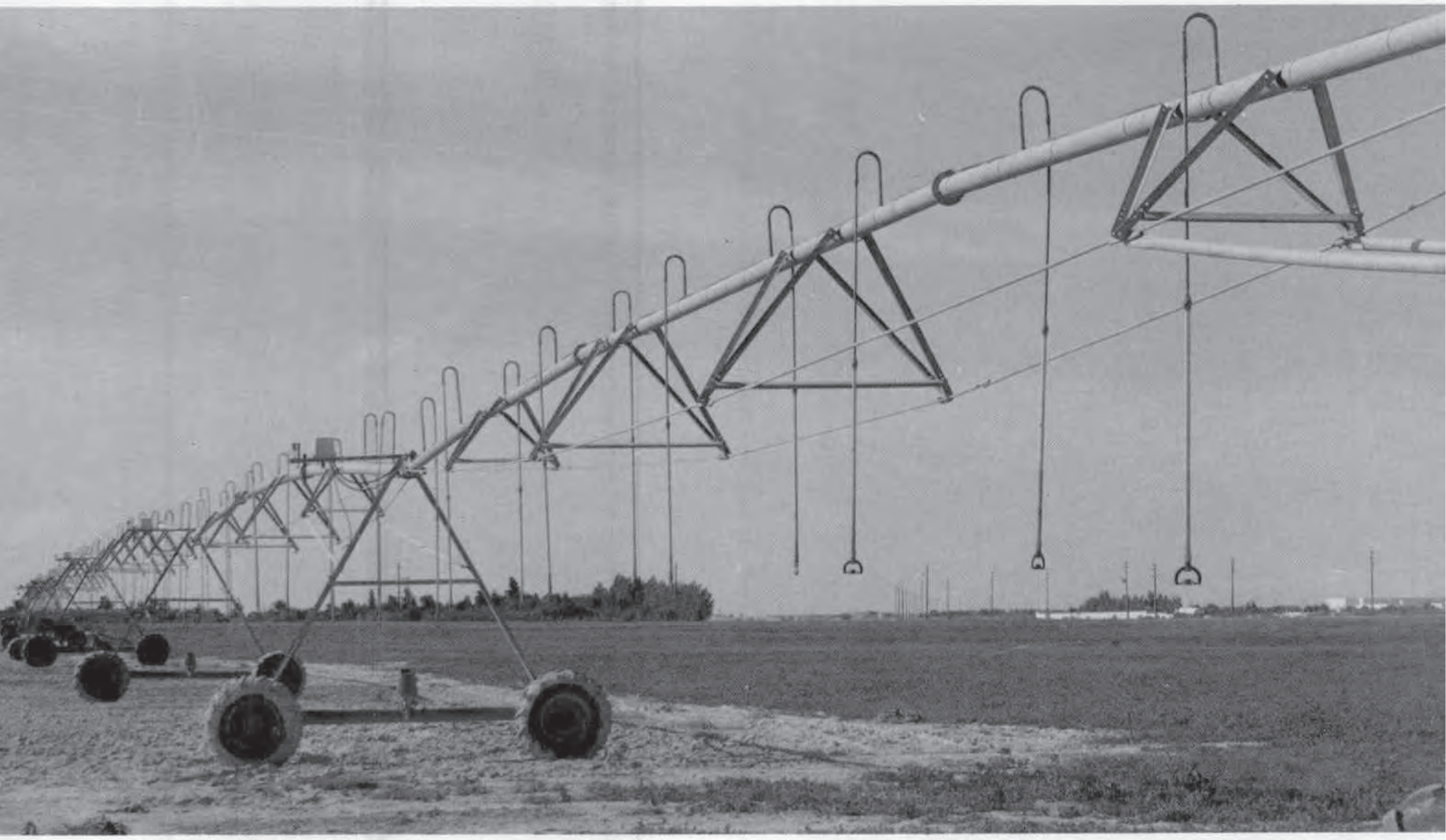
★ **عباد الشمس** (محصول زيتي) .

ويلاحظ أن أغلبية هذه المحاصيل من المحاصيل البقولية الصيفية وغيرها ، التي يكتمل نموها في فترة قصيرة من ٤ ـ ٦ أشهر ، وبذلك فهي لا تتعارض مع القمح من حيث الموسم ، أو الفترة التي تزرع فيها ـ إذ إن القمح يزرع في فصل الشتاء ـ كما أن حصادها ينتهي قبل البدء في الإعداد لمحصول القمح .

ولقد جاء التركيز على المحاصيل البقولية ، لأن محاصيل هذه العائلة لها المقدرة على تثبيت **الأزوت (النتروجين)** الجوي في عقدها الجذرية والاستفادة من العنصر الغذائي الناتج عن ذلك في نموها ونمو المحاصيل التي تأتي بعدها ، لذلك فهي تعتبر من أنسب المحاصيل التي تسبق محاصيل الحبوب النجيلية في الدورة الزراعية .

بالإضافة إلى أن مثل هذه المحاصيل تفتح آفاقاً جديدة للتكثيف ، عن طريق التصنيع الزراعي لمحاصيل الزيوت ، أو إدخال الحيوان في الدورة عن طريق محاصيل العلف .

ولا بد من التنبيه إلى أن تكثيف الدورة الزراعية سيتطلب المزيد من العناية بالعمليات الزراعية الخاصة بفلاحة الأرض وصيانة خصوبتها وخواصها ، مثل إضافة كميات وافرة من السماد والطرق المثلى لري المحاصيل ومقاومة



★ تجارب بعض طرق الري الحديثة على محصول علف البرسيم الحساوي بمحطة التدريب والأبحاث الزراعية والبيطرية بجامعة الملك فيصل بالأحساء ★

الحشائش ، كما يتطلب التكثيف المزيد من ميكنة العمليات الزراعية لرفع مستوى الإنتاج وتقليل الاعتماد على الأيدي العاملة لتجنب اختناقات العمل الزراعي الذي قد ينتج عن تعدد المحاصيل وتداخل عملياتها الزراعية المختلفة ، واختيار الآليات التي تناسب أكثر من محصول . وأهم من ذلك كله التوصل إلى احتياجات هذه المحاصيل من مياه الري أثناء فصل الصيف ، ومدى إمكانية توفيرها في المناطق والمشاريع المختلفة .

إن تنويع المحاصيل لكي يحقق الغرض الاقتصادي الذي يعتمد عليه ، لا بد له من أن يخرج من نطاق المشروع الزراعي الواحد إلى نطاق الوطن كله (Diversification on a Natioanl level) ، ولا بد من تحديد مناطق متخصصة في إنتاج المحاصيل المختلفة حسب ملاءمتها لتلك المناطق ، مع الأخذ بتنويع المحاصيل في الاعتبار . حيث سيمكن ذلك من الاستفادة من الموارد الطبيعية للبلاد ، ويسخر عوامل البيئة الطبيعية التي تختلف من منطقة إلى أخرى في البلاد لتحقيق الهدف المنشود .

ولا شك ، أن متطلبات التكثيف والتنويع التي أشرنا إليها آنفاً ، تتطلب تضافر جهود مؤسسات البحث العلمي الزراعي ، لإجراء البحوث العلمية المكثفة في مناطق إنتاج القمح المختلفة عن المحاصيل الواعدة وتحديد عملياتها الزراعية .

ورغم أننا ما زلنا في أول الطريق ، وأمامنا الكثير مما يمكن تحقيقه في هذا المضمار ، يمكننا وفي وقت قريب ، دخول مرحلة جديدة كانت قد بلغتها من قبل غيرنا من دول العالم ، حيث أصبح ترك الأرض بوراً غير اقتصادي ، ولا مبرر له إلا للمدة الضرورية لتحضير الأرض وصيانتها .

لقد حاولنا فيما تقدم ، أن نعرض على سبيل المثال لا الحصر ، بعض العوامل الهامة التي تتعلق بالتكثيف والتنويع للإنتاج الزراعي في مناطق زراعة القمح المروية في المملكة العربية السعودية . . إدراكاً منا أن الدولة تشجع وتقدم إمكانات زراعية ضخمة ، مما يدعونا لبذل أقصى جهد لاستثمار الموارد الطبيعية إلى أبعد الحدود ، والله ولي التوفيق .

حركة الفنون والعمارة



لقد عمل الإسلام على تطوير بلاد الزنوج ولا زال يعمل إلى اليوم ، ذلك لأن الإسلام هو الديانة الوحيدة التي أدت إلى تقدم وتطور ورقي القارة الإفريقية الواسعة . ومن المناطق التي ساعد الإسلام على تطورها ورقيها وازدهار الحضارة الإسلامية بها منطقة غرب القارة التي نحاول أن نلقي الضوء في هذه الدراسة على تطور حركة الفنون والعمارة بها وعن الأثر القوي والفعال الواضح للإسلام في هذا الشأن .

الإسلام وشعوب غرب القارة

لقد كان الإسلام دين الله الخالد هو المؤثر الوحيد في إعطاء شعوب تلك المنطقة القدرة على صنع ثقافتها الخاصة من حيث الملبس والمسكن وأعمال الفكر والفن والتراث واللغة المكتوبة وفن العمارة . والإسلام هو الذي استطاع أن يأخذ بيد هذه الشعوب إلى مدارج الحضارة وينقلها تلك النقلة الواسعة ويساعدهم على تسجيل حياتهم الخاصة وأعمالهم . . ذلك لأن تاريخ تلك المنطقة **يبدأ بدخول الإسلام وتعمقه في نفوس شعوبها** .

فالدارس لتاريخ المنطقة قبل وصول الدعوة الإسلامية لا يكاد يجد أي أثر حضاري ، اللهم إلا تلك التأثيرات الضئيلة الواردة من **مصر وشمال القارة** التي استطاع أن يعثر عليها بعض الأثريين في حفرياتهم في غرب القارة وخاصة **شعوب الأنشانتي والأكن في غانا** .

كان الإسلام سبباً في تغيير أسلوب تفكير الرجل الإفريقي وفي معطياته الجديدة بعد اعتناقه للإسلام أو احتكاكه بالمسلمين . وقد ساعد الإسلام على تكوين عدة ممالك إسلامية كبيرة في تلك المنطقة « **غانا ، مالي ، سنغاي ، الفولاني ، الهوسا ، البرنو ، الكانم وغيرها** » .

ونقول إنه إذا كانت هناك علامات التقاء تجمع بين شعوب غرب إفريقيا السوداء ، فإن هذا الالتقاء حدث في الميدان الحضاري وفي الفنون بلا شك . . وإن كانت توجد بعض الاختلافات القليلة في هذا الميدان بين القبائل في إفريقيا الغربية .

وإن كانت الشعوب التي دخلت في الإسلام قد بدأت تتذوق الثقافة العربية الإسلامية واستطاعت أن تطور أساليبها الفنية والمعمارية ، غير أن الطابع القديم كان موجوداً في الفنون ، **بل إن الامتزاج بين القديم والحديث سيظل هو الطابع المميز للفن في البلاد** . . وإن كانت بعض العناصر الأخرى طبعت بطابع إسلامي بحت .

وهذا القول لا يعني أن عادات شعوب غرب القارة قد انتهت نهائياً باعتناق الإسلام ذلك لأن العادات **لها سلطانها وقوتها ورسوخها وأثرها في حياة المجتمع الإفريقي** وهي نتيجة رواسب قديمة كثيرة لها تاريخ طويل ترجع أبعاده إلى أصول وجذور في أساس المجتمع وإلى أعماق النفس الإنسانية . ومع ذلك فقد بدأت تنمحي مع الأيام والزمن ، ويزيد من سرعة انتهائها التفتح والمعرفة والنضج ، وهذا راجع إلى طبيعة البشرية في تأثرها بالقديم وقد نتج عن التماس الحضاري مع العالم العربي الإسلامي في شتى الوجوه تغير واضح في أساليب العمارة بوجه خاص .

الإسلام والمتغيرات الأساسية

إذا استطعنا أن نقول إن **الأزياء واللباس** صورتان من صور التراث الفني أو تنطوي بالتقريب تحت الفنون المبسطة فإننا نستطيع أن نقول إن الإسلام قد أحدث تغيرات جذرية وأساسية في هذا المظهر من المظاهر الفنية ذلك لأن الشعوب الإفريقية لم تكن على الإطلاق قبل قدوم الإسلام تعرف شيئاً اسمه الزي أو الملبس ذلك لأنها كانت تعيش **عيشة بدائية وعارية تماماً** ، ومن هنا فقد دعا الإسلام إلى الاحتشام وضرورة ستر العورة والتزيي بالزي الذي يصون المرأة والرجل فكانت الدعوة إلى اللباس .

لقد حول الزيّ الإفريقيين تحولا جذرياً من العري إلى الأناقة التي تزيد صاحبها احتراماً في أعين الناس . . بل لقد بلغ من حرص المسلمين هناك على الظهور في لباس فضفاض ، فكانوا يرتدون أحسن الملابس في أيام الأعياد والمناسبات الرسمية للدولة ، وإن كان اللباس قد بدأت به الأسرة المالكة وأفراد الحاشية وكبار الموظفين وعلية القوم والأثرياء والتجار والعلماء ثم بدأ يتدرج حتى قامت عامة الشعوب الإفريقية باتخاذ اللباس زياً لها .

ومن هنا ظهر اللباس في تلك المنطقة وما تبعه من التزين **بالأساور الذهبية وسلاسل الذهب** وغيرها من الأشياء التي كانت تتزين بها المرأة الإفريقية . وكان لباس الجلود منتشراً بين العامة . . وخاصة خلال فصل الشتاء وفي المناطق الصحراوية .

فـي غـرب إفـريقيـة

بقلم: د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي

الفنون بمعناها الشامل

الفنون بمعناها الشامل وهي الغناء والموسيقى والرقص والنقش والنحت هي الفنون التي بلغ فيها سكان غرب القارة من الإفريقيين درجة عالية من الحذق والمهارة . وقد لاحظ الكتّاب العرب ولع الأفارقة بهذه الفنون وخاصة **الرقص والغناء** ، فقد كتب لنا **القلقشندي** في كتابه **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** ، جزء ٣ ، ص ٢٢٤ ، أن سكان غرب القارة الإفريقية بارعون في الغناء والرقص والموسيقى ولهم ولع كبير بهذه الفنون . وإننا إذا أمعنا النظر في الوقت الحالي نجد كثيراً من ضروب الرقص والغناء المنتشرة في أوروبا وأميريكا **متأثرة إلى حد كبير بالرقص والغناء والموسيقى الإفريقية** .

الغناء

يذكر لنا **ابن بطوطة** في رحلته إلى تلك الديار أن سلطان **مالي** إحدى بلاد غرب القارة كان يجلس بالقبة **ويتسلى يوم العيد بالشعر والغناء** . وكذلك في ليلة العيد فإن الناس يقضون جزءً كبيراً من الليل في سمر وسهر وهم يستمعون إلى الغناء . ويذكر السعدي أن في أيام العيد يسهر كبار رجال الدولة والتجار والعلماء حتى وقت متأخر من الليل وقد اتخذوا أمكنة لهم والجلوس عليها . أما عن يوم تتويج السلطان فإنه يشبه يوم الأعياد الدينية حيث يسهر الناس فيما يشبه العيد ويسمعون الغناء والسهر ، وتظهر في عيد تتويج السلطان كثرة الغناء أكثر منها في الأعياد الأخرى .

وهكذا يظهر الغناء بصورة قوية كأحد الفنون الواسعة الإنتشار ، وقد ارتبط الغناء بالشعر والشعراء الذين كانوا يألفون هذه الأغاني. ويصفون أشعارها ومنهم الشاعر **أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب المعروف بالكانمي الأسود** (ظهر في دولة كانم) . كذلك انتشرت بينهم الأغاني المحببة إلى نفوس الناس ، وقد عاشت بينهم طويلاً وأصبح الناس يتغنون بها ردحاً طويلاً من الزمن حتى صارت صورة من الأدب في فن الشعر الخاص **بالفخر والمدح** والموجه إلى الشخصيات الكبيرة في الدولة . . ومنها أغنية وضعت في مدح السلطان كانم ، وهذه الأغنية استهدفت إبراز صفات الملك القائد وإظهار مدى احترام الناس لهيبته وتعلق شعبه به ولمكانته العظيمة في السلم والحرب والدين والخير .

وقد أشار **الحسن الوزان (ليو الإفريقي)** إلى أنه شاهد أثناء رحلاته وتجواله في غرب القارة أن سكان بعض المدن الكبرى **يعيشون ليلهم في غناء حتى مطلع الفجر** وأن هذه الظاهرة تزداد في أيام الأعياد والمناسبات الكبيرة عندهم .

وقد ذكر **محمود كعت** في كتابه **الفتاشي** أن الغناء كان له دوره في القتال والحروب . . ذلك لأن الجنود كانوا يهتفون مغنين ومنشدين حتى يندفعوا للمعركة بشجاعة وليرهبوا أعداءهم ويستطيعوا أن يحققوا النصر عليهم .

كذلك كان لكل رئيس ولاية وللموظفين الكبار في الدولة والأثرياء الذين ينتمون إلى الأسرة الحاكمة فرقة خاصة للغناء .

ومن هذا نستطيع أن نتبين أن **الغناء ظاهرة أصيلة** بل تكاد تكون غريزة فطرية لكل الشعوب ، ولكن الشعوب الإفريقية ، كانت ولا تزال إلى يومنا هذا ، أشد ولعاً بالغناء ، وقد أثبتت بعض الدراسات النفسية أن الغناء **يساعد على زيادة الإنتاج وسرعة الأداء** .

الرقص

الشعوب الإفريقية أكثر شعوب العالم ولعاً بالرقص والقدرة على الرقص الطويل ، وقد أثبتت الدراسات ذلك . ومن ذلك يحدثنا **دنهام** أنه شاهد الأفارقة حول **نهر النيجر** وهم يشعلون النار ويرقصون حولها طول الليل وهم يتصايحون ، وأن الرقص جزء من حياة الرجل الإفريقي ، وأن السكان في المدن الكبرى والقرى والغابات كانوا يسهرون حتى مطلع الفجر وهم يرقصون ، وأن ظاهرة الرقص تزداد انتشاراً وقوة خلال الأعياد وأيضاً في المناسبات الهامة في الدولة .

كانوا يرقصون **بشكل جماعي** ويتقدمون ويتأخرون ويسيرون على ضربات الطبول . . ولكن في غير انتظام دقيق وذلك لأن الرقص كان يثير فيهم حماساً شديداً يدفعهم للخروج على تقاليد الرقص المعروفة عندهم ، بل إنه كان يؤدي إلى نوع من **الهوس** لأنهم كانوا يندفعون أكثر طالما استمرت دقات الطبول . . فيختل النظام ويسود الحلبة نوع من الفوضى والضوضاء . وقد كان الرقص عندهم للرجال والنساء وفي أحيان قليلة يكون للرجال فقط ، إلا أن العادة الغالبة لدى سكان غرب القارة هي اشتراك المرأة والرجل في الرقص . . **وإن كان دور المرأة في استخدام الطبول أكثر من الرجل** .

ولا نستطيع أن نفرق بين الغناء والرقص بين تلك الشعوب ذلك **لأن الغناء كان مرتبطاً عندهم بالرقص** وكان كلاهما متمماً للآخر . ومن هنا فإنه يمكن القول إن الغناء والرقص كانا رسمياً وشعبياً .

الموسيق

حدثنا كل من دنهام **وكلابرتون** عن سلطان **البرنو** (إحدى دول غرب القارة الإفريقية) أنه كانت له فرقة موسيقية مكونة من ستة أفراد من الجيش وهم يحملون الأبواق التي يبلغ طول الواحدة منها عشرة أقدام، وهذه الأبواق خاصة بالبلاط الملكي، وهم يحيطون بالسلطان في الحملات العسكرية وفي ميدان القتال، وأن الطنابير الملكية التي كانت لا تفتأ تدق في كل مناسبة يخرج فيها الملك للقيام بجولة في المدينة أو للسفر. وفي أثناء خروج الجيوش لخوض المعارك ومقاتلة الأعداء فإن ضربات الطبول كانت تدق بصفة مستمرة ولا تتوقف حتى أثناء المعمعة وخوض أشد المعارك وذلك **لزيادة حماس الجنود**.

وكان لكل حاكم إقليم أو رئيس ولاية فرقة خاصة تضرب له الطبول عند خروجه إلى قصره أو أثناء تفقده أحوال الإقليم الذي يخضع لحكمه.

وكانت الطبول هي أهم آلات الطرب المعروفة لدى الأفارقة ومنها الطبول الكبيرة وهي خاصة بالحرس الملكي، وفي ذلك يقول السعدي: (ضربوا له طبل السلطنة، وكان **الزنجيات هن الضاربات على الطبل**). وكانت الدفوف الكبيرة والصغيرة شائعة الاستعمال أيضاً. كما كانت الأبواق معروفة لديهم وخاصة لدى فرق السلطان، ولاستعمالها صفة رسمية أكثر من غيرها.. وإن كان العامة من الشعب يتخذون الأبواق **من قرون الأبقار وسن الفيل**، كما كانوا يعرفون قصبات البراع كمزامير.

هذه لمحة قصيرة عن الموسيق وآلاتها في غرب إفريقيا.. وهو ما استطعنا أن نلم به من كل جانب نظراً لندرة العثور على تلك المعلومات حيث أن كتّاب العصور الوسطى لم يكونوا ليحفلوا كثيراً بالموسيق وآلاتها.

أما **النحت والنقش** فلم يكن للأفارقة باع طويل فيهما.. حيث إن الدراسات الأثرية والحفريات التي أجريت في تلك المنطقة لم تظهر إلا قليلاً من الدمى البسيطة التي لم يعتد بشأنها بالقياس إلى فن النحت المعروف عالمياً. وقد ذكر ابن بطوطة أثناء رحلته إلى بلاد مالي أن الأهالي هناك يقومون **بزخرفة القرع** الذي يستخدمونه في صنع الجفان حيث يقومون بنقشه نقشاً حسناً.

العمارة

لقد كان العرب والمسلمون الذين وصلوا إلى تلك المناطق هم الذين حملوا الحضارة الزاهرة إلى تلك الأصقاع وكان لهم نصيب موفور في كل الفنون التي ظهرت في سماء تلك المنطقة ولا سيما في العمارة التي تمثلت أول الأمر في بناء المساجد بأشكالها الجذابة الراقية والتي كان لها طابع القوة والرقة والرقي والتي كانت إبداعاً هندسياً فريداً ورائعاً مما ساعد على استقطاب المزيد من المريدين والطموحين في الانتماء لأهل هذه الحضارة الجديدة الباهرة.

كان البناء عندهم قبل الإسلام **هو البناء المستدير المغطاة سطوحه دائماً بالقش في شكل هرمي** ذلك للتكيف مع المناخ الذي تميز بهطول الأمطار الغزيرة. وفي ذلك يقول القلقشندي في كتابه صبح الأعشى إن مباني دولة مالي عبارة عن مبان تبنى من الطين بمقدار ثلثي ذراع ثم يترك حتى يجف ثم يبنى عليه مثله وكذلك حتى ينتهي. وسقوفها تبنى بالقصب، وأرضها تراب. وحين دخل الإسلام تلك البلاد دخل معه البناء بالطوب المحروق «**الآجر**» وهو بناء الأغنياء والطبقة الراقية.. كما دخل مع الإسلام أيضاً البناء بالحجارة.

وكانت أشهر شخصية لها أثرها في فن العمارة في غرب إفريقيا المهندس القرطبي **أبو إسحاق إبراهيم الساحلي** الذي وفد إلى مالي مع السلطان موسى عام ١٣٢٥هـ، وأدخل فن البناء الحديث.. حيث استطاع أن يقوم ببناء عدة مساجد بالطوب الآجر والحجارة في كل من **تمبكتو وجاوديني**. وبنى أبو إسحاق فيما بنى، قصراً للسلطان وقاعة للاجتماعات من الحجر والجبس وزخرفها بالخشب المطعم بالذهب والفضة. وهو الذي أدخل نظام السقوف المسطحة للمنازل والمآذن الهرمية الشكل. وهذا النوع من البناء هو الذي كان يستعمل في بلدان المغرب وفي الأندلس أيضاً، ولذا يمكن تسميته **بالطراز المغربي الأندلسي**. كما أن أسلوب هذا البناء قد اتبع في السودان الغربي حيث اعتبرت هندسته أرفع الأنواع الهندسية.

وقد ذكر **بارث** أن السلطان **إدريس** السوما سلطان برنو (١٥٧٠ ـ ١٦٠٣م)، قد شيد كثيراً من المباني التي تشهد له بالعظمة والقدرة على نشر العمران في أرجاء الإمبراطورية وأنه أمر ببناء سور كبير مبني بالحجارة حول العاصمة. وقد شاهدت **مارجريت شني** هذا السور، وأمر ببناء أربعة أبواب كبيرة للمدينة وأقام المخازن بها وأمر كل الرؤساء بأن يبنوا منازلهم من الطوب الأحمر والحجارة بعد أن كانت تبنى بالطين، ورأى ضرورة **الاهتمام بالمساجد والعناية بها**، ومن ذلك بناء المساجد القديمة وتشييد مساجد جديدة فسيحة وعظيمة من الحجارة.



ولا يزال بعض هذه المباني قائماً في برنو وغيرها من مدن غرب القارة كمسجد **جيني وغاو وتمبكتو** . وقد ظهرت عدة أشكال من المباني منها **الشكل المربع والشكل الهرمي والشكل القديم وهو المستدير** ولا تزال هذه الأشكال الثلاثة للهندسة المعمارية موجودة في السودان الغربي وحول حوض نهر النيجر حتى اليوم .

وهكذا يتبين لنا بوضوح أن الطابع الإفريقي ظل بارزاً في الفنون المعمارية في غرب القارة الإفريقية . . إلا أن الجانب الإسلامي قد طغى على الجانب الإفريقي واستطاع أن يمتزج به ويتكيف معه ، ولذا فقد ظهر فن إفريقي معماري يتمشى مع المناخ السائد لتلك المنطقة ولكن في الإطار الفني الإسلامي .

بعد هذا العرض . . فإنه يمكن القول إن الإسلام وحضارته الزاهرة وثقافته العربية الإسلامية كان له الفضل كل الفضل في إثراء الحركة الفنية والمعمارية في تلك المنطقة مهما حاول رجال الغرب إثبات وجود حضارة إفريقية أصلية قبل المد الإسلامي ، فضلاً عن أن كل الحفريات والكشوف الأثرية التي قام بها رجال الاركيولوجي لم تعثر على شيء ذي قيمة حضارية أو علمية . ومن هنا فإن غرب إفريقيا ثقافياً وحضارياً وعلمياً وتاريخياً قد بدأ بوصول الإسلام إلى تلك الأصقاع .

كذلك فإن الدراسات الأكاديمية العربية والإسلامية يجب أن توجه إلى دراسة تلك المنطقة حضارياً وتاريخياً واركيولوجياً لكي يستطيع العالم أن يتبين بوضوح مدى العمق والأثر البعيد الذي تركه الإسلام في حياة تلك الشعوب وليس في الفن والعمارة فحسب .

بعض المصادر والمراجع

١ ــ ابن بطوطة : (أبو عبد الله اللواتي) تحفة النظار في غرائب الأمصار ، باريس ، ١٨٥٣م .

٢ ــ القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، القاهرة ، ١٩٢٢م .

٣ ــ السعدي : تاريخ السودان ، نشره هوداس ، باريس ، ١٩١٨م .

٤ ــ التنبكتي : محمود كعت : تاريخ الفتاشي ، نشره هوداس ، باريس ، ١٩١٣م .

٥ ــ طرخان : دولة مالي الإسلامية ــ القاهرة ، ١٩٦٢م .

٦ ــ عبد القادر زيادية : مملكة سنغاي ، الجزائر ، ١٩٧٤م .

٧ ــ أمين الشريف : (مترجم) موجز تاريخ إفريقيا . القاهرة ، د . ت .

٨ ــ عبد الرحمن صالح : (مترجم) الثقافة الإفريقية . القاهرة ، د . ت .

٩ ــ السراج زين الدين عبد الحميد : سلطنة كانم الإسلامية ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة .

١٠ ــ الغنيمي ، عبد الفتاح مقلد : سلطنة برنو الإسلامية ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة .

11 – De La fass, M.: Les Noires de L'Afrique. Paris, 1921.

12 – Leo Africanus: A History and description of Africa.

13 – Barth, H.: Travels in North and Central Africa. London, 1965.

14 – Danham and Clapperton: Travels in Northern and Central Africa. London, 1926.

15 – Shinnie, M.: Ancient African Kindgamds, London, 1958.

16 – Trimingham, J. S.: The influence of Islam Upen Africa. London, 1968.

17 – Oliver, R.: The dawn of African History. London. 1951.

18 – Niven, R.: The Land and The Peoples of West Africa. London, 1958.

منهج الشهرستاني

في دراسة الأديان والفرق

بقلم : د . محمد خليفة حسن أحمد خليفة

يعتبر محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (٤٧٩ ـ ٥٤٨ هـ) ، من أشهر علماء تاريخ أديان المسلمين وأكثرهم موضوعية . فهو صاحب الكتاب المعروف باسم كتاب « الملل والنحل » ، الذي يعتبر بحق أهم عمل في تاريخ الأديان عند المسلمين بسبب التزام مؤلفه بمنهج علمي وموضوعي في دراسة الأديان والفرق ، وبأسلوب وصفي تحليلي في عرض مادتها ، وأفكارها وعقائدها ، كما أنه يتصف بوجود وعي علمي لدى المؤلف بضرورة تطوير منهج علمي لدراسة الأديان والفرق بعيداً عن الأهداف الدفاعية والمؤثرات الخارجية .

التصور المنهجي

لعل أهم ما يميِّز عمل الشهرستاني في تاريخ الأديان تلك النظرة المنهجية الواضحة التي بدأ بها المؤلف دراسته وقدمها في الصفحات الأولى من كتابه . وتقوم هذه الرؤية على خمس مقدمات منهجية رتبها الشهرستاني على النحو التالي :

١ ـ بيان تقسيم أهل العالم جملة مرسلة .

٢ ـ تعيين قانون يبنى عليه تعديد الفرق الإسلامية .

٣ ـ بيان أول شبهة وقعت في الخليقة ، ومن مصدرها ومن مظهرها .

٤ ـ بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية وكيفية انشعابها ومن مصدرها ، ومن مظهرها .

٥ ـ بيان السبب الذي أوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب[(١)] .

والمحلل لهذه المقدمات المنهجية الخمس يدرك أن هناك تصوراً منهجياً كاملاً لدى الشهرستاني جعله أساساً لدراسته الشهيرة . ويتضح من المقدمة الأولى إدراك الشهرستاني لاختلاف الأديان وانقسامها نظراً لاختلاف أهل العالم وانقسامهم إلى شعوب وجماعات . ونظراً لأن هناك وسائل سابقة لتقسيم أهل العالم وتصنيفهم ، يعتبر الشهرستاني بحق أول من أدرك إمكانية تصنيف أهل العالم حسب أديانهم ومذاهبهم . وهو في هذا يقول : « من الناس من قسّم أهل العالم بحسب الأقاليم السبعة وأعطى أهل كل إقليم حظه من اختلاف الطبائع والأنفس ، التي تدل عليها الألوان والألسن »[(٢)] . فهذا تصنيف حسب الجنس واللون واللغة . « ومنهم من قسّمهم بحسب الأقطار الأربعة التي هي : الشرق والغرب والجنوب والشمال . ووفّر كل قطر حقه من اختلاف الطبائع وتباين الشرائع »[(٣)] .

وهذا تقسيم جغرافي يترتب عليه اختلاف في الطبائع والشرائع يتبع اختلاف البيئات الجغرافية . « ومنهم من قسّمهم بحسب الأمم ، فقال : كبار الأمم أربعة : **العرب والعجم والروم والهند** ، ثم زاوج بين أمة وأمة ، فذكر أن العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد . وأكثر ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء والحكم بأحكام الماهيات والحقائق واستعمال الأمور الروحانية . والروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد ، وأكثر ميلهم إلى تقرير طبائع الأشياء ، والحكم بأحكام الكيفيات والكميات واستعمال الأمور الجسمانية »[(٤)] . هذا ، كما يتضح ، تقسيم تاريخي حضاري مقارن يهتم بتاريخ الأمم وقراباتها الحضارية وعلاقاتها . « ومنهم من قسّمهم بحسب الآراء والمذاهب ، وذلك غرضنا في تأليف هذا الكتاب ، وهم منقسمون بالقسمة الصحيحة الأولى إلى أهل الديانات والملل ، وأهل الأهواء والنحل »[(٥)] . ويتضح من هذا التقسيم الأخير أن التفكير الديني والفلسفي هو الأساس الذي يعتمد عليه أهل هذا التقسيم في تصنيف شعوب العالم . وهو التصنيف الذي اختاره الشهرستاني لدراسته ، ويميِّز الشهرستاني في هذا التصنيف الأخير بين أهل الديانات ،

وأهل الأهواء والآراء . ومن ثم فالعنوان الذي اختاره لعمله ، جاء معبّراً عن هذا الإدراك لاختلاف شعوب العالم في التفكير . « فأرباب الديانات مطلقاً ، مثل : المجوس ، واليهود ، والنصارى ، والمسلمين . وأهل الأهواء والآراء ، مثل : الفلاسفة ، والدهرية ، والصابئة ، وعبدة الكواكب ، والأوثان ، والبراهمة[٦] . وتنقسم هذه إلى فرق ، فأهل الأهواء ليست تنضبط مقالاتهم في عدد معلوم . وأهل الديانات قد انحصرت مذاهبهم بحكم الخبر الوارد فيها ؛ فافترقت المجوس على سبعين فرقة ، واليهود على إحدى وسبعين فرقة ، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، والمسلمون على ثلاث وسبعين فرقة »[٧] .

تصنيف الفرق الإسلامية

وينتقل الشهرستاني إلى مشكلة تصنيف الفرق الإسلامية ، ويرى ضرورة وضع قانون لتنظيمها ، وينقد التصانيف السابقة عليه بقوله : « اعلم أن لأصحاب المقالات طرقاً في تعديد الفرق الإسلامية لا على قانون مستند إلى أصل ونص ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود ، فما وجدت مصنفين منهم متفقين على منهاج واحد في تعديد الفرق »[٨] ، ويضع الشهرستاني قانونه لتنظيم الفرق الإسلامية في تصنيف معقول ، ووضعها داخل بناء منسق يوضح علاقاتها ببعضها البعض وعلاقاتها بأصولها التي تفرعت عنها ، وهو أمر لم يحظ باهتمام السابقين الذين صنّفوا الفرق الإسلامية : « وما وجدت لأحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط ، إلا أنهم استرسلوا في إيراد مذاهب الأمة كيف اتفق ، وعلى الوجه الذي وجد ، لا على قانون مستقر ، وأصل مستمر »[٩] .

وهنا يحاول الشهرستاني وضع هذا الضابط للفرق الإسلامية ويبنيه على الأساس التالي : « أن ليس كل من تميّز عن غيره بمقالة ما ، في مسألة ما ، عد صاحب « مقالة » ، وإلا فتكاد تخرج المقالات عن حد الحصر والعد ، ويكون من انفرد بمسألة في أحكام الجواهر ، مثلاً ، معدوداً في عداد أصحاب المقالات ، فلا بد إذن من ضابط في مسائل هي أصول وقواعد ، يكون الاختلاف فيها اختلافاً يعتبر مقالة ، ويعد صاحبه صاحب مقالة »[١٠] . ويطبق الشهرستاني هذا المنهج التصنيفي الذي وضعه على الفرق الإسلامية فيقول : « فاجتهدت على ما تيسر من التقدير ، وتقدر من التيسير ، حتى حصرتها في أربع قواعد ، هي الأصول الكبار : **القاعدة الأولى :** الصفات والتوحيد فيها وهي تشتمل على مسائل . . . **القاعدة الثانية :** القدر والعدل فيه . . . **القاعدة الثالثة :** الوعد والوعيد والأسماء والأحكام . . . **القاعدة الرابعة :** السمع والعقل والرسالة والإمامة . . . فإذا وجدنا انفراد واحد من أئمة الأمة بمقالة من هذه القواعد ، عددنا مقالته مذهباً وجماعته فرقة . وإن وجدنا واحداً انفرد بمسألة فلا نجعل مقالته مذهباً ، وجماعته فرقة ، بل نجعله مندرجاً تحت واحد ممن وافق سواها مقالته ورددنا باقي مقالاته إلى الفروع التي تعد مذهباً مفرداً ، فلا تذهب المقالات إلى غير النهاية . فإذا تعينت المسائل التي هي قواعد الخلاف ، تبيّنت أقسام الفرق الإسلامية ، وانحصرت كبارها في أربع بعد أن تداخل بعضها في بعض . كبار الفرق الإسلامية أربع : القدرية ، والصفاتية ، والخوارج ، والشيعة . ثم يتركب بعضها مع بعض ويتشعب عن كل فرقة أصناف فتصل إلى ثلاث وسبعين فرقة . ولأصحاب كتب المقالات طريقان في الترتيب أحدهما : أنهم وضعوا المسائل أصولا ، ثم أوردوا في كل مسألة مذهب طائفة طائفة وفرقة فرقة . والثاني : أنهم وضعوا الرجال وأصحاب المقالات أصولا ، ثم أوردوا مذاهبهم في مسألة مسألة . وترتيب هذا المختصر على الطريقة الأخيرة . لأني وجدتها أضبط للأقسام وأليق بباب الحساب »[١١] .

يتضح من هذا الاهتمام بالتصنيف أن الشهرستاني قد أدرك أن هذا الكم الهائل من الفرق في حاجة إلى قاعدة تصنيفية تساعد على فهمها ، وتحديد موقعها من بعضها البعض ، وموقعها داخل البناء العام للدين الذي تفرعت عنه . وبالنسبة للأديان فقد نظر إليها الشهرستاني على أنها بناء متكامل توجد بداخله مجموعة من الأنظمة الدينية تمثلها مجموعات من الأديان ، ووضع هذه الأديان المتفرقة في بناء واحد يعني أن هذه الأديان ليست وحدات مستقلة ، بل لها علاقات تختلف بعداً أو قرباً في درجة قرابتها . فداخل هذا البناء العام توجد ديانات يجمعها الوحي في صورة امتلاكها لكتاب مقدس ، وديانات أخرى توحّد بينها النظرة الفلسفية للكون والعالم ، وهناك ديانات تقوم على أساس من الفكر الطبيعي . فهذه كلها مجموعات مستقلة من الأديان تشترك في عدد من عناصر التفكير الديني تجمع بينها ، وتختلف في عناصر أخرى تحفظ لها استقلالها « فإذا نجزت المقدمات على أوفى تقرير وأحسن تحرير ، شرعنا في ذكر مقالات أهل العالم من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا ، لعلة لا يشذ من أقسامها مذهب . ونكتب تحت كل باب وقسم ما يليق به ذكراً ، حتى يعرف لِمَ وضع ذلك اللفظ لذلك الباب . ونكتب تحت ذكر الفرقة المذكورة ما يعم أصنافها مذهباً واعتقاداً ، وتحت كل صنف ما خصه وانفرد به عن أصحابه »[١٢] .

الأساس العلمي للتصنيف

ويقوم الأساس العلمي لتصنيف الشهرستاني على ما يسميه بمبنى الحساب ، فقد رأى أن **علم الحساب** يقوم على الحصر والاختصار ، ومن هنا ففائدته كبيرة بالنسبة لحصر المذاهب والاختصار ، فاستعان الشهرستاني به في تصنيفه : « وكان غرضي من تأليف هذا الكتاب ، حصر المذاهب مع الاختصار ، اخترت طريق الاستيفاء ترتيباً وقدرت أغراضي على مناهجه تقسيماً وتبويباً »[١٣] . وهنا يوضح الشهرستاني ضرورة اللجوء إلى العلوم الأخرى والاستعانة بمناهجها كما يفعل تماماً علماء تاريخ الأديان المعاصرون في استعانتهم بمناهج العلوم الطبيعية والاجتماعية في شرح الظاهرة الدينية ووصفها وتصنيفها وجمع مادتها وتحليلها . « وأردت أن أبيِّن طرق هذا العلم وكمية أقسامه لئلا يظن بي أني من حيث أنا فقيه ومتكلم ، أجنبي النظر في مسالكه ومراسمه ، أعجمي القلم بمداركه ومعالمه . فآثرت من طرق الحساب أحكمها وأحسنها ، وأقمت عليه من حجج البرهان أوضحها وأمتنها ، وقدّرتها على علم العدد »[١٤] . وهكذا يرى الشهرستاني ضرورة الاستعانة بعلم الحساب والعدد ليمده بالأساس العلمي لتصنيف الأديان والفرق . فهو كما يقول : « الحساب تاريخ وتوجيه »[١٥] .

ويمتاز تصنيف الشهرستاني ، إلى جانب الأساس العلمي الذي يقوم عليه ، بأنه تصنيف مرن في طبيعته يسمح في أي وقت من الأوقات بضم أي عناصر جديدة في أية لحظة تاريخية دون أن يعرض البناء العام للتصنيف الخطر .

منهج الشهرستاني في دراسة الأديان والفرق

طبيعة الدين والتجربة الدينية

بعد أن مهد الشهرستاني لعمله بتصنيف الأديان والمذاهب والفرق تصنيفاً يشرح علاقاتها في بناء متكامل اتجه إلى وضع الأساس النظري للتعرف على طبيعة الدين والتجربة الدينية ، ويبدأ بتعريف الدين وهي مشكلة أساسية في دراسة تاريخ الأديان لأنها تساعد على تمييز الظاهرة الدينية من غيرها من الظواهر الإنسانية .

والدين عند الشهرستاني هو الطاعة والانقياد ، ويسبقها في مكان آخر بالمعرفة ، ويعرف المتدين بقوله : « فالمتدين هو المسلم المطيع المقر بالجزاء والحساب يوم التناد والمعاد »[١٦] . ويجعل الشهرستاني من الطاعة أساس التفرقة بين التجربة الدينية وما يمكن تسميته بالتجربة الفلسفية أو غير الدينية . « إن أهل العالم انقسموا من حيث المذاهب إلى أهل الديانات ، وإلى أهل الأهواء ، فإن الإنسان إذا اعتقد عقداً أو قال قولا ، فإما أن يكون فيه مستفيداً من غيره أو مستبداً برأيه ، فالمستفيد من غيره مسلم مطيع ، والدين هو الطاعة والمسلم المطيع هو المتدين ، والمستبد محدث مبتدع »[١٧] . ويتخذ الشهرستاني بعد ذلك من النبوة والشرائع المتصلة بها أساساً ثانياً متصلاً بالطاعة للتفرقة بين الفكر الديني والفكر الفلسفي وما شابهه : « فالمستبدون بالرأي مطلقاً هم المنكرون للنبوات ، مثل الفلاسفة والصابئة والبراهمة ، وهم لا يقولون بشرائع وأحكام أمرية ، بل يضعون حدوداً عقلية ، حتى يمكنهم التعايش عليها . والمستفيدون هم القائلون بالنبوات . ومن قال بالأحكام الشرعية فقد قال بالحدود العقلية ولا ينعكس »[١٨] . من هذا يتضح أن الدين عند الشهرستاني ، نوع من المعرفة العقلية يستمده الإنسان من غيره ، وعليه أن يتخذ موقفاً من هذه المعرفة ، إما الطاعة لمضمونها ، أو عدم الطاعة الذي هو في نفس الوقت استبداد بالرأي ينطبق على الفلاسفة الذين يعتبرون استقلال الرأي ضرورة للتفكير الفلسفي ، ومن هنا فمبدأ الطاعة لا يعمل به عند الفلاسفة .

وتلخيصاً لطبيعة الدين والتجربة الدينية عند الإنسان نقول إن الدين يتكوّن عند الشهرستاني من ثلاثة عناصر رئيسية هي : المعرفة والطاعة والانقياد . يشتمل عنصر المعرفة على مجموعة المبادئ والمفاهيم الدينية التي يقدمها دين من الأديان للإنسان لكي يتعرف عليها ويعقلها ، ويأتي رد الفعل الإنساني لمضمون هذه المعرفة الدينية في استجابة هذا الإنسان (أو رفضه) لها مكوناً عنصر الطاعة الذي هو أساس التدين ، وهي طاعة نظرية عملية في نفس الوقت ، فهي تعني القبول العقلي لمادة الدين والتطبيق العملي لها في حياة الإنسان . فالدين يعطي معرفة من أجل ممارستها مترجمة إلى فروض وطقوس دينية ، فالدين معرفة تستلزم فعلاً ، ولا يمكن فصل المعرفة عن الفعل . والمتدين هو الإنسان العارف بأمور الدين الملتزم بها عن طريق طاعتها ، ومتوقعاً في نفس الوقت الحساب عليها في شكل ثواب أو عقاب . . . فالمتدين في تعريف الشهرستاني هو المسلم المطيع والمقر بالجزاء والحساب ، وهذا يوفي بجانب من المعنى اللغوي الذي تشمله كلمة (دين) بمعنى الجزاء والحساب . . . والعنصر الثالث في الدين هو عنصر الانقياد وهو نتيجة مباشرة للطاعة ، وتعبير اجتماعي لها ، فالدين « طاعة وانقياد »[١٩] ، بمعنى إعلان التبعية لزعيم ديني والانضمام إلى جماعته الدينية ، فالانقياد تعبير عن علاقة المتدين ببقية أفراد الجماعة المتدينة التي ينتمي إليها تحت زعامة مؤسس ديني أو (واضع) ديني على حد تعبير الشهرستاني ، فالانقياد هو أن يتبع المتدين مع غيره وصايا واضع العقيدة ، ويكونوا معاً ما يسميه علماء الاجتماع بمجتمع أو جماعة التابعين .

الوظيفة الاجتماعية للدين

التراث الإسلامي يزخر بهذه المصطلحات الاجتماعية التي يستفيد منها الشهرستاني في توضيح السمة الاجتماعية للدين أو الشكل الاجتماعي له ، فهناك مثلاً ألفاظ (الصحابة) إشارة إلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو (جماعة التابعين) ، وكذلك (أتباع التابعين) ، كلها تؤكد الوظيفة الاجتماعية للدين في تكوين جماعة دينية ترتبط فيما بينها بوصايا مؤسسها ، ولا يوجد دين من الأديان لم تنشأ حوله جماعة من التابعين . وهذا معناه أن الدين أمر أو شأن اجتماعي بعكس الفلسفة ، فالفكرة الفلسفية قد تنشأ في عقل واضعها ولا تترجم إلى فعل له مضمون اجتماعي . فالمدارس الفلسفية تختلف عن الجماعات الدينية في هذه السمة الاجتماعية ، وإن كانت هناك فلسفات اجتماعية ، ولكنها أيضاً خالية من الهدف الاجتماعي ، الذي هو أساس الدين ، ومؤداه تنظيم حياة الإنسان داخل المجتمع وتنظيم علاقات الأفراد ، والعمل على ضمان استمرار الوجود الاجتماعي .

وهكذا تؤدي طبيعة الدين إلى قيام الجماعة الدينية التي يشترك أعضاؤها في الشعور الديني الواحد ، وفي التجربة الدينية الواحدة . وهنا يستخدم الشهرستاني كلمة « الملة » للدلالة على هذا النوع من الاجتماع الديني ، ويفصل في كتابه بين أهل الملل ، أي بين الجماعات الدينية ، وبين أهل الأهواء والنحل ، مفرقاً بين الدين بنظرته الاجتماعية والفلسفة بنظرتها الفردية المستقلة .

ويؤكد الشهرستاني هذا المضمون الاجتماعي للدين ، فيقول : « ولما كان نوع الإنسان محتاجاً إلى اجتماع مع آخر ، من بني جنسه في إقامة معاشه ، والاستعداد لمعاده ، وذلك الاجتماع يجب أن يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون حتى يحفظ بالتمانع ما هو أهله ، ويحصل بالتعاون ما ليس له ، فصورة الاجتماع على هذه الهيئة هي الملة . والطريق الخاص الذي يوصل إلى هذه الهيئة هو المنهاج ، والشرعة ، والسنَّة ، والاتفاق على تلك السنَّة : هي الجماعة »[٢٠] .

مراحل الالتزام الديني

ويمكن اعتبار هذه العناصر المكونة للتجربة الدينية عند الشهرستاني مراحل أو درجات للالتزام الديني عند الإنسان ، وهي أيضاً مراحل في تجربته

الدينية . ويطلق الشهرستاني على **المرحلة الأولى (المبدأ) أي بداية الالتزام الديني**[٢١] ، وهي في الديانة الإسلامية تقابل ما اصطلح عليه بالإسلام بمعنى الخضوع والاستسلام وهي تعني قبول الدين عن طواعية ، والتعبير عن هذا القبول بالخضوع والاستسلام الذي يأخذ الشكل الظاهري . ومتطلبات هذه المرحلة أن يعلن الشهادة وأن يقوم بأداء الشعائر والعبادات المطلوبة ، وهذه المرحلة تشمل على جانب نظري من الدين ، وهو قبول الوحدانية ونبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى جانب عملي يختص بالعبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج .

والمرحلة الثانية من مراحل الالتزام الديني هي مرحلة الإيمان ، ويسميها الشهرستاني (**الوسط**)[٢٢] ، وفيها يحصل المتدين على قدر كاف من الفهم لمضمون الدين كما تلقاه في المرحلة الأولى ، ويسمي صاحب هذه المرحلة بالمؤمن ، بينما يسمي صاحب المرحلة الأولى بالمسلم ، والمؤمن هو من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وهذه جميعها مضامين فكرية نظرية مكملة لمضامين المرحلة الأولى . ويعتمد الشهرستاني في هذا ، على التفرقة التي وردت في القرآن الكريم ، بين المسلم والمؤمن ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا** ﴾[٢٣] . فالإسلام قد يأتي بمعنى (الاستسلام ظاهراً ، ويشترك فيه المؤمن والمنافق)[٢٤] . وفي المرحلة الأولى ، لا يمكن التفرقة بين المتدين والمنافق ، إذ لا يمكن التحقق ممن يؤدي هذه الفروض عن إيمان مصدره القلب والعقل معاً .

وهناك مرحلة ثالثة أرق وأسمى من المرحلتين السابقتين وهي التي يطلق عليها الشهرستاني « الكمال »[٢٥] . وهي المرحلة المعروفة في التراث باسم « **الإحسان** » بعد الإسلام والإيمان ، وهي أكمل أشكال الالتزام الديني وتعبر عن تمام التجربة الدينية عند الإنسان .

والحقيقة أن هذه المرحلة الأخيرة من مراحل التجربة الدينية ، هي مرحلة القدرة على تذوق الدين والحياة به ، والانهماك في التجربة الدينية ، بكل قدرات الإنسان المتدين ومشاعره ، فالإحسان هو الدين في مجال العمل والتطبيق .

مشكلة التقييم

وهي إحدى المشكلات الأساسية التي يواجهها مؤرخ الأديان المعاصر ، وقد انقسم المعاصرون على أنفسهم فيما يتعلق بهذه المشكلة . فقد قال بعضهم بضرورة تقييم المادة الدينية التي يستخدمها مؤرخ الأديان ، بينما نادت الأغلبية بضرورة الابتعاد عن التقييم الصادر عن مؤرخ الأديان نفسه لأن هذا التقييم قد يخضع لعوامل شخصية تؤثر على الدارس وتجعله ينحرف في تقييمه للأديان والظواهر الدينية التي يدرسها . وقد وضع الشهرستاني رأيه واضحاً في هذا الخصوص حيث يقول : « وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم ، من غير تعصب لهم ، ولا كسر عليهم ، دون أن أبيِّن صحيحه من فاسده واعين حقه من باطله »[٢٦] . وهذا تصريح واضح من المؤلف بعدم التدخل في وصف المادة الدينية ، ولكن هذا لا يعني أن الشهرستاني لا يرغب في التقييم . فهو في مكان آخر من كتابه يضع أساساً علمياً منطقياً للتقييم ولا يتركه لهوى الكاتب . فهو عندما يتحدث عن تحديد الفرقة الناجية يعطي الوسيلة التي يمكن بها الكشف عن هذه الفرقة فيقول : « والناجية أبداً من الفرق واحدة ، إذ الحق من القضيتين المتقابلتين في واحدة ، ولا يجوز أن تكون قضيتان متناقضتان متقابلتان على شرائع التقابل ، إلا وأن تقتسما الصدق والكذب فيكون الحق في أحدهما دون الأخرى . ومن المحال الحكم على المتخاصمين المتضادين في أصول المعقولات بأنهما محقان صادقان . وإذا كان الحق في كل مسألة عقلية واحداً ؛ فالحق في جميع المسائل يجب أن يكون مع فرقة واحدة . وإنما عرفنا هذا بالسمع وعنه أخبر التنزيل »[٢٧] .

هذا وقد عالج الشهرستاني مشاكل منهجية أخرى في دراسته الهامة ، منها مشاكل تختص بالمقارنة بين الأديان والفرق ، ووسائل تفسير الظاهرة الدينية ، والموضوعية ، والتقييم ، ومشكلة الحقيقة ، وكلها من صميم المنهج الحديث لعلم تاريخ الأديان . وهذا يوضح القيمة المنهجية لعمل الشهرستاني ، وفائدته العظيمة لمؤرخي الأديان المعاصرين .

الهوامش

(١) محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، الملل والنحل ، الجزء الأول ، مكتبة السلام العالمية ، القاهرة ، ص ص ٩ ـ ١٠ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٠ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٠ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٠ .
(٥) المصدر السابق ، ص ١١ .
(٦) المصدر السابق ، ص ١١ .
(٧) المصدر السابق ، ص ١١ .
(٨) المصدر السابق ، ص ١٢ .
(٩) المصدر السابق ، ص ١٣ .
(١٠) المصدر السابق ، ص ١٣ .
(١١) المصدر السابق ، ص ص ١٣ ـ ١٥ .
(١٢) المصدر السابق ، ص ٤٢ .
(١٣) المصدر السابق ، ص ٣٧ .
(١٤) المصدر السابق ، ص ٣٧ .
(١٥) المصدر السابق ، ص ٤٢ .
(١٦) المصدر السابق ، ص ٤٤ .
(١٧) المصدر السابق ، ص ٤٣ .
(١٨) المصدر السابق ، ص ٤٤ .
(١٩) المصدر السابق ، ص ٤٤ .
(٢٠) المصدر السابق ، ص ٤٥ .
(٢١) المصدر السابق ، ص ٤٧ .
(٢٢) المصدر السابق ، ص ٤٧ .
(٢٣) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .
(٢٤) الملل والنحل ، ص ٤٧ .
(٢٥) المصدر السابق ، ص ٤٧ .
(٢٦) المصدر السابق ، ص ١٥ .
(٢٧) المصدر السابق ، ص ص١١ ـ ١٢ .



عودة النسر

وطـني .. عبيرُك يستفزُّ جَناني
وَرُؤى سناك تَمورُ في وجداني
بالأمس كنتُ على رُباك مُغرِّداً
وَعرَفْتُ سرَّ البُلْبُلِ الهَيْمانِ
حيث الربيعُ الطَّلْقُ حُلْمُ فَراشةٍ
زرْقاءَ .. تلْثُمُ زهْرَةَ الوِدْيانِ
وقصيدة تُروى .. ولَوْعَة شاعر
عَفِّ الغَرام .. مُطَهَّر الأرْدانِ
يا مَهْدَ أشواقي .. ورُحْتُ مُوَدِّعاً
فيك الصِّبا .. ومَرابعَ الخلّانِ
وغَرَسْتُ في نَجْواك .. بين جَوانحي
وتَراً يَجيشُ بأعْذب الألحانِ
يا نَسمةً من طيب عَرْفِك حُرَّةً
مَشْبوبةً بلواعج الأشْجانِ
حَمَلَتْ إليَّ شذا تُرابك .. وهْوَ في
قيدِ العذاب وقبضة الحرمانِ
حيث السُّفوحُ الخُضْرُ تَسألُ كُلَّما
عَبَقَت أزاهرُها على الأغصانِ
عن فِتْيَةٍ مَرّوا بها يوماً .. وما
عادوا .. وقد رَحَلوا بلا عنوانِ
ومعالمُ الأمس القريب تَمَثَّلَت
أطيافَ مأساة .. وظلَّ هَوانِ
« يافا » .. وزهْرُ البُرْتُقال .. كأنَّهُ
في جيدها العاجيِّ عِقْدُ جُمانِ
والشاطئُ المَسْحورُ .. فوْق جبينه
« حيفا » .. تُطِلُّ بلحظها الفتّانِ
تلك المنازلُ .. والدِّيارُ .. يَلُفُّها
لَيْلُ الأسى .. وكآبة الهجْرانِ
تلك المساجدُ والقبابُ .. على المدى
تَشْكو هُنالك شِرَّةَ العُدْوانِ
ولكَمْ أطَلَّ العيدُ .. ما صَدَحَتْ بها
شَفَةٌ .. ولا قَرَّتْ بها عَيْنانِ
لو كان لي عُنْفُ الأعاصير التي
تجتاح .. عند تَحَفُّزِ البُرْكانِ
لأتَيْتُ أمْتَشِقُ الصَّواعِقَ .. مُعْلناً
سحْقَ الدُّجى .. ونهاية القُرْصانِ

شعر: أحمد محمد الصديق

يا أيُّها النَّسْرُ المشوقِ إلى الذُّرى
يطوي الفضاء بلهفةٍ وحنانِ
أتُراك بَعْدَ البَيْن تَعْرفُ ما الذي
يُشجي الفتى في غُرْبَة الأوْطانِ ؟
قُمْ وانْتَفِضْ يا بْنَ العلاء مُبَشِّراً
بتفتُّح النَّسْرين والرَّيْحانِ
ولْتركَب الرِّيح الغَضوبَ.. يَهيجُها
قَدَرٌ.. ويُطْلِقُها بغَيْرِ عِنانِ
واحْمِلْ إلى الآفاق مُزعَةَ رايةٍ
سقطت.. وتأبى ذِلَّة القيعانِ
مخْمومةً بجِراحنا.. منسوجةً
من روحنا.. بالصِّدْقِ والإيمانِ
مِنْ كَهْفنا المقرور.. في غَسَقِ الدُّجى
من عضَّة الآلام والأحزانِ
مِنْ صَرْخَة المَوْتور.. في أحْشائِهِ
حُمَمٌ تثورُ بجاحم النّيرانِ
مِنْ دَمْعَة الطِّفْل البريء.. تَعاظمت
حتى غَدَت في الأرض كالطّوفانِ
مِنْ لَوْعَةِ الأمِّ الرَّءوم.. مَهيضَة
بالثُّكْل.. تَسْبيها يَدُ الطُّغْيانِ
وَدَمُ الشهيدِ على الرُّغام مُجَدَّلا
أنفاسُهُ طُويَت بلا أكْفانِ
مِنْ كُلِّ مَنْ ذهبوا.. سياطُ الظُّلْم في
أعْقابِهِمْ.. وسلاسلُ السَّجّانِ
مِنْ عُمْق هاتيك الجراح.. شُموسُنا
وُلِدَت.. وتُشْرق بالطُّهور القاني
وتَفَتَّقَتْ خُضْرُ البراعم في الضُّحى
وتألَّقَتْ شُهُباً بكُلِّ مكانِ
وعلى مُصاوَلَة الخُطوب تَمَرَّسَتْ
وتَرَعْرَعَتْ في حَوْمة المَيْدانِ
إنَّ النّفوسَ إذا تَمَحَّضَ سَعْيُها
فثمارُها يَوْمَ الحَصادِ دَواني
قد أبْرَمَتْ عهداً.. وما خَفَرَتْ به
ومضت على نور من الرحمن
ولها مع الأمجاد وَعْدٌ صادقٌ
قد سُطِّرَتْ بُشْراهُ في القرآنِ



صلاح الدين الأيوبي

العرب والفنون المرئية

.. المفترى عليه في السينما العالمية والعربية !!

بقلم : أحمد رأفت بهجت

لم يتح لموضوع من الموضوعات التاريخية العربية أن يلق رواجاً في الفنون والآداب العالمية مثل ما لقيه موضوع القائد العربي العظيم «صلاح الدين الأيوبي». ذلك أن الأحداث التاريخية فيه غنية بمعانيها، ووراء مظاهر الوقائع الحربية ذات الأثر الخطير، شخصية من أبرز شخصيات القادة الشرقيين الذين عرفهم العالم في الميدانين العسكري والسياسي.

ولقد أُلّفت حوله كتب كثيرة، وفي مجال الفنون المرئية، ظهرت عنه عدة أفلام سينمائية وتلفزيونية أثارت جدلا كبيراً، وأخيراً طالعتنا الأنباء بأن المخرج العالمي العربي الأصل «مصطفى العقاد» بدأ في الإعداد لتقديم شخصية صلاح الدين الأيوبي في فيلم عالمي جديد، وهنا نجد من الضروري أن نتعرف على الصورة التي سبق وأن ظهر بها صلاح الدين في مجال الفنون المرئية العالمية والمحلية، والمحاذير التي يجب التنبه لها قبل أن نخوض غمار تجربة جديدة من المؤكد أن الأموال العربية ستكون عمادها الأساسي.

★ دور صلاح الدين الأيوبي يقوم به الممثل الإنجليزي ريكس هاريسون يقف وسط [illegible] والسير كينث في فيلم «ريتشارد قلب الأسد والصليبيون» ★



حقيقة مؤسفة أكدتها عشرات الأفلام التي قدمتها السينما العالمية عن الشخصيات التاريخية العربية ، وهي أن هذه السينما لم تتعلم الدرس أبداً ، ذلك الدرس الذي ينادي بأن الفنان ينبغي ألا يأمل في تحرير مسالك شخصياته والدفاع عنها على أساس واحد فحسب ، هو ما بينها وبين الفنان من تشابه سواء في الدين أو اللون أو الانتماء ، لأن هذا التشابه قد يضفي على بعض الشخصيات الصفات الإيجابية وبعض الحيوية التي قد تستمر زمناً يسيراً . وقد يضيف إليها شيئاً من القوة ، ولكن هذه الشخصيات تقف في النهاية وحدها ، وإذا قدر لها أن تعيش ، فإنها تعيش على أساس من التحيّز والتعصب . إن شخصيات مثل : **فرانسيس الأسيزي** في فيلم « الأسيزي » ، **وريتشارد قلب الأسد** في فيلم « الملك ريتشارد والصليبيون » ، **وفرديناند دي ليسبس** في فيلم « قناة السويس » ، **وتوماس لورنس** في فيلم « لورنس والعرب » ، **والجنرال جوردون** في فيلم « الخرطوم » وغيرها من الشخصيات العربية التي رسمتها السينما العالمية في مواجهة الشخصية العربية ، تعتبر رسماً « كروكياً » ، من الممكن أن يجذب المتفرج الأمريكي والأوروبي . بيد أن الحقيقة لا تمنح هذه الشخصيات أي لون من ألوان الخلود في مجال الفن الحقيقي ، لأن ملامحها حددت على حساب التاريخ أولاً ، والشخصية العربية ثانياً .. لقد صوروا كمثل أعلى ورمز ، في حين كان العرب في خلفهم ذلك التيه وتلك المباهاة والتحريض على الخرافة ... فهم وقاحة وثورة واندفاع ، أو صمت وخنوع واستسلام إ...


* ريتشارد قلب الأسد في فيلم « الصليبيون » *

وبعيداً عن الشخصيات الإسلامية التي حرم ظهورها على الشاشة ، كان أمام السينما العالمية عشرات الشخصيات الإسلامية التي كانت تعتبر ذات أهمية أو ذات طابع انقلابي ثوري في تاريخ العالم والأمة الإسلامية ، لا لمجرد أنها ساهمت في بناء الإمبراطورية الإسلامية بعد الانتصارات التي تحققت ضد الروم وبيزنطة وآسيا الصغرى وأرمينيا وفارس وأفغانستان وسمرقند وإسبانيا .. إلخ ، بل هي عامة وثورية ، لأنها شاركت لأول مرة في تاريخ العالم في بلورة صورة عالم ما بعد الإسلام وهو العالم الذي انتشرت فيه معالم السماحة الإسلامية ، ومعاني الفروسية العربية .

لقد تجاهلت السينما العالمية شخصيات مثل : « **خالد بن الوليد** » ، و « **عمرو بن العاص** » ، و « **طارق بن زياد** » ، و « **قتيبة بن مسلم** » .. إلخ ، وكانت الدوافع وراء هذا التجاهل كثيرة أهمها أن هذه الشخصيات لا تحقق للسينما الأمريكية والأوروبية الفرصة الكاملة لخلق مواجهة بين هذه الشخصيات الإسلامية ، وشخصيات أوروبية لها شهرتها أو ثقلها التاريخي ، ويمكن مساندتها سواء بالحقائق أو التزييف لمسخ الشخصية العربية مثل ما حدث مع الشخصيات العربية والإسلامية التي قدمتها في بعض الأفلام مثل : « **صلاح الدين الأيوبي** » ، و « **السلطان الكامل** » ، و « **الظاهر بيبرس** » ، و « **المهدي السوداني** » ، و « **قادة الثورة العربية** » ، و « **عائلة محمد علي** » .

والأفلام العالمية التي حاولت تقديم شخصية صلاح الدين الأيوبي ، تتركز في ثلاثة أفلام ظهرت على فترات متفاوتة ، وجميعها يقدم صلاح الدين من خلال علاقته بريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا ، دون أن تتناول هذه العلاقة بالتفسير التاريخي الصحيح الذي يعكس أبعادها السياسية والعسكرية والإنسانية ، التي


* أحمد مظهر في دور صلاح الدين في فيلم « الناصر صلاح الدين » *

تؤكد في النهاية أن صلاح الدين الأيوبي هو الذي استطاع أن يثقف فرسان الغرب بمعاني الشهامة والفروسية العربية .

الصليبيون والأيوبي

كان الفيلم الأول بعنوان « **الصليبيون** » (The Crusades) عام ١٩٣٥ م ، أخرجه **سيسيل دي ميل ، وأنتجته مجموعة « لاسكي » اليهودية** ، وتبدأ أحداثه في أعقاب انتصار صلاح الدين عند قرية (حطين) ، وأبواب بيت المقدس . فقد أحدث هذا الانتصار رد فعل جنوني في أوروبا استحث على إثره البابا (**تمثيل سير أوبري سميث**) ملوك وأمراء أوروبا لاستعادة القدس وبيت المقدس . وتبدأ الاستعدادات لشن الحرب الصليبية ضد المسلمين ، **ويبحر ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا (هنري ويلكوكش) وفيليب ملك فرنسا وفردريك الثاني دوق ألمانيا ، وهيو دوق بورجندي وسانشو ملك بافاريا ، وشيل أمير روسيا** وغيرهم للهجوم المقدس لاسترداد بيت المقدس وفلسطين .

ولأسباب خاصة بهؤلاء القواد ، وبطبيعة العلاقات الأوروبية في هذه الفترة ، لم يبدأ الغزو إلا عام ١١٩١ م ، بعد حصار عكا بفترة طويلة . وعندما ينجح الفرنجة في الاستيلاء عليها تبدأ المفاوضات بين ريتشارد قلب الأسد وصلاح الدين الأيوبي (أيان كيث) ، التي تنتهي باحتفاظ الأيوبي بأجزاء كبيرة من فلسطين وعسقلان ، وتنص على السماح للمسيحيين العزل بالدخول إلى أماكن العبادة في بيت المقدس .

ولعل الدهشة تصيبنا إذا علمنا أن هذه الأحداث في تاريخ الحروب الصليبية تتحوّل ــ رغم التلاعب التاريخي لبعضها ــ إلى مجرد مشاهد مبهرة ينجح سيسيل دي ميل في تجسيدها ، ولكن بعد أن يفرغها تماماً من أي مضمون يعكس طبيعة الدور البطولي الذي لعبه صلاح الدين الأيوبي وجنوده ، في حين استولى

صلاح الدين الأيوبي

على المشاهدين عندما ابتدع عدة مواقف خيالية لها مغزاها ومدلولاتها في مهاجمة الإسلام والشخصية العربية ، حيث تعكس الرؤية الدينية المتعصبة التي كانت هي العنصر الحاسم في تحديد موقف المخرج سيسيل دي ميل من الإسلام والعرب ، وهي الرؤية التي انعكست بشكل صارخ في أفلامه « العرب » عام ١٩١٥ م ، و « الأسير » عام ١٩١٨ م .

لقد استطاع دي ميل في فيلم « الصليبيين » أن يجمع بين عدة مواقف لا تمت للتاريخ بصلة ، ولكنها تؤدي إلى أهدافه الهجومية بيسر وسهولة . فهو يختلق قصة حب من طرف واحد بطلتها الأميرة الفرنسية **أليس** (كاترين دي ميل) تجاه ريتشارد قلب الأسد الذي يقاوم بازدراء غرامها له ورغبتها في الزواج منه ، ومن ناحية أخرى يجعل صلاح الدين الأيوبي يقع في غرام الأميرة الإنجليزية المؤمنة **برينجاريا** (لوريتا يونج) الذي يقرر ريتشارد قلب الأسد الزواج منها اسمياً ، رغم أنه لم يكن قد شاهدها من قبل ، ولكن شهرتها الإيمانية ومواقفها الحاسمة من تسلط صلاح الدين ومقاومتها العنيدة ، لنزواته عندما يأمر بالقبض عليها أثناء استيلائه على بيت المقدس ثم تخليه عنها أمام إيمانها وصمودها ، كل هذه العناصر تدفع ريتشارد إلى رغبة في الزواج منها ، ويحشد دي ميل إمكاناته الفنية لتصوير الاحتفالات الضخمة التي تقدمها الكنيسة لطقوس زواج برينجاريا الأسمي لسيف ريتشارد ، وينجح في أن يحول السيف الصليبي الشكل إلى معادل لكل ما يمثله الصليب من انعكاسات دينية وسياسية . ويلتقي مع الصفاء الروحي الذي تعكسه ملامح العروس المؤمنة برينجاريا . وفي الوقت نفسه تثير الحنق والكراهية تجاه العاشق المسلم صلاح الدين

الهمجي الذي لا يتحرك إلا وخلفه العبيد والجواري والجنود العرايا إلا من جلود النمر التي تغطي عوراتهم !! .

التعويذة

وإذا كان فيلم « الصليبيون » عام ١٩٣٥ م ، قد كتب للشاشة مباشرة بواسطة ثلاثة من كتّاب السيناريو هم : **هارولد لامب وفلاديمير يونج ودودلي نيكولز** ، بالاشتراك مع دي ميل ، فإن الفيلم التالي له في تصوير شخصية صلاح الدين « الملك ريتشارد والصليبيون » عام ١٩٥٥ م ، إخراج **ديفيد بتلر** كان مأخوذاً عن رواية « التعويذة » للكاتب الاسكتلندي الأصل **سير والتر سكوت** التي كتبت عام ١٨٢٥ م ، وتُعدّ من أكثر قصص (سكوت) ذيوعاً بين القراء .

وقد اعتبرت رواية « التعويذة » بالنسبة لبعض النقّاد العرب ، أول عمل روائي إنجليزي مهم ينصف العرب والمسلمين ، ولا ينتقص من شؤونهم أو معتقداتهم ، وقد صوّر مؤلفها الشرق العربي على أنه موطن الحكمة والقوة والرخاء والسحر[1] ، ويظهر صلاح الدين الأيوبي ، في هذه الرواية ، متنكراً بزي (الحكيم) الذي بعثه (السلطان) لمعالجة (قلب الأسد) ، وقد فاق في سلوكياته أعظم الفرسان الإنجليز شهامة ونبلاً ونكران ذات . فهو الذي ينقذ عدوه من الموت ، وهو الذي يداوي (قلب الأسد) من مرض عضال كاد يودي بحياته ، وهو الذي يهدي الفارس الاسكتلندي (سير كينث) التعويذة أو الطلسم الشافي الذي اختاره (سكوت) عنواناً لروايته .

غير أننا إذا وضعنا هذه الرواية موضع المقارنة مع الروايات المناهضة للإسلام ، لرأينا أنها تطرح بعض الأفكار الشائعة في الغرب حول الإسلام . ففي بعض مواقف « التعويذة »[2] ، يتنازل سير كينث مسلماً ويمنعه من التقدم في مكان ما من صحراء فلسطين ، وحين يتبادل الصليبي وخصمه ــ وهو صلاح الدين مقنعاً ــ الحديث فيما يعد ،

يكتشف المسيحي أن عدوه المسلم ليس شخصاً سيئاً على الإطلاق رغم كل شيء ، وعلى ذلك فإنه يقول : « لقد اعتقدت أن عرقك الأعمى قد انحدر من سلالة الشرير الرجيم الذي ما كنتم لتستطيعوا دون عونه أن تحتفظوا بأرض فلسطين المقدسة هذه في وجه هذا العدد من جنود الله الشجعان . وأنا لا أتحدث بهذه الطريقة عنك أنت بالذات ــ أيها المسلم ــ بل بشكل عام ، عن قومك ودينك ، ومع ذلك فالغريب في نظري ليس أنك تنحدر من سلالة الشرير ، بل إنك أيضاً تفاخر بذلك »[٣] .

إلا أن ما هو عجيب فعلاً ليس التاريخانية الواهية التي يحول بها (سكوت) المنظر إلى منظر « قروسطي » ، جاعلاً المسيحي يهاجم المسلم دينياً بطريقة لم يكن أوروبيو القرن التاسع عشر الميلادي ، ليسلكوها (مع أنهم سيسلكونها) ، بل التعالي الفارغ المتمثل في لعنة شعب بأكمله « وبشكل عام » ، فيما يخفف وقع الجرم ببرودة عبارة « أنا لا أقصدك أنت بالذات » .

وقد جاء فيلم « الملك ريتشارد والصليبيون » لينفرد بتأكيد هذه الرؤية الدينية ، بل ويستغل نفس الحوار السابق بين أحداث الفيلم الرئيسية ، مضيفاً إليها رؤية صهيونية تحاول التأكيد على الاستغلال غير الشرعي من جانب المسلمين لأرض فلسطين المقدسة !! .

ولم تكن هذه النتيجة غير متوقعة أو مفاجئة ، فالدور الذي لعبه مخرج الفيلم اليهودي « **ديفيد بتلر** » من قبل في مجال تجسيد الشخصية العربية كان دوراً شائناً . وكانت أفلامه « علي بابا يذهب إلى المدينة » عام ١٩٣٧ م ، « الطريق إلى مراكش » عام ١٩٤٢ م ، تتعمد السخرية والاستهزاء من العرب . . ومبنية على تصور الدور الإيجابي للفنان اليهودي في مهاجمة الشخصية العربية سواء من خلال الأحداث الخيالية أو الوقائع التاريخية .

ويظهر صلاح الدين الأيوبي في فيلم « الملك ريتشارد والصليبيون » كمهرج تحركه نزواته الشخصية ، فهو الفارس المقنع (ريكس هارسون) الذي ينتحل اسم الأمير (Ilderim) ليعالج ريتشارد قلب الأسد بهدف التقرب من شقيقته الحسناء **الليدي إديث** (فرجينيا مايو) حبيبة الفارس الاسكتلندي سير كينث (لورنس هارڤي) الذي يسعى للتوفيق بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد (جورج ساندرز) ، ومن ثم يتحوّل صلاح الدين في مواقفه إلى إنسان ذاتي يفتقد الشهامة والرجولة ، كما حاولت الرواية أن تصوّره .

ولا يكتفي ديفيد بتلر بذلك ، بل إنه يضفي على شخصية صلاح الدين سلوكيات غريبة ، فهو المغني الذي شنف آذان المتفرجين بتغريد ثلاث أغانٍ وهو يعزف على الجيتار ، وهو القائد الذي كان يصحب أثناء قيامه بقيادة المواقع الحربية في الميدان طقماً كاملاً من الخبراء العسكريين ورجال الحرب ، والحريم الراقصات ، كأن قيادته الحربية الباسلة التي أوقفت زحف أوروبا على الشرق ، لم تكن أكثر من نزهة بين الحريم ، وهو في النهاية العاشق الذي تدله في غرام شقيقة ريتشارد وبثها أشواقه ، وكاد يكون مستعداً للتخلي عن الموقف الحربي في سبيل أن يتزوج هذه الفتاة الصليبية البيضاء !![٤] .

وقد استقبل النقّاد في الغرب فيلم « الملك ريتشارد والصليبيون » بقسوة شديدة ، ووجّه ناقد جريدة الصانداي إكسبريس البريطانية كلماته إلى جمهور الفيلم بقوله : « لا تدع مقعدك . .

★ مصطفى العقّاد ★



فالصوت الذي تسمعه هو صوت سير والتر سكوت وهو يتململ في قبره »[٥] ، واعتبره **ستيف شورير** مجرد فيلم لهواة أفلام المغامرات . أما **هالي ويل** فقد وصفه بأنه « إنتاج قليل القيمة وتأليف وأداء يتميّزان بالسخف »[٦] .

ولقد أعقب فيلم « الملك ريتشارد والصليبيون » عدة محاولات سينمائية لتقديم شخصية صلاح الدين الأيوبي ، قيل مثلاً إن شركة فوكس أعدت عام ١٩٦١ م ، سيناريو عن شخصية صلاح الدين لتنتجه في مصر ، وكان المرشح لإخراجه **جوزيف مانكو فيتش** مخرج فيلم « كليوبترا » ، ثم أنتجت شركة كوبر فيلم « المصرية » بالمشاركة مع إنجلترا فيلماً ضئيلاً بعنوان « صلاح الدين الأيوبي » عام ١٩٦٤ م ، لعب بطولته كونراد فيليبس وجو ثوربون ووليام فرانكلين . وكان الفيلم رغم مستواه الفني المتواضع محاولة مكررة لتركيز الضوء على شخصية ريتشارد قلب الأسد على حساب صلاح الدين !! .

صلاح الدين . . وڤالنتينو

وفي السينما العربية ، صوّرت شخصية صلاح الدين الأيوبي في فيلمين مصريين ، الأول بعنوان « صلاح الدين الأيوبي » عام ١٩٤١ م ، أخرجه إبراهيم لاما ، والثاني بعنوان « الناصر صلاح الدين » عام ١٩٦٣ م ، إخراج يوسف شاهين . ورغم الفارق الفكري والسينمائي الواضح في العملين ، إلا أن الأمل المنشود تجاه تصوير هذه الشخصية بشكل يتناسب مع عظمتها ودورها التاريخي الخطير لم يتحقق فيهما .

كان الفيلم الأول امتداداً لأفلام الشقيقين إبراهيم وبدر لاما المتأثرة بالسينما الأمريكية ، وخاصة أفلام النجم رودلف ڤالنتينو معبود الجماهير ، ومعشوق النساء في فترة السينما الصامتة . وفي هذا الفيلم نرى الجيوش الصليبية تهجم على طريقة عصابات الصحراء لتخطف

النساء وتحرق المحاصيل ، وسرعان ما يتصدر صلاح الدين (بدر لاما) مع بقية أمراء أسرته من الفرسان لهؤلاء الأشرار ليتغلبوا عليهم بعد سلسلة من المبارزات الساذجة[٧] .

وعمد إبراهيم لاما مخرج الفيلم إلى ما أسمته مجلة الراديو أيامها « بسرقة غريبة أو تدجيل من نوع جديد » ، فهو قد لصق أجزاء من المعارك الحربية التي أخرجها سيسيل دي ميل في فيلمه « الصليبيون » ، وبدت وجوه العرب إفرنجية الملامح . هذا ، فضلاً عن عدم تناسقها مع الإمكانات المتواضعة التي تم بها إخراج باقي أحداث الفيلم . وعندما قرأ الأخوان لاما هذا النقد ، حذفا المشاهد الدخيلة فكانت النتيجة كما يقول محرر الراديو ، أنهما زادا الأمر اضطراباً على اضطراب ، وعبثاً على عبث ، وظهرت ساحة الميدان واسعة شاسعة وليس فيها إلا اثنا عشر فارساً بالعدد في طريقهم إلى المعركة ، ثم يتساءل ساخراً : « أتراهم كانوا ذاهبين لفتح مدينة أم لفتح دكان » !! .

صلاح الدين .. وأمنية لم تتم !!

أما فيلم **يوسف شاهين** الذي أنتجته **آسيا داغر** ، فقد تعثر قبل تقديمه أكثر من مرة ، وتعرض السيناريو لكثير من التعديل والإضافات والحذف ، واشترك أكثر من كاتب في إعداده ، وعندما عرض الفيلم تعرض لكثير من الآراء النقدية المتناقضة ، وفي اعتقادي أن أفضل من حدد رؤيته بوضوح تجاه الفيلم .. خاصة من الناحية التاريخية كان الكاتب **حبيب جاماتي**[٨] ، وهو أحد الكتّاب العرب الذين تخصصوا في الكتابة عن جميع صفحات التاريخ العربي .

يقول جاماتي : « في رأيي إن أكثر الأيدي التي تداولت الموضوع ، وتعدد الأقلام التي عالجته هما السبب في أن الفيلم لم يجئ كبحث تاريخي متماسك الجوانب وافياً بالمرام ، مساوياً في قيمته من هذه الناحية ، للمجهود الذي بذل في إخراجه وتصويره . إن حياة صلاح الدين الأيوبي في حد ذاتها مليئة بالحوادث المثيرة

صلاح الدين الأيوبي

والعبر والدروس والبطولة والشهامة ، وكل ما يمكن أن يتحلى به إنسان من فضائل . إن الكاتب يجد فيها جميع العناصر التي يحتاج إليها في صياغة قصة تاريخية متينة البنيان ، من ذلك البطل العظيم بدون أن يتلاعب بالحقائق ، ولا أن يضطره سياق القصة إلى تعديل الوقائع أو تشويهها ، وكل ما يحق للكاتب في هذا الصدد أن يسبغ على بعض الوقائع والحقائق هالة من الخيال ، وأن يحور من التفاصيل ، ولكن على شرط أن لا يكون ذلك على حساب بطل القصة وهو من أبطال التاريخ » .

ثم يعدد **حبيب جاماتي** برؤية واعية هادئة النبرة بعض ملامح الخلل التاريخي في فيلم يوسف شاهين في النقاط التالية :

١ ــ في مطلع الفيلم نرى قافلة عربية في طريقها إلى الحجاز ومعها « محمل » أو ما يشابه « المحمل » وهذا خطأ من الناحية الزمنية . فالمحمل لم يكن شيئاً معروفاً ومألوفاً في القرن الهجري السادس ــ الميلادي الثاني عشر ــ أي في عهد صلاح الدين .. وأول محمل سار من مصر إلى الحجاز أعدته شجرة الدر في القرن السابع للهجرة ، الثالث عشر للميلاد .

٢ ــ انتهى حصار عكا على غير الصورة التي عرضت في الفيلم ، ولم تكن هناك خيانة بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة . وكان يدافع عن المدينة الحصينة اثنان من كبار قواد صلاح الدين ، وهما : **بهاء الدين الأسدي** الملقب بقرهقوش ، **وابن المشطوب الكردي** ، وبعد دفاع مجيد أراد بعض الأمراء أن يرجعوا إلى بلادهم ، رأى القائدان أن الصمود أصبح مستحيلاً ، فدخل ابن المشطوب في مفاوضة علنية مع الإفرنج ، لم يكن صلاح الدين راضياً عنها في بادئ الأمر ، ثم وافق عليها ، وتم تسليم المدينة بشروط وضعها صلاح الدين وقلب الأسد معاً . ولم يحدث أن فتحت منافذ المدينة للصليبيين بخيانة حاكم عكا ، كما جاء في الفيلم ، وليس هناك مبرر لوصم ابن المشطوب أو قرهقوش بهذه الوصمة .

٣ ــ بالنسبة لحصار القدس ، فإن قلب الأسد لم يحاصر بيت المقدس ، بل زحف عليها ثلاث مرات ، وكان في كل مرة يعود إلى قواعده في عكا ، بعد أن تبدو له من بعيد أسوار المدينة ، وقد حارب في **عكا وأرصوف وعسقلان** ، ولكنه لم يحارب في القدس ولم يهاجمها ولم يدخلها ، كما أنه لم يرجع عنها بعد قتال ، ومن ثم ، فإن قلب الأسد لم يذهب إلى القدس للقاء صلاح الدين لقاء سلمياً ، ولم يقع عليه اعتداء فيرشق بسهم من أقرب المقربين إليه في الجيش الصليبي **الدوق آرثر** ، وقد عالجه صلاح الدين من حمى ألمت به ، لا من جرح أصابه من سهم .

٤ ــ كان العمل الوحيد الذي يؤاخذ عليه قلب الأسد ، هو ذبح الأسرى المسلمين بعد معركة عكا ، في حين أن صلاح الدين كان يحسن معاملة أسراه ، ويسهر على راحتهم ، وإظهار الفيلم لقلب الأسد بمظهر القائد الأعلى الذي يؤنب مرؤوسيه ، لأنهم ذبحوا أربعين أسيراً لا يطابق الواقع . فالذبح قد حدث فعلاً وبمعرفة قلب الأسد وبأمره ، وكان عدد الذين ذبحوا ثلاثة آلاف أسير لا أربعين فقط .

وثمة ثغرات تاريخية أخرى يحفل بها الفيلم ، ولا يمكن تحميلها لكتّاب السيناريو فقط .. بل يعد يوسف شاهين مسؤولا عنها إلى حد كبير . والواقع أن يوسف شاهين قد يكون مؤهلاً لتقديم سينما عربية متطورة من ناحية الشكل ، ولكنه في اعتقادي ليس مؤهلاً لتقديم العلاقة بين العرب والغرب بعيداً عن نغمة « التوازن » ، وأحياناً « الانحياز » ، وهما عنصران يفقدان غالباً الشخصية العربية مقوماتها ، ويجعلان السلبيات الغربية تتخافت من خلال تقديم نماذج أوروبية تقلل من تأثير الحقائق

التاريخية ، بل تدفع المشاهد أحياناً إلى التعاطف معها . . فوحشية الفرنسيين الاستعماريين في معاملة المجاهدة الجزائرية **جميلة بو حريد** في فيلمه « جميلة » تصبح استثناء وقتياً في مجتمع أنجب الفرنسيين المدافعين عنها . ثم نراه يتجاهل سلبيات ريتشارد قلب الأسد ، وينسج قصة غرام بين الشاب العربي **عيسى العوام ولويزا الصليبية** يباركها صلاح الدين رغم أن التاريخ يعرف أنه كان رجلاً جاداً وصلباً لا يعرف المجون في حياته ، ولا مباركة العشاق ، ورغم أن ما جاء عن عيسى العوام في كتب التاريخ لم يتجاوز بضعة سُطور إلا أن الفيلم يجعل علاقته مع لويزا تمتد طوال أحداث الفيلم ، بل يجعلها من العناصر الأساسية التي تتيح لصلاح الدين توطيد علاقته بريتشارد قلب الأسد .

وفي فيلم « **الناس والنيل** » تتوارى الشخصية العربية وراء عنجهية الخواجه الروسي الذي يساهم في بناء السد العالي . وفي فيلم « إسكندرية ليه » يدفعنا إلى التعاطف مع علاقة الشاب المسلم بالفتاة اليهودية سارة متجاهلاً الظروف الموضوعية في علاقة العرب باليهود . وتأتي العلاقة الشاذة بين الشاب المصري والجندي الإنجليزي جورج في « حدوته مصرية » لتعكس إنسانية هذا الجندي وسط دوامة حرب تختلط فيها الأشياء ، وتخفت فيها نغمة الهجوم على الاستعمار الإنجليزي . ومرة أخرى تأتي العلاقة الشاذة بين العالم والقائد الفرنسي كافاريللي ، وبين الشقيقين المصريين يحيى وعلي أثناء الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون في « وداعاً يا بونابرت » لتتوّج موقف يوسف شاهين الذي يحاول في ظل مسميات غربية ، منها التقارب بين الشرق والغرب ، أو معاملة « الند للند » ، أن يخلق توازناً واهياً ، قد يؤدي إلى عرض أفلامه في دور العرض الأوروبية ، أو قبولها في بعض المهرجانات العالمية ، أو حتى فوزها بجوائز دولية ، ولكنه لن يؤدي في النهاية إلى بلورة الشخصية العربية بعيداً عن أي مؤثرات تفقدها ملامحها الحقيقية . يضاف إلى ذلك حقيقة هامة وخطيرة ، وهي أن موقف يوسف شاهين من الشخصيات الإسلامية ، أصبح يحتاج إلى وقفة حاسمة بعيداً عن الطبل والزمر اللذين يحيطان أفلامه بواسطة بعض نقّادنا العرب !! .

فيلم جديد .. ومحاذير قديمة !!

والمحصلة النهائية أن هذا التصور السلبي لأحد عظماء تاريخنا العربي ، لا يعني بالضرورة تقبلنا بالأمر الواقع ، والقبول بهذه النتيجة الشهيرة « ليس في الإمكان أبدع مما كان » . وأعتقد أن المخرج العربي العالمي **مصطفى العقّاد** ، وهو يقرر إعادة تصوير شخصية صلاح الدين في فيلم جديد يعكس إحساساً جاداً بخطورة هذه الشخصية ، وأيضاً المصاعب التي من الممكن مواجهتها وهو يجسد ذلك بقوله :

« فيلم عن صلاح الدين الأيوبي ، ليس مجرد فيلم تاريخي آخر ، إنه يتطلب جهداً أكبر بكثير من أي فيلم سابق لي . . وهو من دون شك سيكون أغلى تكلفة من « عمر المختار » ، وواحدة من المصاعب المتوقعة هي الأصول التاريخية . فعلى العكس من « عمر المختار » المراجع ليست بهذه الحداثة ، وتتطلب جهداً إضافياً في البحث والتدقيق . إنه فيلم صعب جداً إذا أردت أن تكون أميناً للتاريخ . إن هناك الكثير من الكتب التي وضعها الأوروبيون عن الحروب الصليبية ، وهي مليئة بالأكاذيب ، على أن البعض حين يأتي على ذكر صلاح الدين الأيوبي يتوقفون ويعترفون بأنه كان نابغة حرب وسياسة » .

ولكن مع تفاؤلنا بالدور الذي يمكن أن يلعبه العقّاد في سبيل تقويم التاريخ العربي ، نجد أنفسنا أمام عدة محاذير يجب أن نضعها أمام أي فنان يود التعامل مع أحداث التاريخ العربي وأهم شخصياته :

أولا : عدم الاكتفاء بالمراجع الأوروبية ، وبالنسبة لشخصية صلاح الدين هناك عشرات الكتب العربية التي تتحدث بإسهاب عنه . . منها مخطوط « مفرج الكروب في تواريخ بني أيوب » **لابن واصل** ، كتاب « الروضتين في أخبار الدولتين » **لابن شامة** ، « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » **لأبي المحاسن** ، « المجمل في التاريخ المصري » **لحسن إبراهيم حسن** ، « الكامل » **لابن الأثير** ، « وفيات الأعيان » **لابن خلكان** ، « مصر في العصور الوسطى » **للدكتور علي إبراهيم حسن** ، « تاريخ التمدن الإسلامي » **لجرجي زيدان** ، وغيرها من الكتب العربية الأصيلة ، والصادقة في عرضها لفترة حكم صلاح الدين الأيوبي .

ثانياً : التعامل مع التاريخ دون أن نضع في الاعتبار حساسية موقفنا من المتفرج الأوروبي ، فلا نختلق الأحداث والشخصيات التي يبغي من خلالها خلق التوازن في العلاقات الأوروبية ــ العربية ، طالما كان التاريخ واضحاً حاسماً في تحديد ملامح الشخصيات والأحداث ، ولا يقبل منطق الرقص على السلم .

ثالثاً : عدم التضحية في التاريخ الحقيقي من أجل إسقاطات سياسية عربية معاصرة لأحداث غالباً ما تكون غير محددة الأهداف أو النتائج ، وبحيث لا يصبح التاريخ لصالح من يدفع أكثر في تمويل هذا الفيلم أو ذاك ، ولا أعتقد أنني في حاجة إلى شرح هذه النقطة أكثر من ذلك !!! .

الهوامش

(١) انظر : مقال « صلاح الدين الأيوبي والأدباء الإنجليز » ، د . ضياء الجبوري ، مجلة « آفاق عربية » ، العدد (٣) ، تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٦ م ، بغداد .

(٢) كتاب « الاستشراق » لإدوارد سعيد .

(٣) المرجع السابق .

(٤) انظر : كتاب « سفير أمريكا بالألوان الطبيعية » لكامل التلمساني .

(٥) « Film Guide » ، نسخة ١٩٨١ م .

(٦) المرجع السابق .

(٧) انظر : دراسة « الشخصية التاريخية في السينما العربية » ، كمال رمزي ، مجلة « الفنون » ، القاهرة ، العدد (١٨) ، عام ١٩٨٤ م .

(٨) مجلة « الفن » المصرية ، ١٩٦٣ م ، الملف رقم (١١٠٠) ، المركز الكاثوليكي المصري للسينما والتلفزيون .

اليوم والغد

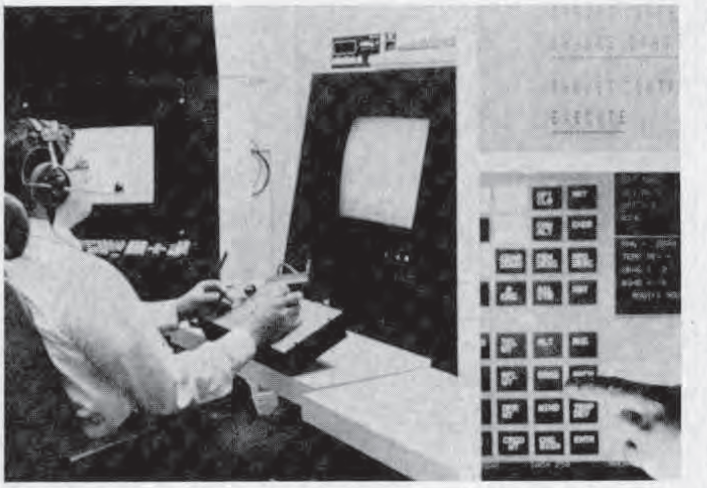
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد



هواتف شمسية

اتجه العلماء والباحثون مؤخراً إلى زيادة الاعتماد على الطاقة الشمسية. ومن التطبيقات الحديثة في هذا المجال (**الهاتف الراديوي**) المبين في الصورة، الذي يعمل بطاقة الشمس. ويتوقع أن تقوم هذه الهواتف بربط المشتركين في الأرياف الموجودين على مسافات بعيدة عن مناطق التجمع السكني.

يستعمل مع الهاتف مدخرة خاصة تشحن بالكهرباء عن طريق لوحة الخلايا الشمسية المبينة. ويتوقع أن يبلغ عددها ٢٥٠٠ وحدة في شبكة الهاتف المقترحة.



الحاسب المتكلم

من الآفاق الجديدة التي فتحت أمام الحاسب الإلكتروني، المساعدة في أعمال الطيران المدني. ويتوقع أن تكون تجهيزات المطارات في منتصف الثمانينات مماثلة لتلك المبينة في الصورة، وذلك حسب توقعات شركة **لوكهيد الأمريكية**، وهي تستجيب للأوامر الصوتية أو الكهربائية.

يقوم المهندس المشرف (الصورة اليسرى) بتمثيل إحداثيات الطائرة على الشاشة. في الصورة اليمنى العليا، يجيب الحاسب الإلكتروني على أسئلة المشرف الشفهية، بخصوص المعلومات المتعلقة بالطيران. في الصورة السفلى يقوم المهندس باستعمال المفاتيح أمامه لإدخال المعطيات الجديدة إلى الحاسب.

سيكون لهذه التجهيزات دور كبير في **تخفيف أعباء طاقم الطائرة الذي سيصبح ضخماً في أواسط الثمانينات**، بسبب حركة الطيران الهائلة، ولصعوبة إجراءات الهبوط والإقلاع، ولتعقد تقنيات الاتصالات والملاحة، وجميعها تتطلب تدفقاً هائلاً في المعلومات بين طاقم الطائرة وأجهزتها.

حملة واسعة «لاصطياد» الأورانيوم

أعلنت الحكومة اليابانية عن حملة واسعة للبحث عن الأورانيوم في **أستراليا وإفريقيا وأمريكا الشمالية** لتغذية مفاعلاتها النووية، بقصد تقليص الاعتماد على النفط لتغطية احتياجاتها من الطاقة.

وتعتبر هذه الحملة جزءاً من جهود اليابان ـ **ثالث أكبر دولة استعمالا للطاقة النووية في المعسكر غير الشيوعي بعد الولايات المتحدة وفرنسا** ـ الرامية إلى تطوير صناعة الوقود النووية الذاتية.

من المعروف أن اليابان تستورد معظم الأورانيوم الطبيعي من أجل مفاعلاتها الـ ٢٢ بواسطة عقود طويلة الأمد وقصيرة الأمد من الولايات المتحدة ـ فرنسا ـ بريطانيا ـ أستراليا ـ إفريقيا الجنوبية، ولكن بدون التكنولوجيا الضرورية فإن اليابان تبق مضطرة للاعتماد على الولايات المتحدة وفرنسا من أجل عمليات إغناء الأورانيوم.

وقد أعلن ناطق حكومي أن اليابان تنوي مضاعفة عدد المفاعلات العاملة لديها بحلول عام ١٩٩٠ م، وذلك **باستعمال الفحم الحجري ومحطات الطاقة النووية، على الرغم من الحملات الشعبية المناهضة للطاقة النووية**.

وقد تعاقدت الشركات اليابانية على استيراد ١٩٦ ألف طن من الأورانيوم لاستعمالها في بداية التسعينات، وسوف يزداد هذا الاستيراد بـ ١٣٠ ألف طن في العقدين القادمين.

وضمن مساعي الحكومة اليابانية لتطوير مقدراتها على إغناء الأورانيوم تم في الآونة الأخيرة افتتاح محطة تجريبية لهذه الغاية في مقاطعة **أوكاياما**.

☆ ☆ ☆

قصة قصيرة

بقلم: د. عبدالله أحمد باقازي

إنتصار

... تطنُّ ... تملأ الأفق حول أذنيه طنيناً .. يهش بيده يبعدها .. تقف على أنفه .. تتسلل رائحة مميزة إلى تجويف أنفه .. يهشها .. تحطّ على الجدار .. تمكث ثوان .. يتأملها قليلاً .. يتمنى سحقها على الجدار .. يبحث عن شيء يستخدمه ... يتناول فنجان الشاي الذي أمامه ... يهوي به عليها .. تطير هي .. يرتد الفنجان إلى يده .. يؤلمها ... الجدار أصابه خدش واضح ... حطت هي على يده من جديد ... تأملها قبل أن يفكر كيف يهرسها .. بسرعة تداخل التأمل في ذهنه مع الإعداد السريع لقتلها ... كانت ترفّ .. تحرك رجليها ... ساحة الغرفة تفترشها الكتب والصحف في فوضى ظاهرة .. النوم طار .. جرّب أن ينام من جديد .. حطت على وجهه .. شعر أنه ينغمس في مستنقع تقزز .. نهض .. هشّ بكلتا يديه .. حطت على قدمه .. أحسّ بدبيب مزعج يتزرع في كل ساقه .. نهض .. أعاد الغطاء على ساقه .. وتيار انزعاج يمخر أعصابه ... مرت لحظات .. تجولت عيناه تبحث في الكتب عن شيء .. عن أي شيء تبحث .. ؟! .. لا أثر لطريقة للتخلص منها في الكتب .. لا وصف لشيء يقضي عليها سريعاً هناك ... ملأت ساحة ذهنه الأسئلة .. كيف يتخلص منها .. ؟؟ ... كانت هي تحطّ على أحد الكتب ... جرّب أن يهرسها فوق الكتاب ... ستصبح جثة هامدة



فوق غلاف الكتاب الجميل تلوثه .. لكن لا يهمّ .. !! .

تناول غترته .. جدلها جدلا محكماً .. رفعها إلى مستوى رأسه ، عيناه لا تفارق موضعها على الكتاب .. يده مهيأة للضربة السريعة القاضية .. ينبغي أن تكون سريعاً ... هوى عليها بالغترة المجدولة ... «طبق» ... انهرست صفحات الكتاب على بعضها .. طارت هي وحطت على جانب النافذة ... يده مزقها الإنهاك .. الغترة المجدولة التي كانت للحظات صالحة للاستعمال .. تحتاج إلى «كي» من جديد .. وربما ساهم جدلها في تمزيق نسيجها المتسق الجميل ... !! .

كانت هي لا تزال إلى جانب النافذة .. لمعت بذهنه فكرة .. سيفتح النافذة على مصراعيها وستطير هي إلى الخارج حتماً ... نهض .. دبّ بخطوات وئيدة متمهلة حتى لا تطير ... قبل أن تمتد يده إلى النافذة .. طارت هي وحطت على أحد الكتب .. نفخ بضجر .. وعصفت به حالة غضب ..

هوى بالغترة المجدولة في كل أنحاء الغرفة .. غابت عن عينيه للحظات ثم حطت على وجهه ... فارت براكين الغضب من جديد في أعماقه .. سيطبق عليها بيده .. أسكن يده للحظات حتى تهدأ حركتها هي .. لا زالت تقف في مكانها من وجهه .. هوى بكفه على وجهه .. أصابت اللطمة وجهه .. شعر بالألم على وجهه يفجر موقفه الداخلي بصورة أكثر .. طارت هي إلى موضع جهله لفترة ... نهض .. مساحة الألم لا زالت باقية على وجهه ... تضاريس الوجه تنبض بالوجع والحيرة ...

إنتصار

راحت عيناه تبحث عنها .. مسح الغرفة بنظراته .. حول الكتب .. حول النافذة .. حول باب الغرفة الخارجي ... على « المخدة » وجدها .. جرَّب أن يسحقها بأحد الكتب .. تناول أقرب الكتب إليه .. اندفع بثقله والكتاب في يده ، وأكبّ على موضعها من المخدة بكل عناية ... تهاوى .. اختل توازنه .. سقط أرضاً .. انكشف الكتاب مفتوحاً على المخدة .. شعر بالتواء يؤلمه في ذراعه الأيمن ... رفع الكتاب ببطء وهو يظنها لاصقة به أو بالمخدة .. لم يجد شيئاً .. كانت قد طارت .. !!

... تحسس وجهه ... لا زال يشتعل بالألم .. تذكر أنها وقفت على وجهه أكثر من مرة ولم تلسعه .. كانت فقط تدب بشكل مقزز .. لا تملك مخالب ولا أظافر هي .. ؟! .. عاد يتأملها ... كانت تحك قدميها ..

جناحاها الرقيقان الشفيفان ينعطفان من جراء ذلك .. إنها جذماء لا تملك مخالب ولا أظافر ... تذكر وضعاً قديماً لها ... الذاكرة منخورة بمتاعب الأيام .. يجول بين أرشيف الذهن .. يتجول ضمن دهاليز الذاكرة .. لا يسعفه الذهن بشيء ...

... يتذكر أخيراً ...

... يسرع إلى مجموعة من كتبه يقلّب فيها .. يبحث .. يستمر في البحث .. « المعلقات » .. لا بد أنها هناك .. اليد اليمنى لا زالت تشكو من ألم .. الوجه تفترشه دائرة ألم ـ أيضاً ـ .. يده تقلب في صفحات الكتاب المنشود .. ينفرش الشعر أمامه بأبياته المقصودة :

وخلا الذباب بها فليس ببارح
غرداً كفعل الشارب المترنم
هزجاً يحكّ ذراعه بذراعه
قدح المكبّ على الزناد الأجذم

... هي ذاتها الذبابة الجذماء .. ذبابة عنترة بن شداد تتحرك في غرفته الآن .. تنتقل بحرية وخفة .. تحرك ذراعيها كالأجذم .. وجناحاها الشفيفان ينعطفان برقة تحت ذراعيها ... ترى كيف تأمل عنترة « الذباب » وسط الأجواء الملتهبة من الحروب والمعارك والأخطار .. ؟!! .. وما نوع ذبابته .. ؟ هل تشبه ذبابتك التي تحوم في الغرفة .. ؟ ما شعور عنترة لو فعلت به ذبابة مثل ما فعلت هذه الذبابة بك .. ؟؟ ... هل سيقضي عليها عنترة بسيفه البتار .. ؟

.. تلفت إلى الذبابة وجدها تهزج بطنين وهي تحطّ على بقايا فنجان الشاي .. جرَّب أن يحجزها داخل الفنجان بكفه .. أطبق على الفنجان ... فرَّت من بين أصابعه بطنين هزج .. تأمل يده وقد انفرجت أصابعه عن بعضها مما أتاح لها أن تنسرب وتطير بعيداً ... تساءل عن سبب انفراج أصابعه وفرار الذبابة رغم حرصه على الإجهاز عليها ... دار التساؤل في داخله وذاب في فورة الغضب التي عادت تغلي من جديد في أعماقه ... جمع الكتب المتناثرة في الغرفة .. رتبها .. وضعها أعلى جهاز « التلفزيون » ... جهاز التكييف كان يخن .. البرودة التي تعبق بها الغرفة لم تمتص حرارة انفعاله ... هدوء ما قبل أذان العصر ... القيلولة توشك أن تتلاشى من أطراف النهار وهو لم ينعم بنومتها .. شغلته الذبابة .. !!

... بحث عنها ... وجدها تحطّ على المخدة ... خرج مسرعاً وهو يتذكر المبيد الحشري ... عبقت الغرفة بالبرودة ورائحة المبيد الحشري ... سعل .. احتنقت عيناه .. أسرع إلى النافذة يفتحها ... تسللت إليه حرارة الخارج وغباره .. لبث لحظات يطل على الشارع الغارق في بحيرة الهدوء ، وسائل الشمس الدموي تتداخل خلال الظلال الراكدة ...

... أغلق النافذة ... وعاد للغرفة ..

.. كانت الذبابة تحطّ على وجهه ... هشّها .. استبدت به لحظة جنون تناول غترته المجدولة وصار يهوي بها في كل اتجاه طلباً للذبابة ... لحظات مرت .. كان الإعياء ينهش جسده ... انبجس جبينه عن حبات عرق ، رغم برودة الغرفة ... سقط على الأرض يلهث ، كانت الذبابة تحطّ على أنفه من جديد .. !! .

قصة قصيرة

بقلم: جهاد عبد الجبار الكبيسي

ترقية

على غير عادته دخل البيت، بين جهامة وشرود. اعتذر لأهله عن عدم تناول الغداء معهم. برغم محاولته التظاهر بألا شيء هناك، كان الحزن ناطقاً في عينيه. حاولت زوجته الوقوف على سر اغتمامه، تعلل بوعكة في صحته. انقضت سحابة النهار وطرف من الليل وهو لابث في غرفته. أحرق من السجائر في ذلك اليوم ما يحرقه في أيام.

تساءل بذهول، هل من الممكن أن يصل الأمر إلى ما وصل إليه؟.. تذكر الماضي، قارنه بالحاضر. تمنى أن يموت قبل أن يشهد ثانية ما شهده اليوم. تفكر في سر هذا البلاء. قحط في المأكل، وبإمكان المرء أن يعيش. قحط في الملبس، وبإمكان المرء أن يعيش. ولكن أن يكون في الأخلاق، فهذا الذي يستحيل العيش معه. تذكر أيام زمان بحسرة، شب وتزوج ولم يُشعل سيجارة أمام أبيه. تزوج وأنجب وكان يقبل أيدي مسني العائلة. أنجب وكبر وظل ينحني أمام الكبير. فماذا حدث للعالم حتى يحدث ما حدث؟.. إن كان ذلك سيكون سُنة ويقلد الآخرون مسلك ذاك الشاب، فلتحل اللعنة، ولتقم القيامة.

صباح اليوم التالي كان مكتبه شاغراً، وحين بلغت الساعة الثانية عشرة، تأكد للجميع أن (بسيوني أفندي) لن يحضر اليوم. وهو أول يوم يتغيب فيه، بعد مواظبة اتصلت خمسة عشر عاماً. مصمص البعض شفتيه بأسى، لاذ البعض الآخر بالصمت، تناقش آخرون، واحتدموا في حوارهم، لكنهم أجمعوا في النهاية على أن (شاهر) هو المخطئ، وأنه السبب في كل ما جرى. انبرى شاهر يدافع عن نفسه، قال إن ما حدث كان بالرغم منه، وإنه قد كفَّر عن خطئه بالاعتذار إليه أمام الجميع. عادوا فأكدوا أن ما حدث شيء لا يمكن غفرانه، وأن أثره لا يُمكن محوه بكلمة اعتذار أو بقبلة على الرأس.



في المساء كان بسيوني أفندي ما يزال على اكتئابه، وهو وإن اضطر لتناول لقيمات تحت إلحاح الزوجة والأبناء، إلا أنه ظل يتناوب شرب القهوة والدخان، وأن أحداً لم يستطع أن يقترب من دائرة شروده أو يخترق صمته. بل ظل كما دخل البيت منذ الأمس غائباً حزيناً، يجتر آلامه ويحاور نفسه، ولما حاولت الزوجة أن تقتحم سكينته، صرخ بها ناهياً فآثرت البعد، ولجأت إلى أبنائها تشاورهم في الأمر حزينة.

نام الأبناء جميعاً، والأم إلى جوارهم. اضطرت لذلك مرغمة بعد أن طلب إليها زوجها أن تتركه الليلة وشأنه، في النزع الأخير من الليل، وبعد أن فشلت كل محاولاته للهروب من نفسه، غادر غرفة نومه متجهاً إلى البلكونة، يعب من الهواء الطلق بعد أن ضاق صدره حتى كاد يخنقه. بعون السكينة والهدوء استطاع أن يتلمس طريق الخلاص. غداً سيذهب لتقديم استقالته، صرخ صوت بداخله:

والزوجة والأبناء ، من أين سيأكلون ؟ كان مؤذن الجامع ينادي لصلاة الفجر ، همس بإيمان : الخالق هو الرازق وليست الوزارة .

صباح اليوم الثالث تهيأ للخروج إلى عمله بعد تغيبه بالأمس . دلف إلى غرفته . حمل الاستقالة . قبل أن يخرج عاود قراءتها . أحس أنه لن يستطيع الدخول ثانية إلى مكتبه ولا مواجهة زملائه ، بل إن قدميه لن تستطيعا حمله عبر نفس الطريق .

عدل عن رأيه . وضع الاستقالة في ظرف . خرج من غرفته . نادى على أحد أبنائه . طلب إليه حمل الظرف إلى زميل له في العمل . سأله أن يبلغه رجاءه بتقديم الظرف إلى رئيسهم . تعلل لابنه بتعكر مزاجه وأنه يطلب إجازة مرضية .

عاد إلى غرفته ، واستلق على سريره (سيكون أول أمس آخر عهدي بالعمل . لن تطأ قدماي المكتب بعد اليوم ، ولن ترى عيناي وجه ذلك الشاب . لن أتواجد ثانية في مكان أهنت فيه . بعد خمسة عشر عاماً من الإخلاص ، وحسن التعامل ، تكون مكافأتي صفعة ، ومِن مَن ؟ من فتى بعمر ابني . في أي زمن نحن يا رب ؟ كيف تجرأ هذا الشاب ومد يده عليَّ ؟ وماذا بقي بعد ذلك ؟ لست حزيناً لأني صُفعت ، حزني أكبر من ذلك بكثير ، حزن لا يفهمه أحد . إني حزين لما انتهت إليه الدنيا . إن كان ذلك حالنا اليوم ،

فكيف سيكون بالغد ؟ وكيف سأطمئن على أبنائي وبناتي ؟ الكهل يُصفع من فتى ، فماذا سيُفعل ببناتنا الضعاف غداً ؟ وكيف سأرقد في قبري مطمئناً ،

وقد تركت ورائي أبناء بأثواب العصر وقيم السلف ؟ كيف سيواجهون الحياة وقد علمتهم لغة غير لغة الساعة ؟) .

في المساء ، وتحت ضغط الزوجة والأبناء اضطر لمقابلة زملائه ، الذين انتظروا طويلاً في غرفة الاستقبال ، قبل أن يقتنع بالخروج إليهم . فوجئ بجمع كبير من الزملاء ، يتصدرهم رئيسه . استهلوا الكلام بأحاديث متناثرة ، ثم ما لبثوا أن تسللوا باستحياء إلى موضوع الاستقالة . عادوا يعتذرون كل على حدة . ختم رئيسهم الكلام باعتذار ناب عن الجميع . تبددت الغمامة عن جو الأصحاب . طلب أحدهم مشروباً تعبيراً عن لحظة الصفاء . وعد آخر بتوزيع كؤوس الشراب بنفسه على الزملاء في العمل غداً . أردف الرئيس بأن المشروب سيكون على حسابه ، وأنه سيُجلس (بسيوني أفندي) غداً عريساً في مكتبه ولن يكلفه بأي عمل . تمتم بسيوني أفندي معتذراً عن عدم عودته للعمل ، مضيفاً أن زيارتهم على العين والرأس ، لكنه مصر على الاستقالة . إستاء الرئيس وأقسم على أنه إذا أصر على الاستقالة فسيوقع أقصى العقوبات على الشاب وينقله إلى جنوب البلاد . لم يملك بسيوني أفندي إزاء إلحاح الجميع ورجائهم إلا الامتثال لرغبتهم . وعدهم بالعدول عن الاستقالة والعودة إلى العمل صبيحة الغد .



كان بدء الحادثة مجرد اعتراض ، ثم ما لبث الطرفان بعدها أن انفعلا . احتدم النقاش . توترت الأعصاب . ظل الكهل يتحدث من حصن المهابة والوقار ، لكن الفتى انطلق بحمية النزق ، ليتخطى الحدود . تهاوت حواجز العرف في عينيه . تقدم من الكهل ، ثم لا يدري كيف وبلحظة غفلة من نفسه ومنه ومن الحاضرين ، رفع يده وصفع الكهل . أعقب رنين الصفعة صمت مطبق . ذهل الجميع . ترنح

ترقية



الكهل من عنف الضربة . كاد يهوي فتماسك ، ثم تهالك على كرسيه . كانت عيناه ذاهلتين ، والشاب يحملق بذهول ، ووجوه الآخرين تتلاقى في نظرات خاطفة غير مصدقة . مضى وقت طويل قبل أن يفيق الجميع . أحاطوا به وهو ما زال في الممر . استوقفوه . اعتذروا له . قبّلوه . لم يتكلم . ظل صامتاً . أُدخل إلى حجرة مجاورة . جاؤوا بالشاب . اعتذر له . انحنى عليه . قبّل رأسه . عاود اعتذاره . ظل صامتاً . لم يتكلم . نهض وخرج من الحجرة . مشى في الممر . تحدث زملاؤه إليه كثيراً ، لكنه لم ينبس بكلمة ، وخرج من المبنى . حين عاوده رنين الصفعة ، شرقت عيناه بالدمع . فاض . انسرب على الخدين .

برّ بوعده على كره . اتخذ مكانه المعتاد وراء مكتبه وسط حفاوة الزملاء . ظل برغم مداعباتهم ومحاولاتهم إدخال البهجة إلى نفسه مكتئباً ضائقاً . لم تستطع أحلى النكات أن تنتزع منه ابتسامة . انفضوا عنه وتراجعوا عن مزاحهم محترمين صمته .

دخل الرئيس فجأة إليهم . نهض الجميع لاستقباله . اتجه إلى بسيوني أفندي . شد على يده مهنئاً . قال إن المدير استدعاه وكلفه إبلاغه بخبر ترقيته ، وإن عليه الساعة أن يذهب لتسلم القرار منه .

نهض من مقعده دون أن تتحرك فيه خلجة . اتجه بصحبة رئيسه إلى مكتب المدير . دخل في هذه الأثناء (شاهر) . أخذ مكانه وراء مكتبه المقابل لمكتب زميله بسيوني أفندي . توقع الجميع أن يعود بسيوني أفندي مبتهجاً وقد ذهب عنه حزنه بعد الترقية . أسفوا لافتقادهم إياه بعد سني الصحبة المتصلة برغم ابتهاجهم بترقيته . عاود شاهر أسفه لما حدث منه ، وعاد يبرر فعلته . طلبوا إليه أن يسارع بتهنئته حال عودته . أكد لهم استعداده وسعادته بهذا التكليف .

انفتح الباب ودخل بسيوني أفندي . فوجئ باستقبالهم إياه مصفقين . تمتم شاكراً دون أن يرفع رأسه ، أو ينظر إلى أحد . توجه إلى مكتبه . صار لصقه . تقدم الجميع لتهنئته مصافحة . عاود شكرهم دون أن يرفع رأسه أو ينظر إلى أحد . جلس على كرسيه . ساد صمت . تلاقت الوجوه حيرى ، تتأمله في أسى . تهامسوا فيما بينهم . أشاروا لشاهر أن يهنئه ، فانسرب صوته خفيضاً يهنئ الكهل . رفع الرجل رأسه بثقل . نظر إلى الشاب . عاد بظهره إلى الوراء . ظل كذلك من غير أن يتكلم ، حبس الجميع أنفاسهم يترقبون رد الفعل . هل سيؤنبه فينفثئ بذلك غضبه المكتوم؟! أم سيبتسم ويكون ذلك بداية عهد جديد؟ طال انتظارهم ،

وطالت حملقة الكهل بالشاب . نادى أحد الزملاء عليه . لم يرد .

غادر الزميل مكانه . تقدم من بسيوني أفندي . عاود نداءه له . لم ينبس ولم يطرف . ظل يحملق في وجه الشاب . مد يده إلى كتفه . لمسه . انكفأ الجذع المتخشب على وجه المكتب .

عاود إرجاعه إلى حضن الكرسي فاعتدل ، لكن عينيه ظلتا تحملقان في وجه الفتى ، وإلى الأبد .

قصة قصيرة

بقلم : عبد العزيز الشناوي

الركض خلف لاشيء !



طرد تنهيدة تكثفت في صدره . دبيب حارق يمتد ببطء من أعماقي ؟ يصعد باتجاه الحلق ؟ أخشى أن تلمح زوجتي بريق عيني . لقد نصحتني مراراً :

ـ الحياة مستورة والحمد لله . لا داعي لأن نؤجر حجرتين في دارنا لرجل غريب .

ـ لماذا أرفس نعمة جاءت تطرق بابي ؟ .

سحب جسده من تحت اللحاف . عبر الصالة . فتح الباب . العتمة غليظة . عيناي تضويان . تلقيان بما في أعماقي ؟ . الجرح عميق .

ضلوعي تضج بالحزن والغضب . والأسى . أأسرع إلى الجالسين في المقهى .. أصرخ في وجوههم :

« ألا تستطيعون لعب الطاولة . الدومينو . الكوتشينة . في هدوء ؟ » .

لا داعي لأن أزعق . أتوسل إليهم . ماذا قلت ؟ أتوسل ؟ لماذا ؟ داري .. وأقبل

الأيدي ؟ . لم تعد دارك . لقد أجرت حجرتين **لسامي** . في البداية اتخذهما دكانين باع فيهما التفاح ، العطور ، أدوات الزينة . ثم حوّل إحداهما إلى مقهى . لم أعد أرى واحداً من أولادي يقرأ كتاباً .

ـ كيف تنجح آخر العام دون أن . . . ؟ .

ـ كيف أذاكر وسط هذا المولد ؟ .

مولد ؟ لم تعد عيناي تكتحل بالنوم قبل الفجر .

سحب الباب خلفه بهدوء . كانت الحجرتان مفتوحتين كالقبرين . قلت لنفسي : **أأتركهما يا فهيم بلا أبواب . شبابيك ؟ . . خرابة . . تمرح فيهما القطط والكلاب ؟ .**

حين عرض علي **سامي** مائتي جنيه وأخبرني أنه سيصنع لهما الأبواب والنوافذ . . أعلنت موافقتي وكتبت له عقداً .

كانتا مهجورتين . لكنهما هادئتان . **سامي** يلقي إليَّ في ذيل كل شهر خمسة عشر جنيهاً . يدخل جيبه أكثر من مائة وتسعين جنيهاً ؟ **هو يرتفع . أنا وأسرتي نهبط ؟ .**

سار بجوار الحائط . أحس به يهتز . **ما هذا الدق ؟ ماذا يفعل سامي الآن ؟** أول أمس أخبرني أنه سينقب الحائط . ويضع مكيفاً . الدار آيلة للسقوط . منذ سنوات أصابها النشع . الماء يتدفق من الأرض . . نافورة . . كلما نزحناه . يطفو . لا يمر عام دون أن أرمم الجدران بالأسمنت والرمل . العام قبل الماضي . . أحضر **سامي** عربات بها رمل ، أسمنت ، جير .

ـ ماذا تنوي ؟ .

ـ سأحول الدكان إلى ملهى .

ـ كيف ؟ .

ـ مجرد تغيير ديكور .

ـ ألا تعلم أن . . . ؟ .

ـ لا تحمل الأشياء أكثر مما تحتمل .

ـ ماذا أقول لزوجتي وأولادي وأهل القرية ؟ .

ـ أنتم تضخمون الأمور .

خنق رعشة سرت في فكيه . شيء يتآكل تحت جلدي . في شراييني . كان مزاجي أربعة وعشرين قيراطاً . لقمة من الموجود . أي شيء يسد الرمق . أنعم بالراحة . لا يحس الإنسان بالنعمة إلا بعد أن يفقدها ؟ يعود . يبحث عنها ؟ . كانت مستورة . لم تمتد يدك إلى أحد في القرية . الآن بحبحتها . . شاي ، قهوة ، سجائر يرسلها إليك **سامي** . عرفت طريق الصيدلية . أصبحت أسرتك تتناول الأقراص المهدئة للأعصاب . . . .

ذات يوم قالت لي زوجتي :

ـ كيف يدخل أناس غرباء دارنا ؟ أصبحت دورة المياه كالمرحاض العام .

ـ أجرنا الحجرتين . باب رزق . شرفك من شرفي .

تطلع إلى السماء . السحب السوداء تتكاثف . تطمر وجه القمر . تكثر أحلام الإنسان عندما ينظر إلى القمر . لم يعد قلقي . خوفي . خيبة أملي في الإمكان أن أخفيها الآن . . ؟ .

ـ ربان السفينة لا يدرك الخطر إلا بعد فوات الأوان .

عبد العال لا يكف عن تكرار هذه العبارة . ليتني سمعت مشورته :

ـ اعقل يا فهيم . لا تجعل قدميك عند طرفي الأفق . لا تفرح بقروش يدفعها إليك سامي . ستملأ الضوضاء دارك .

جاءه صوت **رمضان** :

ـ مساء الخير يا فهيم . . كيف حالك ؟ .

ـ ليس على ما يرام .

نطق لساني بهذه العبارة . . حقاً ؟ سمعها رمضان ؟ أدرك معناها ؟ ما يحمله باطنها ؟ قبل أن أكتب عقداً لسامي . جلست على مصطبة **رمضان** :

ـ اسمع نصيحتي يا فهيم . لا تدع سامي يضحك على ذقنك . . غداً ستصبح دارك سداح مداح .

ـ أنا أعرف موضع قدمي .

لماذا ركبت رأسي ؟ إنني لا أخشى شيئاً الآن سوى فضيحتي أمام أهل القرية . . ؟ تكاثر الهمس حولك في الأيام الأخيرة . ماذا سيقول **رمضان** بعد أن باحت أعماقك بصديد القرف و . . ؟ :

« قال لي فهيم : حالي ليس على ما يرام . اعتراف صريح . . ليته سمع كلامنا » .

ازدادت الجدران ارتعاشاً تحت ضربات **سامي** . عاوده شعور غريب . أأصدقه ؟ لم لا ؟ كثيراً ما صدق قلبي . لو سقط الجدار . تهدمت الدار . . ؟ أين أقيم أنا وأولادي وزوجتي ؟ المصيبة أكبر من أن أخفيها في صدري . كل يوم تكبر .



تتضخم . إذا كنت قد نجحت في إخفائها طوال تلك السنوات الماضية ، فسوف تعلن عن نفسها عندما تصبح داري كومة من الرماد ؟ . ألا أجد أحداً من أصدقائي أبثه قلقي وخوفي و . . ؟ ماذا أقول له ؟ أجرت حجرتين **لسامي** في داري لكي أعيش في بحبوحة . يملأ القمح والأرز والذرة حجرة المعاش . لكن السوس . الفيران لا تجد ما ترتع فيه الآن . . ؟ الكارثة تطل من بين ضلوعي . تريد أن تفضح أمري ؟ أعلن عنها لساني منذ قليل لرمضان . . . .

نبح كلب ضال . كان كلبي ينبح في وجه كل غريب . أطلق عليه **سامي** رصاصة :

– كيف تقتل كلبي ؟ .

– من أين أسدد إيجار الحجرتين . . إذا منع كلبك الزبائن عن المقهى والملهى ؟ .

احتوى رأسه بين يديه . أراد أن يخنق الصداع ؟ .

– مساء الخير يا فهيم .

المساء . . يذكرني بمرور الأيام . كنت أهمس لنفسي : إيجار حجرتين يضع في جيبي خمسة عشر جنيهاً . تتحسن الأحوال . المأكل ، الملبس ، و . . **لكن من الذي ألقى علىَّ تحية المساء ؟ لماذا لم يلق علىَّ السلام ؟ .**

لمح **حسين** يدلف من باب الملهى . هو الذي ألقى تحية المساء ؟ بعد أن حوَّل **سامي** الدكان إلى ملهى قلت له :

– حسين . . حوَّل سامي الحجرتين اللتين أجرتها له دكانين إلى مقهى وملهى . يسمي هذا التغيير ديكوراً . لا أخفي عليك ، هذا الأمر يقلقني . الدار دخلها كل من هب ودب .

– لا تخف . سوف يؤنسك وجوده وتعيشان سمناً على عسل . ألا يدفع لك إيجاراً ؟ .

– نعم .

– قريباً سيصبح بينكما انسجام .

جلجلت ضحكة حسين في جوف الملهى :

– سامي من أصحاب الملايين . أعطى ابنتي خمسة جنيهات . في استطاعته أن يشتري القرية بأكملها . . ابنتي طلبت مني الشهر الماضي فستاناً يظهر من جسدها أكثر مما يخفي ؟ كيف تترك الجلباب الحشمة و . . ؟ أخشى أن تشتري بالجنيهات الخمس التي قدمها إليها سامي باروكة . كيف تستبدل بشعرها الطويل الذي بلون سنابل القمح باروكة . . ؟ قدوم سامي وأقاربه إلى قريتنا أفسدوا علينا كل شيء . . حتى ملابسنا . . . .

دوى صوت انهيار . **ماذا حدث ؟** انهار الجدار تحت طرقات سامي ؟ .

أسرع نحو الملهى . ضحك **سامي** :

– لا تنزعج يا فهيم . سقط قالبان من الطوب . لم يبق إلا القليل . وانتهي من نقب الجدار . ثم أضع مكيف الهواء .

أصبح يخيفني عمق زرقة عينيه . تغرس في صدري أشواك القلق . . أخيراً جلب إلى الملهى شراباً محرماً أسرعت إليه :

– ألا تجد سوى هذا الشراب المحرم ؟ .

– لم أغير حرفاً ولا نصاً من نصوص العقد المبرم بيننا .

– كيف ؟ .

– اتفقنا على إيجار دكانين ولم نتفق على نوع البضاعة التي ستباع فيهما . . أليس كذلك ؟ .

عاد يقلب أفكاره المضطربة . ما زالت متوثبة . لماذا لا أطبق عليها جدران رأسي و . . ؟ ما الذي يجعلني مهموماً قلقاً إلى هذا الحد ؟ ألم يقل لي **سامي** لا تنزعج ؟ لكن لم أشعر بالخوف كما أشعر به الآن . أريد أحداً أهمس في أذنه بمخاوفي . إلى متى سأظل صامتاً ؟ لماذا لا ألجأ إلى أقرب الناس إليَّ . . **زوجتي ؟ :**

« ما الذي يحيرك ؟ » .

« على طرف لساني كلمات لكن يستحي الشكوى » .

« أخيراً اعترفت أنك . . ؟ » .

« ليتني سمعت مشورتك ولم أؤجر الحجرتين لسامي » .

ارتجفت الأرض . ارتفعت أعمدة من الغبار . لطم أذنيه صراخ زوجته :

– سقط سقف الدار .

من كتب التراث

المفضل الضبي وكتابه المفضليات

بقلم: د. كامل السوافيري

المفضليات هي القصائد التي اختارها المفضل الضبي لإبراهيم بن عبد الله بن الحسن الهاشمي الذي خرج على الخليفة أبي جعفر المنصور في البصرة، أو للمهدي أخي المنصور، وإليه نسبت واسمه المفضل بن محمد بن يعلي الضبي الكوفي اللغوي، أفاضت كتب التراجم في الحديث عنه، وعن درايته بالشعر، وروايته له، والثقة به وبروايته، والإقرار له بالفضل.

ومن الذين ترجموا لحياته: **الذهبي** في تاريخ الإسلام وميزان الاعتدال، **والخطيب البغدادي** في تاريخ بغداد، **والسمعاني** في الأنساب، **وياقوت الحموي** في معجم الأدباء، **والسيوطي** في بغية الوعاة، **والقفطي** في إنباه الرواة، حيث قال عنه: **إنه روى عن عاصم بن أبي النجود القراءات والحديث، وروى عنه علي بن حمزة الكسائي، ويحيى بن زياد الفراء وغيرهم.**

كان علّامة راوية للأدب والأخبار وأيام العرب موثقاً في روايته، قدم **بغداد** في أيام الخليفة العباسي **هارون الرشيد**، كما قدم البصرة أيضاً.

وقال عنه **محمد بن سلام الجمحي** صاحب كتاب طبقات فحول الشعراء: **«أعلم من ورد علينا بالشعر، وأصدقه من غير أهل البصرة: المفضل بن محمد الضبي الكوفي».**

وله من الكتب التي صنفها: كتاب الأمثال، وكتاب العروض، وكتاب معاني الشعر.

وقد قيل له: لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به؟ فقال: علمي به يمنعني من قوله، وأنشد عقب هذا القول:

أبى الشعر إلا أن يفيء رديئه
عَلَيَّ ويأبى منه ما كان محكما
فياليتني إذ لم أجِدْ حوك وَشْيه
ولم أك من فُرسانه كنت مفحما

ولم يستطع الذين ترجموا له أن يجزموا بتحديد زمن مولده وزمن وفاته ولكنهم قالوا: إن أغلب ظنهم بأن مولده كان في العقد الأول من القرن الثاني الهجري، وأن وفاته كانت في العقد الثامن من القرن نفسه دون أن يحددوا سنة معينة، وشهراً معيناً.

شراح المفضليات وطبعاتها

حظيت المفضليات بعناية الدارسين والباحثين الذين حققوا عدد قصائدها الأصلية التي اختارها المفضل، وما زيد عليها من قصائد للأصمعي. كما حققوا عدد أبيات كل قصيدة من قصائدها، وما تعرضت له هذه القصائد على أيدي الرواة من زيادة ونقص بعد وفاة المفضل والأصمعي.

وكان أول من شرحها **ابن الأنباري** المتوفى سنة ٣٠٥ هـ، وتلاه **أبو جعفر** النحوي المعروف **بابن النحاس** المتوفى سنة ٣٢٨ هـ، **فالمرزوقي** المتوفى سنة ٤٢١ هـ، ثم **التبريزي** المتوفى سنة ٥٠٢ هـ، **فالميداني** المتوفى سنة ٥١٥ هـ.

وطبعت المفضليات أول مرة في **ليبزيج** سنة ١٨٨٥ م، حيث أخرج المستشرق **نوريكة** الجزء الأول منها، وطبعت للمرة الثانية طبعة كاملة في **مصر** سنة ١٣٢٤ هـ، في جزءين، وصححها وعلّق عليها الأستاذ **أبو بكر الداغستاني** المدني، وطبع المستشرق **ليال** شرح الأنباري في بيروت سنة ١٩٢٠ م، ثم طبعها الأستاذ **حسن السندوبي** في مصر سنة ١٣٤٥ هـ، وأخيراً طبعتها دار المعارف في مصر طبعتين الأولى سنة ١٩٤٢ م، والثانية سنة ١٩٥٢ م.

وفي هاتين الطبعتين حقق المفضليات وشرحها العالمان الجليلان **أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون**، وعن الطبعة

المفضل الضبي وكتابه المفضليات

الثانية التي رجعنا إليها نكتب هذه الكلمة ونحن نلقي بعض الأضواء على المفضليات .

لقد كتب المحققان لهذه الطبعة مقدمة مستفيضة استوعبت سبع عشرة صفحة ، ومما قرراه فيها الحقائق العلمية التالية :

١ ـ أن المفضليات أقدم مجموعة شعرية صنعت في اختيار الشعر العربي ، إذ كان الرواة قبلها يصنعون أشعار القبائل .

٢ ـ لا يعلم المحققان أحداً قبل المفضل أقدم على أن يصنع للناس اختياراً من الشعر .

٣ ـ لم يؤثر عن العرب شيء من الاختيار إلا ما يروى عن تنازعهم على أفخر بيت للعرب وأهجاه ، وأغزله ومن مجادلتهم في أشعر الشعراء ، وأجودهم قولا ، وإلا ما يروى من اختيار العرب في جاهليتهم للمعلقات .

٤ ـ ظهر بعد المفضليات من كتب الاختيار :

أولا ـ الأصمعيات : لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي .

ثانياً ـ جمهرة أشعار العرب : لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي .

ثالثاً ـ مختارات شعراء العرب : لأبي السعادات ابن الشجري .

٥ ـ وهناك ضرب آخر من كتب اختيار الشعر بدأه **أبو تمام** بديوان الحماسة ، وجرى فيه على تبويب معاني الاختيار ، وحذا حذوه أبو عبادة **البحتري ، والخالديان ، وابن الشجري ، وأبو هلال العسكري ، والأعلم الشنتمري** في حماساتهم .

وهذه الحقائق التي قرراها ، لا يكاد يوجد خلاف عليها بين مؤرخي الأدب ، ورواة الشعر .

عملية الاختيار .. كيف تمت ؟

اختلف شراح المفضليات ومحققوها في عدد قصائدها أولا ، وفي عدد أبيات كل قصيدة ثانياً . وقد ذهب المحققان في مقدمتها للطبعة الثانية السالفة الذكر إلى أن المفضليات مكونة من مائة وستة وعشرين قصيدة ، شرحها أبو محمد الأنباري ، وأضيفت إليها أربع قصائد ألحقت بها ، ووجدت في بعض النسخ ،

فأصبحت مائة وثلاثين قصيدة أصدر المحققان حكمها الجازم على أنها ليست كلها من اختيار المفضل ، وأكدا أن المفضل لم يخرج كل هذه القصائد ، لأن كثيراً منها أدخل في أثنائها من بعده .

كما أكدا أيضاً أن أصلها السبعون قصيدة التي اختارها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن الهاشمي ، والتي يقول المفضل فيها : « صدرت بها اختيار الشعراء ، ثم أتممت عليها باقي الكتاب » ، وأنه زادها بعد ذلك عشر قصائدة حين تقدم إليه المنصور في اختيار قصائد للمهدي ، فصارت ثمانين قصيدة هي أصل الكتاب عن المفضل لم يتجاوزها . ثم قرئت على الأصمعي فأقرها وزادها قصائد ، وزاد في بعض قصائدها أبياتاً ، واختار قصائد أخرى ، ثم جاء قوم بعد الأصمعي وزادوا في القصائد ـ الأصلية والمزيدة ـ أبياتاً دخلت في روايتي المفضل والأصمعي حتى اختلطت كلها ، وأصبح من العسير أن يجزم جازم بما كان أصلاً ، وما كان مزيداً .

اختار المفضل قصائده لطائفة من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين يزيد عددهم على ستين شاعراً ، فاختار من العصر الجاهلي للشعراء الحصين بن حمام المري ، والمسيب بن علس ، والشنفرى الأزدي ، والحارث بن حلزة اليشكري صاحب المعلقة المشهورة ، وذي الإصبع العدواني ، وعبد يغوث بن وقاص الحارثي ، وعبد قيس بن خفاف ، وعلقمة بن عبدة ، والمثقب العبدي وغيرهم .

واختار من المخضرمين للشعراء : المخبل السعدي ، وسويد بن أبي كاهل اليشكري ، وعبدة بن الطبيب ، ومزرد بن ضرار الذبياني وغيرهم .

واختار من الإسلاميين للشعراء : متمم بن نويرة ، والمرار بن منقذ ، وشبيب بن البرصاء ، وربيعة بن مقروم الضبي وغيرهم .

وقد تناول الشعراء في هذه القصائد الأغراض الشعرية المختلفة من فخر وحماسة ، ومدح وغزل ، ووصف وقائع وحروب ، ونظرات ثاقبة في الحياة والناس ، ووصف للمعارك وحكم نابعة من تجاربهم وخبراتهم في الحياة والناس ، وبكاء للأبناء والأزواج والأحباب .

وهنا نرى لزاماً علينا أن نقرر أن المفضليات من أجود قصائد الشعر العربي بكل

مقاييس النقد القديمة والحديثة ، وأن من نافلة القول أن نصفها بنصاعة الأسلوب ، وإشراق البيان ، وسمو الأداء ، وأن نقول عنها إنها في الذروة من الفصاحة والبلاغة ، وإنها نابعة من قلوب قائليها ، صادقة كل الصدق في تصوير خلجات نفوسهم ، وهمسات قلوبهم .

وإن وصفنا لها بالجودة والقوة لا يضيف جديداً ، فقد تناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل ، ووعتها القلوب ، وتغنت بها الركبان . ورحم الله أبا الطيب **المتنبي** حين قال :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي
إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمراً
وغنى به من لا يغني مغردا

جهود المحققين

ولا نستطيع في نهاية عرضنا الموجز للمفضليات وشرحها وتحقيقها أن نغفل الجهد العلمي الضخم الذي بذله المحققان الفاضلان الأستاذان **أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون** اللذان يستحقان عليه منا ومن كل دارس منصف أصدق الشكر وأعظم التقدير ، حيث كانا يترجمان لحياة كل شاعر من الشعراء الذين اختار المفضل قصائدهم ، ترجمة موجزة وافية بالغرض تقدم صورة لحياته ، ويذكران المصادر التي رجعا إليها ، ويتحدثان عن الجو الذي قيلت فيه كل قصيدة ، فيذكران السبب الذي دفع الشاعر للقول ، والحدث أو الأحداث والوقائع التي أوحت بها ثانياً .

وبعد الترجمة للشاعر وحياته ، والحديث عن الجو الذي قيلت فيه القصيدة يخرجانها تخريجاً علمياً ثالثاً ، حيث يذكران المصادر التي وردت فيها أبيات القصيدة ، وقد يفردان كل بيت ويردانه إلى مصادره التي أوردته ، وكثيراً ما يتطلب ذلك منها ذكر عشرات المصادر والمراجع ، وينقلان آراء النقّاد والدارسين فيها ، وفي بعض أبياتها .

وبعد أن ينتهي المحققان من الترجمة للشاعر والتحدث عن الجو الذي قيلت فيه القصيدة ، وتخريج أبياتها بسرد مصادرها ومراجعها المختلفة ، ونقل بعض آراء النقّاد فيها ، يبدآن في شرح الألفاظ الصعبة في كل بيت ، ويتناول الشرح أولا صحة بناء الكلمة وضبطها من ناحية قواعد النحو وضوابط الإعراب ، وفي كثير من الأحيان لا يقف المحققان عند شرح معاني المفردات ، وإنما يوضحان المعنى المقصود من البيت في لغة لا تستغلق على الفهم ، ولا تتأبى على الدارس ، ويظهران اهتماماً كبيراً بضبط الأعلام وتحديد الأماكن .

وبعد ، فلعلنا بعد هذا العرض الموجز للمفضليات ومؤلفها المفضل الضبي ، قد ألقينا بعض الأضواء الكاشفة على تلك القصائد ، وسمو مكانتها من الناحية الفنية في شعرنا العربي . وأدينا للمحققين الجليلين بعض ما يستحقان من شكر ، لما قدما للغة القرآن الكريم ولتراثنا الشعري من غرر بيض تذكر فتُشكر .

المدينة التي ...!!

شعر: أحمد مرتضى عبده



في عُطلةِ الضياءِ نرتدي مدينةً من التعبْ
ونُحتــوى
من أجل مـاءِ الوجـهِ
والـهـــوى . . .
لكنه السقوطْ . . . !!

● ● ●

في عُطلةِ الضياءِ يستقيمُ موعدٌ مع الأسى ،
لزوجةٌ تبيضُ في جلودنا العَرَقْ
وخطوةٌ تموتُ بالوراءْ . . .
في عُطلةِ الضياءِ . . . لا أَحَدْ
يُسـاوِرُ الغـنـاءْ . . . !!

● ● ●

«كأنَّـها مدينةُ الديسكو»
تُشَقُّ شارعاً من النساءِ والمللْ
كأنها تفارغٌ للقحطِ في الصدى ،
تآكلٌ يُذيبُ في اعتصارهِ البيوتْ ،
تناغـمٌ يَسِفُ من أسِفْ
ويَتْفُلُ القصائدَ التي
بالـمـوت تعـتـرفْ
كأنها مدينةُ القبول والسقوطْ
تجيفُ . . بالـمُواءِ والذبابِ والبناتْ
كأنها مدينةٌ . . مُدَانةُ الأمل
وبضعةٌ يقومُ في سريرها المللْ . . .

الحضارات القديمة

أ

الأشولية ، الحضارة :

من أقدم الحضارات الباليوليثية ، والموقع النموذجي الذي استمدت اسمها منه هو **كهف سانت أشيل** بشمال **فرنسا** ، وقد بدأت الحضارة الأشولية في **أوروبا** ، وإن وجدت بقايا ضئيلة لها في **بريطانيا** ، وفي كل أجزاء **إفريقيا** تقريباً ، وفي جنوب **الهند** والشرق الأدنى ، والغالبية العظمى من أدوات الإنسان الأشولي وجدت بالقرب من الأنهار والبحيرات ، مما يدل على أن أسلوبه في الحياة كان مرتبطاً بمواطن المياه .

ب

باليوليثي (حجري قديم) :

هو الاسم الذي أطلق على الحضارات القديمة التي قامت في حقبة **البلايستوسين** ، وهو ينقسم إلى أعلى وأوسط وأسفل ، نسبة إلى المشغولات المصنوعة في كل من هذه العصور ، وعلى ذلك فإن الباليوليثي الأسفل هو الأقدم ، ويؤرخ له من حوالي ٦٠٠,٠٠٠ سنة ق . م . وقد شهد الإنسان القديم . . إنسان **هيدلبرج** وإنسان **جاوه** وإنسان **بكين** ، والباليوليثي الأعلى بدأ منذ حوالي ٧٥,٠٠٠ إلى ١٠٠,٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، وشاهد ظهور الإنسان الحديث ، إنسان **كرومانيون** ، وإنسان **جريمالدي** .

ت

التردنواسية ، الحضارة :

وجدت هذه الحضارة القديمة في **إسبانيا وفرنسا وبلجيكا وبريطانيا وجنوب ألمانيا ووسطها وروسيا وبولندة** ، ومن المحتمل أن الذين أدخلوها إلى أوروبا هم قبائل من شمال إفريقيا . وهي تتميز باستعمال أدوات لها أشكال هندسية موحدة ، وفي بريطانيا الأدوات الهندسية التردنواسية نوعان ، مما يدل على وصول موجتين ، تضمنت الأولى شفرات صغيرة ، والثانية تضمنت أدوات حجرية ، وهذه الأدوات جميعاً كانت تركب ، كما عثر عليها في جزيرة تفيك جنوب شرقي **بريتاني** .

ث

ثولوس ، حضارة :

إحدى حضارات العصر **الميسيني** (حوالي ١٥٨٠ - ١١٠٠ ق . م) ، وقد تميزت بمقابرها الدائرية ، التي تشير إلى أقبية الدفن الضخمة ، وقد تم التنقيب عن ٥٠ مقبرة في بلاد **اليونان** حتى الآن ، وجميعها دون استثناء تقع في المنطقة الساحلية حيث ازدهرت مراكز الحضارة الميسينية .

ج

جرافيتية ، (حضارة) :

إحدى حضارات **العصر الباليوليثي** الأعلى ، وربما انحدرت من **الحضارة الشاتلبرونية** في وسط **فرنسا** ، ويظن أنها ترجع إلى المرحلة الثانية لآخر عصر جليدي ، والأدوات الحجرية المميزة لها تتألف من نصال أكثر انتظاماً في شكلها العام من الأدوات الشاتلبرونية . وقد خلف الجرافيتيون رسومات كهفية ملونة في فرنسا وهم الذين رسموا كثيراً من الصور في **كهوف لاسكو** في الدردون .

ح

حلف ، حضارة :

حضارة قديمة ترجع إلى ما قبل التاريخ ، كشف عنها في تل حلف على **نهر الخابور في** شمال **سورية** ، كما عثر على آثار أخرى في **نينوى** أسفل مباني **الإمبراطورية الآشورية** ، وأهم مميزات هذه الحضارة فخار ملون بألوان متعددة ، مصقول ومصنوع باليد ، ومزدان بأشكال حيوانية وزخارف هندسية . وقد وجدت آثار هذه الحضارة في **قيليقية وأرمينية** ، ومن ساحل البحر المتوسط عبر شمال سورية حتى أعالي دجلة .

خ

الحورية ، الحضارة :

حضارة قديمة **ترجع إلى أوائل الألف الثانية قبل الميلاد** ، وكانت قد تكونت على التخوم الشمالية لبلاد الرافدين ، واستقرت في أعالي دجلة ، وفي مملكة **منياني** ، وقد أثر الفن الحوري والحضارة الحورية على الفن والحضارة **الحثية** طوال عصر الإمبراطورية ، ومن نماذج هذا التأثير الحوري نقوش المعبد الحثي في **يازيليكايا** .

د

الدورية ، الحضارة :

حضارة قديمة ظهرت مع انهيار **الحضارة الميسينية** في نهاية **العصر البرونزي** المتأخر (حوالي ١١٠٠ ق . م) ، واستقرت في جنوب **اليونان** ، بعد ثمانين سنة من **حرب طروادة** في شبه جزيرة **البلوبونيز** ، ومنها إلى **جزيرة كريت ، وجزر رودس وخوس وكنيدوس** ، حيث زرعوا الأرض الواطئة ، وتؤلف الحضارة الدورية العصر الإغريقي المظلم (١١٠٠ ــ ٧٥٠ ق . م) ، وإن أدخلوا الأسلحة الحديدية ، والطراز الهندسي لزخرفة الفخار ، ويعكس الطراز المعمار الدوري الذي يتميَّز بالضخامة ويلائم المعابد المقامة على هضاب أو قلاع صفات الحضارة الدورية .

ذ

ذمار ، حضارة :

نسبة إلى المنطقة الأثرية **باليمن** ، التي تعد ذمار من مدنها الرئيسية ، وقد اقترن اسمها في مختلف العصور بالعلم والتجارة وتربية الخيول العربية الأصيلة ، إلى جانب ما يوجد بها من مخطوطات عربية نادرة ، وكانت فيما يقول بعض علماء الآثار حاضرة ديانة **السبئيين** القدماء باليمن ، حيث كانت الشمس تسمى « ذات بعدن » في زمن الشتاء ، و « ذات حمم » في زمن الصيف .

ر

الرافدين ، بلاد ، حضارة :

تميَّزت هذه الحضارة بصفة خاصة **بفن النحت** ، الذي برع فيه أهل بلاد الرافدين القدماء ، الذين استطاعوا أن يصوروا الأشخاص في مناظر الحركة على سطوح مستوية ، وقد وجدت مجموعة من تماثيل العصر العتيق تمثل رجالا ونساء ، **في تل أسمر** بالقرب من **بغداد** ، وفي النقش الغائر على الحجر تركت لنا عصور عديدة من تاريخ بلاد الرافدين نماذج بديعة ، ومن ذروة **الحضارة السومرية** ، حوالي ٢٥٠٠ ق . م ، توجد النقوش المشهورة على « **لوحة العقبان** » المحفوظة **بمتحف اللوفر** ، وأشهر نقوش بلاد الرافدين جميعاً هي **النقوش الآشورية** التي تنتمي إلى القرون من التاسع حتى السابع قبل الميلاد .

ز

الزيوية ، الحضارة :

نسبة إلى زيبا القديمة ، وهي مدينة مائية محصنة بالقرب من **ساكيز في أذربيجان** وقد اشتهرت بآثارها التي تشتمل على صناعات من العاج والذهب والبرونز ، ترجع إلى الفترة ما بين ٦٧٥ ــ ٦٠٠ ق . م ، وإن دلت القطع المصنوعة من العاج على أنها من الربع الأخير من القرن الثاني قبل الميلاد . وتتركز أهمية الكنوز الزيوية التي تعكس خليطاً من تأثيرات مختلفة من فنون غرب آسيا فيما تلقيه من ضوء على **الفن الميدي** .

س

السند ، وادي ، حضارة :

أصول هذه الحضارة لا تزال غير معروفة ، ومن الأرجح أن فكرة المدينة جاءت إلى السند من **أرض النهرين** التوأمين . . العراق ، ثم بسطت سلطانها على كل السند وعلى كثير من **البنجاب** وجنوباً في **جوجيرات . وأبرز إنجازات هذه الحضارة تتمثل في البناء وتخطيط المدن** ، والمدى المعروف لهذه الحضارة امتد من حوالي ٢٥٠٠ إلى ١٥٠٠ ق . م ، وأن العصر الثاني أو العظيم في هذا المدى يعاصر تقريباً **العصر السرجوني** في العراق ، ويمتد من ٢٣٥٠ إلى ٢١٠٠ ق . م ، وأن الأساس الذي اعتمد عليه اقتصاد حضارة وادي السند كان زراعياً .

ش

شاتلبرونية ، حضارة :

هي أول حلقة من سلسلة حضارات **العصر الباليوليثي**الأعلى ، أي تلك الحضارات النشطة بين آخر **عصر جليدي** ونهاية **عصر البلوستوسين** منذ حوالي ٢٠٠٠٠ سنة ، التي اعتمدت أساساً على

إنتاج النصال ، وهي شطف طويلة ضيقة ذات جوانب متوازية ، وقد أنتجت هذه الحضارة التي كان **مركزها وسط فرنسا** ، نصالا عريضة نسبياً ، استعملت كسكاكين ، ونصالا أصغر حجماً ربما استعملت سهاماً أو رؤوس حراب ، ومكاشط ، وأزاميل حفر ، لتشكيل قرون الوعل والعظم .

ص

صور ، حضارة :

نسبة إلى مدينة الفينيقيين القدماء المشهورة ، وكانت تقع على جبل داخل في البحر يقوم فوق ما هو الآن **الساحل اللبناني** ، وتعتمد شهرتها على قوتها كميناء بحري ، وقد ازدهرت تحت حماية **مصر** إبان الأسرة الثامنة عشرة ، ثم تحت حكم **السلوقيين** والرومان . أنشئت فيها أبرشية ضخمة في العصور المسيحية ، إلا أن أطلال المدينة نهبت بعد ذلك ودفنت تحت الرمال والبحر . وقد كانت النقود الصورية منتشرة في منطقة واسعة منذ القرن الخامس قبل الميلاد .

ط

طيبة ، حضارة :

نسبة إلى طيبة عاصمة **مصر** العليا منذ الأسرة الحادية عشرة ، وفي العصور القديمة كانت **تقع المدينة على الضفة الشرقية للنيل** بينما تقع الجبانة على الضفة الغربية ، والجزء الأساسي من البلد المحيط **بمعبد الكرنك** يرجع إلى عصور ما قبل التاريخ ، وتعكس مقابر ذلك العصر ، حضارة طيبة ومجدها الفني والمعماري ، ولا تزال توجد بها أعظم مجموعة من الأطلال الأثرية في العالم ، وإلى جانب مقابر الملوك والأمراء ، توجد بها حتى الآن مقابر الأفراد التي صورت على جدرانها حياة قدماء المصريين .

ظ

ظفار ، حضارة :

نسبة إلى المنطقة الأثرية القديمة الموجودة باليمن ، على مقربة من بلدة «**يريم**» التي كانت عاصمة **لدولة حمير** في القرون الأولى من العصر المسيحي ، وقد تم العثور فيها على كثير من الآثار الهامة التي تسربت إلى خارج اليمن ، كما استخدم الناس كثيراً من أحجارها في تشييد الدور في كل من يريم **وذمار** .

ع

العين ، حضارة :

نسبة إلى **عين حنش** في عصر ما قبل التاريخ ، وكانت تقع في منخفض البحيرات القديمة الكائنة بجوار **سانت أرنولد** بالقرب من **سطيف** في مقاطعة قسنطينة الجزائرية في شمال إفريقيا . وقد اكتشف فيها عظام حيوانات منقرضة من فصيلة الحيوانات الخرطومية (فصيلة الفيل) وفصيلة الخيل الثلاثية الظلف (فصيلة الحصان) من النوع المميز **للعصر الفيلك فرانشي** . كما وجدت بها أدوات بالغة القدم ، تدل على أن الإنسان كان موجوداً في شمال إفريقيا في بداية **العصر الرباعي** .

ف

الفريجية ، الحضارة :

نسبة إلى **الفريجيين** الذين ذكرهم الإغريق ، والذين أعطوا اسمهم لمنطقة الوسط الغربي من **آسيا الصغرى** إلى الشرق من **ليديا** ، وهم **شعوب الموشكي**المذكورين في النقوش الآشورية . وحول ١٠٠٠ ق . م ، كانوا قد توطدوا في **هضبة الأناضول** كخلفاء رئيسيين **للحثيين** واتخذوا عاصمتهم في **جورديون** على **نهر سنجاريوس** . وكانت الحضارة الفريجية تعتمد على محاربين ارستقراطيين يتكلمون لغة هندية ــ أوروبية ، وقد وطدوا أنفسهم حكاماً على الأهالي المزارعين .

ق

قفصية ، حضارة :

إحدى حضارات **العصر الحجري** في شمال إفريقيا ، ويرجع تاريخها إلى نهاية **عصر البلوستوسين** ، وهي الحضارة التي تلت **الحضارة الأثرية** ، واستمرت في شمال إفريقيا طوال عصر **الحضارات الميزوليثية** في أوروبا ، وقد تركز انتشار هذه الحضارة حول قفصة في جنوب **تونس** ، وتحصه في جنوب شرقي **الجزائر** . كما ازدهرت هذه الحضارة في **كينيا** أيضاً ، حيث وجد أسلوب تقني يعرف بالقفصي ــ الكيني ، يرجع تاريخه إلى مرحلة الجفاف لعصر ما بعد **الجامبلي** .

ك

كلاكتونية ، حضارة :

اسم الموقع النمطي لهذه الحضارة التي **تنتمي إلى العصر**

الباليوليثي ، وهو اسم مجرى قديم لنهر التيجر عند **كلاكتون ـ أون ـ سي** . وقد بدأت هذه الحضارة مع بدايات **الحضارة الإبفيلية** ، والتحمت مع المراحل المبكرة **للحضارة الأشولية** ، وقد أمكن تمييز ثلاث مراحل للأدوات الكلاكتونية ، حيث بلغت أرقى مراتب إتقانها في تلك الأدوات التي وجدت في **هاي لودج وسفوك** ، كما توجد أدوات كلاكتونية في **فرنسا وإنجلترا** .

ل

اللفلوازية ، الحضارة :

من حضارات **العصر الحجري** القديم ، وقد اتخذت اسمها من المكان الذي ظهرت فيه ، بإحدى ضواحي **باريس ، وتنتمي إلى العصر الجليدي الثالث** منذ حوالي ٢٣٠,٠٠٠ سنة ، وهي تتميز بصناعة الأدوات الحجرية ، وخاصة في نوع الشظايا ، وفي بعض مراحل هذه الحضارة انتشرت الشظايا العريضة الكبيرة ، وفي أحيان أخرى كانت الشظايا غير عريضة على هيئة نصال . وفؤوس العصر اللفلوازي المتأخر كانت معدة لتركيبها كرؤوس حراب ، ويغلب أنها أولى الأدوات التي استعملت لمثل هذا الغرض .

م

ماجوسية ، حضارة :

إحدى حضارات العصر الحجري ، والموقع النمطي لهذه الحضارة يوجد في منطقة **شرق إفريقيا** ، كما توجد هذه الحضارة أيضاً في **جنوب إفريقيا** ، وأهم ما يميّزها رؤوس حراب على شكل ورقة مثلثة ، أو على شكل المعين ، وقد شغلت بدقة ، أحياناً من جانب واحد ، وأحياناً من الجانبين ، ولا يعرف نمط الإنسان الذي صنع هذه الحضارة .

ن

نطوفية ، حضارة :

هي حضارة ميزوليثية ، أي حضارة الإنسان الذي يعتمد على جمع الطعام ، ورغم أنها كانت في أساسها حضارة جامعي طعام ، إلا أنه وجدت دلائل على إنتاجها للطعام ، كزراعة القمح وتربية الماشية ، وقد تم التعرف على هذه الحضارة في **فلسطين** ، في **كهف شقبة بوادي النطوف** ، التي اتخذت منه اسمها ، ويعد جمع بذور الحشائش النبيلة من أهم أنشطة إنسان هذه الحضارة ، والأدوات الحجرية النطوفية تشمل مناجل عظم مستقيمة ، تستعمل في قطع سنابل القمح ، ومكاشط ومناقيش وأدوات ثقب مصنوعة من الشفرات الظرانية ، وهذه الأدوات تشابه الصناعة القفصية .

هـ

هوا ـ بينه ، حضارة :

هي الأصل النمطي **لحضارة ميزوليثية** في جنوب شرقي آسيا في **تونكن** في **فيتنام الشمالية** ، والأدوات المميّزة لهذه الحضارة تشمل أدوات من الحجر بيضاوية وأحادية الوجه ، ويمثل هذا الطراز أغلب الأدوات التي عثر عليها في **سومطرة** ، ومن ثم سميت السومطراليثات أي حجري سومطري ، وقوادم حجرية نصف دائرية أو إهليلجية ذات مقابض مقطوعة قطعاً مستقيماً ، وتوجد هذه الأدوات أحياناً مع أدوات حجرية مصقولة من طراز **حضارة ، باك ـ صون** ، مما يدل على أن هاتين الحضارتين كانتا متعاصرتين .

و

وهران ، حضارة :

هي حضارة أدوات حجرية خاصة بشمال إفريقيا ، **تشبه الحضارة القفصية وتعاصرها** ، ويبدأ تاريخها من نهاية **عصر البلوستوسين** ويستمر بعد إدخال الخواص **النيولينية** في المنطقة . ويتركز توزيعها حول المناطق الساحلية في **تونس والجزائر ومراكش** ، والمشغولات التي عثر عليها تشمل مجموعة مختلفة من الأدوات العظمية ، وشفرات ذات ظهر ، ورؤوس ومكاشط ومناقيش أو أزاميل ، وكلها تشابه الأشياء التي عثر عليها في الحضارة القفصية .

ي

يانج ـ شاو ، حضارة :

حضارة نيوليثية ، كانت قاصرة على المناطق الجبلية من مقاطعة **هونان** في شمال غربي الصين ، وهي من نتاج قبائل **التركمان** والقبائل **التبتية** التي عاشت في هذه المناطق . ووجد في هذه الحضارة العقيق بدرجة كبيرة ، بالإضافة إلى الأحجار العادية ، وكانت الفؤوس من الطراز المستطيل ، كما عثر على أدوات من العظم . وكانت الزراعة وتربية الحيوان الأساس الظاهري لاقتصاد هذه الحضارة .

حول صيغة « أفعل به » التعجبية

في مستهل الحديث ، لابد أن أزجي الشكر عميقاً جزيلاً « للفيصل » الغراء ، لإفساحها الصدر ، وبسطها اليد للباحثين ، انتصاراً للحقيقة ، والتزاماً بالمنهج النبيل في « الإعلام » . وأعتذر من متابعة الحوار . . فقد اضطررت إليها نظراً لما جاء في رد « الدكتور علوش » بالعدد (٩٩) من أقوال يعد الصمت أمامها خذلاناً للحقيقة .

وسوف أتناول ما جاء في رده هذا على تعليقي الذي نشر بالعدد (٩١) متوخياً غاية الإيجاز .

★ أولا : حول مجموعة ملاحظاته

١ ـ يأخذ عليّ : أنني لم أصنع شيئاً أكثر من إعادتي عرض آراء « البصريين » ، ولم آت بشيء من عندي ، ثم تطوع وأعطى درساً موجزاً في علم « الجدل » . . . وتناسى الدكتور :

أ ـ أن منهجي في التعليق كان : تتبع قوله وإيراد أدلته ، ثم دحضها . . والاستدلال للمذهب الذي آثرته . . هذا المنهج « الذي لا يمكن للدكتور أن ينكره » ينفي هذا المأخذ . . حيث إنه لم يسبق للبصريين أن ناقشوا الدكتور وفندوا حججه ، ثم جئت أنا لأنقل عنهم !! .

ب ـ وأنه لم يفعل أكثر من نقل آراء الكوفيين ، ولم يأت بشيء من عنده ذي بال ، فمأخذه مردود عليه ! .

٢ ـ يدعي أنه أبطل كل براهين البصريين جملة وتغافل عن أننا أبطلنا كل براهينه تفصيلاً .

٣ ـ ينسب الخلاف إلى نفسه ويقول : « ليس في خلافي مع النحاة . . . » ، وهو يعلم أن الخلاف قائم بينهم منذ نشوء مدارس النحو ، وما يصنعه الدكتور مجرد متابعة لفريق يمثل الأقلية .

٤ ـ يتخيل : أنني انفعلت فجعلت أدعو بالثبور وعظائم الأمور !! ، وأنني قمت بدور الناعي ، وأنني بسبيل إعلان وفاة النحو (هكذا) وليس في كلامي ما يمكن « مع الإسراف في التحامل والتوهم » أن يوحي بذلك ، وكان يلزمه أن يأتي من كلامي ما يدعم تخيله ! .

٥ ـ إذا كان يعترف بأن للنحاة في كل مسألة عدة آراء وتخريجات ، ثم يقرر : أن لكل رأي احترامه . . فلم يذهب إلى التنكر المتعصب لرأي الأغلبية ، واتهامهم بالغفلة والاضطراب ؟ .

★ **ثانياً :** كان الدكتور قد ذكر : « أنه لم يحصل في اللغة العربية أن جاء الماضي بلفظ الأمر (لينكر ماضوية أفعل به) ، وإنما جاء العكس » ورددنا عليه مبطلين قوله :

● **عقلاً :** (فورود الأمر بلفظ الماضي يقتضي عقلاً ورود الماضي بلفظ الأمر وإلا كان هناك ترجيح دون مرجح) ، وهذا الدليل لا بد أن يكون الدكتور قد سلم به تطبيقاً لعلم الجدل ، لأنه لم يناقشه .

● **ونقلاً :** فاستشهدنا بقوله تعالى **﴿ فليمدد له الرحمن مدا ﴾** بمعنى مَدّ فورد الماضي بلفظ الأمر ، وهذا ما تعرض له الدكتور .

١ ـ قال : « إنه يتحدث عن الأمر بالصيغة لا بالمعنى » . . . قال ذلك تأسيساً على قول غير محرر (أن النحاة لهم الصيغ . . أما المعاني فهي مطالب البلاغيين و . . . . و . . .) وسوف نبين ما في ذلك من تجاوز . . يجعل تخريجه مردوداً .

٢ ـ يدعي : أن القول إن « فليمدد » بمعنى الماضي لا يقول به كثير من المفسرين !! ، وأؤكد لدكتورنا أنه رأي أكثرهم ، بل إن بعضهم لم يورد الرأي الآخر ، والذي ذكره منهم جاء به تابعاً إيحاء بأنه الرأي المرجوح « والمراجع في متناول الجميع لمن يريد التأكد مما نقرر » .

٣ ـ مما جاء في كلام الدكتور « . . . إن رأي صاحب الكشاف في أن **المضارع** . . . » ، وكان عليه التزام الدقة فنص **الزمخشري** « . . . يعني أمهله فأخرج على لفظ **الأمر** . . » ، ولكن الدكتور استبدل كلمة « المضارع » بكلمة « الأمر » ليخدم تخريجه !! .

٤ ـ يريد الدكتور بادعائه « أن ذلك رأي الأقلية » : إضعاف الرأي وتجريحه . . وذلك عجيب . . لأنه في « مسألتنا » يتبع رأي الأقلية (باعترافه) ، ولأنه « لا بد » يعلم : أنه حتى لو كان رأي الأقلية . . فهو احتمال . . يسقط به استدلاله (كما يقول علم الجدل) .

★ **ثالثاً :** كان الدكتور في محاولة إنكار ماضوية أفعل به » قد ذكر : أن هناك صيغة أخرى للتعجب وردت ماضوية هي « **فَعُل** » في قوله تعالى **﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾** ذاهباً إلى أنها تغني عن ماضوية « أفعل به » ، فهو صاحب فكرة الاستغناء هذه ورددنا عليه :

١ ــ بأن صيغته غير قياسية . . فلا يستغني بها عن الصيغة القياسية .

٢ ــ أن اللغة قائمة على التوسع ، فتصطنع الصيغ الكثيرة للمعنى الواحد . . وإلا لكان علينا إلغاء الكثير من الصيغ في النداء والاستثناء . . إلخ ، ومع وضوح اتجاهي في رفض فكرة الاستغناء عن صيغة بأخرى . . فقد جاء الدكتور ليقوّلني ما لم أقل ، بل عكس ما قلت . . والأعجب أنه يذهب بعيداً مع ما غالطني به فيقول : أي قياس هذا ؟ أيلغي شيء ثابت استغناء عنه بشيء غير ثابت ؟ . والمؤسف : أنه وهو يتبع هذا الأسلوب يتهمني أنا بأنني لا أعتمد المنطق الصحيح !! .

★ **رابعاً :** كنت قد أوضحت : أنه لا تناقض في القول . . إن الباء في الصيغة زائدة ، وإن كانت لازمة ، لأن الزيادة باعتبار ، واللزوم باعتبار آخر (يراجع تعليقنا) فلا تناقض ، وإنما يكون التناقض عندما يكون الاثنان معاً باعتبار واحد .

ومع أن الدكتور لم يناقش توضيحنا بما ينفيه ، بل لم يقترب منه في رده « وذلك يلزمه بالتسليم به » فلا يزال مصراً على دعوى : أن هناك تناقضاً !! .

والغريب أنه قد اتبع أسلوبنا في توضيح عدم التناقض وهو يحاول نفي التناقض عن نفسه في قوله : « إن التعجب . . . لا يحمل على غيره » ، ثم ذهابه إلى حمله على المصدر قال (مع تحفظنا على تفسيره) ، فالتعجب لا يحمل على غيره من حيث صيغته ومعناه ، أما في الإعراب فجائز . ونلاحظ ذهاب الدكتور إلى إصدار أحكام وتفسيرات خاصة به وليس لها سند !! .

★ **خامساً :** كنت قد ذكرت أن ثمرة الخلاف في مسألتنا تكاد تكون لا شيء . . ويعلق دكتورنا على ذلك قائلاً « قول الشيخ إن ثمرة الخلاف قليلة . . شيء عجيب غريب ، فإذا كان سماحة الشيخ يرى أنه لا فرق بين الماضي والأمر في الإعراب ، فهذا شأنه لأنهما شيئان مختلفان . . كما أن الإغضاء عن الخلط بين الماضي والأمر هو إغضاء عن النحو كله ، فإذا كان هذا هيناً في نظر الشيخ فما المهم والخطير في قضايا النحو ؟ . ويختم الدكتور رده بنفس القول « فهل يوافق شيخنا أن نسمي الماضي مضارعاً ، والمضارع ماضياً . . أظن هذا كثيراً خطيراً ، بل هو يدعو إلى الفوضى والبلبلة » هذا نص قول دكتورنا :

وأعترف : أنني وقفت أمام هذا القول شبه مأخوذ !! ويؤسفني أنني مضطر إلى تسجيل أن في كلام الدكتور **مغالطة** . . لا زلت موقناً أنه أكبر من أن يسلمه الانحياز للرأي الذاتي إليها ويورطه فيها :

١ ــ دكتورنا يعلم تماماً أن الخلاف **محصور** في صيغة واحدة « أفعل به » لا يتعداها إلى غيرها من صيغ الأفعال في النحو العربي ، وبهذا ينتفي ما زعمه من الخلط والاضطراب ، ومما يثير الدهش إيغاله في المغالطة فهو يقحم « المضارع » في المسألة وليس له وجود في مسألتنا .

٢ ــ ويعلم دكتورنا : أن هذا الخلاف قائم منذ أكثر من ألف سنة ، ولم يحدث ما توهمه .

٣ ــ وعلى ذكر الاضطراب . . يجب أن نعلم : أنه يتحقق عندما يأتي باحث لينادي بأن ما استقرت عليه الأكثرية ، وارتضاه الباحثون والدارسون ــ معظمهم ــ خلط وغفلة ، ويتنكر لألف مرجع ، ويغرق كل أقوال النحاة . . . من هنا تأتي البلبلة وهكذا يستبين . . أننا لسنا صانعيها .

★ **سادساً :** يحاول الدكتور إسقاط القول « إن أفعل به ماض جاء على صورة الأمر ، وأن الباء زائدة وما بعدها فاعل » فذهب إلى جمع ما ظنه وافياً بالغرض ولجأ إلى المراجع وصاحَبَ « **ابن مالك** » وقد استغرق ذلك من رده حيزاً كبيراً .

ولعلها ليست مفاجأة أن أقول للدكتور . . إنه جهد في غير طائل . وإننا « دون عصبية وبالمنطق وحده » نلغي هذا الجزء من الرد . . ذلك لأن هناك حقيقة يعرفها دكتورنا جيداً . . بل لقد أشار إليها في مقاله الأول :

هي أن الصيغة إذا حولت عن صورتها الأصلية الجارية على النسق المعهود للتراكيب بهدف إفادة معنى زائد . . تصبح مستقلة بصورة تميّزها من غيرها ، ولهذا لا تقاس على غيرها ولا يقاس عليها غيرها .

وكل ما أورده دكتورنا مردود لمخالفته هذه الحقيقة . . فهو يقيس صيغة محولة على صيغة غير محولة ، وذلك باطل « في علم الجدل » لأنه قياس مع الفارق ، **ولكننا على رغم هذا « حرصنا على الحقيقة » نشير إلى أمور وردت في هذا الجزء :**

١ ــ يستنكر الدكتور أن يكون المحذوف في قول الشاعر (. . . . وإن يستغن يوماً فأجدر) فاعلاً .

أ ــ والدكتور لا بد أن يكون من أول العالمين بأن الحذف في اللغة

العربية باب رحيب يتسع لكل شيء . . الحرف والجمل . . بل إن صلة الموصول قد تحذف مع أَمْن اللَّبس ، والصلة ألصق بالموصول من الفاعل بالفعل !! حتى لقد رأى بعض الباحثين أننا لو قلنا إن اللغة العربية لغة الحذف ما كان علينا من ذلك بأس (ص ٢٣٦ من كتاب الألفاظ والأساليب الصادر عن المجمع اللغوي) .

ب ـ من العجيب : أن الدكتور كان قد ذهب إلى حذف الفاعل من هذه الصيغة ، وجردها منه نهائياً . . ثم يأتي هنا ليستنكر حذف الفاعل «لفظاً» وفي الشعر !! وعلى ذكر هذا . . كنا قد قلنا إن الذهاب إلى الاستغناء عن الفاعل بناءً على حمل الصيغة على المصدر فيه حمل للأصل على الفرع وهو مرفوض . . ولم يَرُدّ الدكتور بشيء على اعتراضنا !! .

جـ ـ تعجل الدكتور فذكر أن دخول الفاء على «أجْدِر» في جواب الشرط دليل على أنه «أمر» ونقول تعجّل . . لأنه نسي :

● أن الفاء في جواب الشرط قد تدخل على الماضي (وذلك مبحث أعفي القارئ منه) . قال تعالى ﴿ **وإن كان قميصه قد من قبل فصدقت** ﴾ .

● ودخول الفاء من ناحية أخرى كان لأن الفعل بلفظ الأمر وإن لم يكن بمعناه .

★ **سابعاً :** ذكرنا في (ثانياً ـ (١) ـ من هذا الرد) أن قول الدكتور «إن النحو علم الصيغ ، وإن النحاة لا علاقة لهم بالمعنى ، فالمعاني ليست من اختصاص النحو» قول غيرُ محرر :

١ ـ قرر الدكتور «أن النحو علم عقلي» فكيف يستقيم هذا مع قوله لا علاقة للنحو بالمعاني ؟ وهل هناك من عمل للعقل سوى المعاني ؟ .

٢ ـ ويقول ـ راشداً ـ و «الإعراب من صلب مهمة النحوي» فكيف نسي تلك الأوّلية : «الإعراب فرع المعنى» .

٣ ـ كيف لم يدرك أن الخلاف في مسألتنا راجع إلى المعنى وحده . . أما الصيغة فلا خلاف على أنها للأمر . . ولكن البصريين يرون بمعنى الماضي ، والكوفيون يرون بمعنى الأمر هذا القول غير المحرر جرّ الدكتور إلى خطأ استأذنه في تصويبه :

● يقول : أما الخلاف فقد نشأ عن سببين لفظيين .

● والواقع أن ما ذكره باعتباره منشأ الخلاف ليس سوى نتيجة الخلاف . . أما منشأ الخلاف فراجع إلى أعمق من ذلك !! ، إنه الاختلاف في منهج البحث وطريقة الدراسة ، فالبصريون يدرسون الصيغ المحولة باعتبار ما كانت عليه ، أما الكوفيون فيدرسونها باعتبار ما صارت إليه .

وبهذا الفهم لمنشأ الخلاف يتضح لنا «المنطق» في قول فريق ، وزيادة في توضيح ذلك نضرب مثلاً آخر : في «**نعم وبئس**» مدحاً وذماً طبق البصريون مذهبهم فنظروا إليهما قبل التحويل فقالوا : إنهما فعلان ، وطبق الكوفيون مذهبهم فقالوا : إنهما اسمان ، وكلا الرأيين منسجم مع منهجه . . فهو يقول :

«وشأن اللغة حتى قبل «النحو» أن تختلف فيها اللهجات إلى الحد الذي سميت معه اللهجة «لغة» . . تختلف في «الإعراب» وفي طريق النطق . . وفي معنى الكلمة الواحدة» .

★ **ثامناً :** (١) ألاحظ اضطراب المنهج لدى الدكتور فهو قد رفع يده في وجه كل كتب النحو معترضاً وأنكر كل أقوال النحاة عندما يكون فيها ما يدحض اختياره . . ثم تراه يكتفي بكتب النحو ويستشهد بالنحاة عندما يظن أنها تدعم فكره !! . وهكذا تراه لا يتخذ موقفاً محدداً من شيء واحد !! .

(٢) ما ذهب إليه الدكتور من التفرقة بين الند والنظير ، أعتبره من «المحاكمات» اللفظية فلا أوليه اهتماماً إلا إذا أصرّ الدكتور .

هذا : ولا يفوتني أن أذكر للدكتور فضله في تنبيهه إلى أنه كان عليَّ أن أقول «**في حين**» بدل «**بينما**» ، ولو أن صياغة التنبيه توحي بأن هناك خطأ . . والأمر ليس كذلك وإنما هو غير الأولى ، لهذا أُصرِّح بأنني أكون أعظم شكراً لو أنه اقترح أن أقول «**على حين**» لأنها الأفصح .

وفي النهاية ، أكرر الدعوة إلى توجيه البذل لما يستحقه لعلنا ننجح في تبرئة النحو «الذي يحبه الدكتور» من تهمة يرميه بها كثير من الباحثين «أنه آفة هذه اللغة» ، ومرحباً بالحوار الصادق الموضوعي المتزن . و «**للفيصل**» الغراء الشكر أعظم الشكر ، والله يهدي إلى سواء السبيل .

الشيخ عبد اللطيف محمد حشاد
من علماء الأزهر الشريف

مع الأصدقاء

اقتراحات

١ ـ يرى بعض الزملاء **أن يكون غلاف المجلة في كل عدد قادم صورة لشخصية عربية إسلامية ـ سياسية كانت أم أدبية ـ** على أن تعطي المجلة ترجمة كاملة ومستفيضة ـ إن أمكن ـ لتلك الشخصية داخل صفحاتها كشخصية للعدد .

٢ ـ تعلم المجلة الغراء أن هناك بحراً متلاطماً من الشباب المسلم المتعطش لتعاليم دينه الحنيف ، الذي تجاذبته تيارات الغرب العدائية حتى كادت تفسد عليه سنَّة نبيه الكريم ، **فهلا أحدثت المجلة ركناً دينياً بين صفحاتها للفتاوى .**

٣ ـ يقترح أغلب القراء الكرام إحداث **مجلة متواضعة كهدية منها لفلذات أكبادنا** كما هو الشأن في أغلب المجلات العربية والإسلامية ، حتى نشرك أطفالنا في مأدبة « الفيصل » الفاخرة الدسمة .

٤ ـ كما نقترح عليكم تجميع كل الموضوعات التي **تناولتها « الفيصل » بالبحث والتنقيب في باب (موضوع خاص) والدفع بها إلى الطبع على شكل موسوعة علمية تخدم الفكر العربي .**

٥ ـ أما بالنسبة **للقراء المشاركين في المسابقة الذين تمكنوا من الإجابة الصحيحة لمرات متعددة إلا أن الحظ لم يحالفهم بالفوز** نقترح **تشجيعهم ولو بجوائز رمزية إن هم تمكنوا من الإجابة الصحيحة عشر مرات متتالية مثلاً .**

خالي الحسين
المغرب ـ الدار البيضاء

● **المجلة :**

١ ـ تخصيص غلاف المجلة لصور الشخصيات يطبع المجلة بطابع واحد .. وقد التزمت المجلة بسمة خاصة لغلافها منذ صدورها ، وهي لا تميل إلى تغييره .

٢ ـ باب الفتاوى من الأبواب الجيدة التي سوف نحرص عليها مستقبلاً إن شاء الله .

٣ ـ سبق أن رددنا على بعض رسائل القراء فيما يتعلق بملحق للطفل .

٤ ـ فكرة جمع موضوعات « موضوع خاص » في كتاب هي جانب مما نفكر فيه ، وذلك بجمع الموضوعات المتشابهة في كتاب مثل دوائر المعارف .. ولوحة وفنان .. واللقاءات الفكرية .. ومدينة وتاريخ .. والفكرة جيدة إلا أنها مسألة ليست سهلة ، وتحتاج إلى خطة وجهد .. نأمل أن نحققها مستقبلاً .

٥ ـ لا نستطيع منح كل الذين أجابوا إجابات صحيحة جوائز نظراً لكثرتهم ، خاصة أن أغلب الأسئلة من الموضوعات التي تنشرها المجلة .

المصطلحات الأجنبية

تحياتي العميقة لأسرة مجلة « **الفيصل** » . كم أنا فخورة بمجلتكم الغراء لمحافظتها على استعمال الفصحى لغة القرآن الكريم . لقد سعدت جداً بقراءة مقالة الأخ **نبيل الجهمي** : « آكلوا لحوم البشر » بالعدد (٨٥) ـ رجب ١٤٠٤هـ ، وسبب سعادتي هو استعمال الكاتب مصطلحات عربية بدلا من تعريب مرادفاتها اللاتينية أو اليونانية ، مثلاً : « علماء الأناسة » بدلا من « أنثروبولوجيون » و« علماء الإحاثة » .

ولكن لسوء الحظ ، في نفس العدد قرأت مقالة الأخ **سمير ظريف** بعنوان : « الموضوع .. والحلم والواقع في لوحات **خليل حسن خليل** » فوجدت مفردات دخيلة مثل « استاتيكي » و« سيكولوجية » بدلا من ثابت أو ساكن ونفسية .

حبذا لو أن أسرة المجلة شجعت الكُتَّاب على استعمال اللغة العربية بدلا من استعمال هذه المفردات الدخيلة والمصطلحات الأجنبية .

اقتراح : في قسم القصص القصيرة سواء كانت لكاتب عربي أو لغير عربي ، حبذا لو أضفتم موجزاً عن حياة الكاتب يستعرض فيه أهم أحداث حياته التي أثرت في كتاباته وأسلوبه ، غرض الكاتب ومعتقداته .

قارئة

● **المجلة :** نشكر للأخت القارئة ، التي لم تذكر اسمها ، اهتمامها بما ينشر في المجلة .. كما نشكر لها غيرتها النبيلة على لغة القرآن الكريم .. ونحن في المجلة نحرص كثيراً على استعمال المصطلحات العربية بدلا عن المصطلحات الأجنبية .. وإن كنا لا نستطيع أن نحل محل المجامع اللغوية والجامعات العربية التي عجزت عن تدريس خريجيها وتعليمهم المصطلحات العربية .. ويبقى كتَّاب الفن الذين لهم فلسفتهم في استعمال المصطلحات الأجنبية مع عدم إقرارنا لهم بذلك .. وسنسعى ما وسعنا إلى بذل الجهود لاستعمال المصطلحات العربية .

أما فيما يختص بالتعريف بكتَّاب القصة فنحن ننشر تراجم لكتَّاب القصة العرب في باب (من كتَّاب هذا العدد) ، وحين تكون القصة المترجمة نحاول نشر ترجمة كتابها إذا توفرت لنا .. وهذه دعوة نوجهها لإخواننا الكتَّاب العرب الذين يرسلون لنا قصصاً مترجمة ..

دعوة لهم لتزويدنا بترجمة موجزة عن حياة كاتب القصة .. مع شكرنا للجميع .

رسالة تهنئة

بمناسبة ولوج مجلة « **الفيصل** » **سنتها التاسعة** يسعدني أصالة عن نفسي ونيابة عن الكتّاب والقرّاء المغاربة أن أرفع خالص تهانئي وتشكراتي على روح الاستمرارية والعطاء التي تطبع مجلتنا . بالفعل كانت انطلاقة المجلة صعبة والبداية دائماً تكون صعبة ولكن بفضل جهود أسرة التحرير استطاعت المجلة أن تقطع الألف ميل خطوة خطوة وهي الآن في ريعان شبابها بعد صدور العدد « ٩٧ » ماضية بإصرار وثبات نحو **العدد المائة** . وأملنا أن نحتفل جميعاً بهذا العدد كما اقترحتم ذلك في افتتاحية العدد الأخير .

« **الفيصل** » الآن مورد من موارد الثقافة والفكر بشتى أنواعه ، ملتقى الأقلام العربية ، والإبداع ..

إن رسالتي هذه لا تهدف النقد ولكنني ـ إذا سمحتم بذلك ـ سأبدي بعض الملاحظات التي أوحتها لي قراءتي الآنية للعدد الأخير .

● من حيث الشكل تطورت المجلة وفاقت نظيراتها .

● ومن حيث المضمون ، في كل عدد نلمس تجديداً وتنويعاً نتمنى أن يستمر بحول الله ، وتبقى في الأخير كلمة حق هي توجيه الشكر لكل من ساهم في هذا العمل من قريب أو بعيد ، ورحم الله الملك المجاهد « **الفيصل** » على ما قدم من خدمات لوطنه ، ولأمته العربية والإسلامية .

أحمد المكينسي
الرباط ـ المغرب

● **المجلة :** نشكر لصديق المجلة الأديب المكينسي تهنئته .. سائلين الله أن يوفقنا لما فيه خير أمتنا وأوطاننا .

تحية .. واقتراحات .. وعتاب

قبل كل شيء أريد أن أبعث بتحياتي لأسرة مجلة « **الفيصل** » العزيزة ، وأنا من المعجبين بها ، وأرجو أن تقبلوا مني هذه الاقتراحات :

١ ـ تخصيص صفحات عن **تراثنا في المجال العلمي أو الأدبي أو الفني** .. إلخ .

٢ ـ تعيين صفحات لاستقبال **النتاجات الأدبية من أصدقاء المجلة** .

٣ ـ في العدد (٩٦) من المجلة وعند الرد على رسالة خديجة سلمان من كسلا ـ السودان ، بصدد طلبها بعض أعداد المجلة ، كان جواب المجلة (أما طلبك بعض أعداد المجلة فإننا لن نتردد في إرسالها إن كانت متوفرة لدينا) فهل أنكم غير متأكدون من توفر الأعداد عندكم ولماذا أجبتم هكذا قبل التأكد .

عباس محسن سلو
نينوى ـ العراق

● **المجلة :** نشكر للأخ عباس تحيته الطيبة .. والمجلة تنشر دائماً عن تراثنا في المجال العلمي والأدبي والفني دون تخصيص صفحات معينة .. وفيما يختص بنتاج الأصدقاء الأدبي فنحن ننشر ما كان جيداً أو مفيداً للقارئ .. فإذا تقصد تشجيع ناشئة الأدب فهذا ليس من اهتمام المجلة .. وقد فاتك فيما يتعلق بموضوع الأعداد أن هذا من اختصاص الإدارة فقد توجد نسخ من بعض الأعداد ، وقد لا توجد .. مع تحياتنا .

أسرُّ لها النجوى

أُسرُّ لهـا النجوى أهيمُ بها حُبّـا ... وأسعى لها قربى وأبغي لها كسبا
شممتُ بها الأنسام طيباً وبهجةً ... ورُحْتُ أجيلُ الطرفَ شوقاً بها صَبّا
رأيْتُ بها زخماً من الفكر ناضجاً ... متفقة الأقلام تُحلي به الكتبا
فقررتُ أن أهدي كريم قصائدي ... إلى « فيصل » الآداب أسكبه سكبا
خصصتُ لها خير القصائد فكرة ... وعاطفة صرفاً فأبعثه حُبّا
ولم ينتشر من قبل في غيرها ولا ... رأته عيون الناس شرقاً ولا غربا
فأفضلُ ما عندي لخير مجلة ... بها الفكر والإحساس يسمو ذرىً شهبا
فإن كنتُ قد أحسنتُ فالخير واجبٌ ... وإن كنتُ قد قصَّرتُ يبقى لها العتبى
وكل الذي نهواه منها اهتمامها ... فإنا لها نهوى ونسعى لها قربى

خليل محمود كركوكلي **الحسكة ـ سورية**

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة الجوائز على النحو التالي:

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

د ـ إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي).

هـ ـ عشر جوائز قيمة كل واحدة منها اشتراك مجاني لمدة عام في مجلة «الفيصل» لكل فائز.

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة.. وإرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص.ب (٣) المسابقة).
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج.

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها.

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

٦ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة.

• الأسئلة •

السؤال الأول:
من كتّاب الوحي.. كان يترجم للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية التي تعلمها في المدينة.. ولد في المدينة المنورة.. ونشأ بمكة المكرمة.. لما توفي رثاه الشاعر حسان بن ثابت.. ما اسمه؟

السؤال الثاني:
اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية:
الإماء الشواعر ـ تاريخ الخط العربي وآدابه ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة.

السؤال الثالث:
أين توجد هذه القصور الإسلامية؟
قصر عمرة ـ قصر الخرانة ـ قصر المشتى.

السؤال الرابع:
متى.. وأين أنشئ أول خط ترام حديدي؟

السؤال الخامس:
كيف تم عملية زرع نخاع عظام الإنسان؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (١٠٧)

الاسم: ------------------------------

المهنة: ------------------------------

العنوان: ------------------------------

أجوبة مسابقة العدد (١٠٠)

ج ١ مؤلفو الكتب التالية هم :

● «الفلاحة» : أبو زكريا يحيى بن محمد بن العوام **الإشبيلي** .

● «الاستقامة» : أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (**ابن تيمية**) .

● «**الذهب المسبوك في وعظ الملوك**» : أبو عبد الله محمد بن أبي نصر **الحميدي** .

● «**الأدبيات اليمنية**» : **كارل بروكلمان** ، ترجمة صالح بن الشيخ .

ج ٢ تم افتتاح **مؤسسة الملك فيصل الخيرية** في مدينة الرياض في مساء اليوم التاسع والعشرين من شهر جمادى الأولى عام ١٣٧٩ هـ ، (١٨ مايو «أيار» عام ١٩٧٧ م) .

ج ٣ المسؤول عن تحديد جنس الطفل (ذكر أم أنثى) هو **الرجل** ، والتفسير العلمي لذلك .. أن جنس الطفل **يتحدد منذ لحظة الإخصاب** ، فقد بيّنت اكتشافات الكروموزوم الجنسي أن الخلايا الذكرية تحمل نوعين من هذه الكروموزومات هما : كروموزوم **X** وكروموزوم **Y** ، بينما تحمل الخلايا الجنسية الأنثوية كروموزوم **X فقط** . وإذا شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يكون الحيوان المنوي الذي يخصّب البويضة (وهو حيوان واحد من ثلاثمائة مليون من الحيوانات المنوية) ، حاملاً للكروموزوم (Y) ، يكون الناتج (YX) ، **وهذا يؤدي إلى مولود ذكر بإذن الله** .

ج ٤ تقع هذه الجبال في المناطق التالية :

● **أجا وسلمى** : وهما جبلا **طي** ، يقعان في منطقة «شمر» ، في شمال نجد قرب حائل في **المملكة العربية السعودية** .

● **الأنديز** : تمتد أكثر من ١٠٤٠٠ كيلومتر ، بموازاة الساحل الباسفيكي من تيرا دلفويجو شمالا إلى فنزويلا ، **بأمريكا الجنوبية** .

● **برانس** : تقع في جنوب غربي **أوروبا** ، تفصل شبه جزيرة **إيبيريا** عن سائر أوروبا ، وتفصل **فرنسا** عن **إسبانيا** .

● **روكي** : أطول وأعلى سلسلة جبلية في **أمريكا الشمالية** ، تمتد من الجنوب ٤٠٠٠ ميل حتى تبلغ شبه جزيرة **الاسكا** .

ج ٥ المصطلحات البتروكيميائية التالية تعني :

● **الإيثيلين** : أشهر مادة أولية في الصناعات البتروكيماوية ، وهو **غاز** يستخدم في إنتاج عديد من المركبات الهامة ، **كأوكسيد الإيثيلين ، والبولي إيثيلين ، وثنائي كلورد الإيثان** .

● **التيفلون** : مادة **بلاستيكية** ، تركيبها الكيميائي **بولي رباعي فلورو** ، تتميز بمقاومتها الكبيرة للحرارة من −١٨٣° مئوية إلى + ٣٠٠° مئوية . تستخدم في صناعة الأجزاء الرئيسية للأجهزة والآلات التي تعمل في ظروف قاسية .

● **الجلسرين** : سائل **ثقيل القوام** ، لا لون له ولا رائحة ، حلو المذاق ، يغلي عند درجة ٢٩٠° مئوية ، ويختلط مع الماء بجميع النسب ، وهو مادة **استرطابية** للغاية . ويطلق عليه أيضاً اسم «**الجليسرول**» .

نتيجة مسابقة العدد (١٠٠)

● فاز **بالجائزة الأولى** ، وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي ، الأخ **ممدوح عبد الرازق محمد أحمد** ، طهطا ، سوهاج ــ **مصر** .

● وفازت **بالجائزة الثانية** ، وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي ، الأخت **إنعام محمود درياس** ، دمشق ــ **سورية** .

● وفازت **بالجائزة الثالثة** ، وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي ، الأخت **حياة محيي الدين كرنشي** ، جدة ــ **المملكة العربية السعودية** .

وهناك **سبع جوائز** ، قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من **تونس** ــ توزر ، مستشفى توزر ، الأخ **صالح محمد جهيمي** .

● من **الجزائر** ــ تلمسان ، إيمامة ، الأخ **اربيعي محمد** .

● من **المغرب** ــ الدار البيضاء ، ص . ب (١٠٣) ، حي الداخلة ، الأخ **الحيمر عبد السلام** .

● من **السودان** ــ الخرطوم ، الأخت **نجاة عبد الرحمن دهب** .

● من **المملكة العربية السعودية** ــ الخبر ، الأخت **فاطمة رمضان حميدة السيد** .

● من **مصر** ــ محافظة البحيرة ، إيتاي البارود ، الأخت **كوثر أحمد السيد غانم** .

● من **الأردن** ــ عمّان ، الهاشمي الشمالي ، ص . ب (١١٢٩٥) ، الأخ **عبد الجليل مصطفى محمود الزق** .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** ، قيمة كل واحدة منها **اشتراك مجاني** ، لمدة عام ، في مجلة «**الفيصل**» ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من **الجزائر** ــ الجزائر (العاصمة) ، ٤١ شارع علي مدوش ، الأخ **مرزقان محمد** .

● من **الإمارات العربية المتحدة** ــ أبو ظبي ، الأخت **سهام محمد جرار** .

● من **نيجيريا** ــ ولاية كوارا ، لوكوجا ، ص . ب (٥٥) ، الأخ **محمد إدريس السلفي حافظ عبد القادر** .

● من **العراق** ــ بغداد ، ص . ب (١٠٥٥) ، الأخ **جاسم محمد سلمان** .

● من **سورية** ــ حمص ، الوعر ، فيديو عبودي ، الأخ **عمرو حيدر عبد الباقي عبد الدايم** .

● من **اليمن** ــ مدينة إب ، ص . ب (٧٠١١٠) ، الأخ **أبو الفتوح محمد الخضر إبراهيم** .

● من **البحرين** ــ المنامة ، الأخت **مريم صلاح الدين** .

● من **المملكة العربية السعودية** ــ الرياض ، جامعة الملك سعود ، السكن الجامعي ، عمارة (٣١) ، الأخ **عبد الرحمن عقيل السليم الخلف التيماوي** .

● من **الجزائر** ــ فالمة ، هليوبوليس ، الأخت **نوال سعيد حسين كلوب** .

● من **السودان** ــ الغضارف ، ص . ب (١١٩) ، الأخ **الدرديري عمر الدرديري الحاج** .

ردود قصيرة

● الأخ (عافت فارس الشمري) ، الرياض ـ السعودية .

نرد لك التحية بأحسن منها . . ونشكرك من الأعماق على مشاعرك التي تضمنتها أبياتك الشعرية . . نتمنى لك التوفيق في مجال الشعر الذي يعد من الفنون الصعبة .

● الأخ (حاموم محمد) ، تلمسان ـ الجزائر .

عنوانك غير واضح على البطاقة المرسلة للإحاطة .

● الأخ (محمد صخراوي) ، الحراش ـ الجزائر .

مرحباً بك صديقاً للمجلة . . ونأسف لعدم نشر المعلومات التي أرسلتها عنك ، لأن المجلة لا تعنى بباب التعارف . . ولك تحياتنا .

● الأخ (محيي الدين ميلود) ، العامرة (الشلف) ـ الجزائر .

نحن يا صديقنا مجلة ، ولسنا مكتبة أو شركة توزيع للكتب ، لهذا لا نستطيع أن نوفر لك الكتب التي طلبتها . . وفي إمكانك الذهاب إلى إحدى المكتبات ، أو الاستعانة بأحد أصدقائك . . ولك تحياتنا .

● الأخ (عماد حمد سليمان حمد) ، العريش ـ مصر .

في إمكانك الكتابة مباشرة إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لمعرفة الشروط المطلوبة . . مع تمنياتنا لك بالتوفيق .

● الأخ (خالد محمود يوسف) ـ العراق .

شكراً لإعجابك بالمجلة . . والمجلة تعنى بالموضوعات الجيدة والجادة فقط ، أما محاولات القراء فلها مجلاتها وصحفها .

وطلبك عناوين الصحف والمجلات السعودية ، تستطيع معرفتها بواسطة الملحق التعليمي السعودي بالعراق ، أو من السفارة السعودية وعنوانها معروف في بغداد .

ولأن « **الفيصل** » مجلة شهرية ثقافية ، فهي لا تحتاج إلى مكاتب لها في مختلف الأقطار .

● الأخ (أبيجي الحسين بن أقويدر) ، بسكرة ـ الجزائر .

شكراً لمشاعرك الطيبة نحو المجلة ، وكل العاملين فيها يهدونك تحياتهم وشكرهم .

● الأخ (أسكيو محمد امبارك) ، تمنغست ـ الجزائر .

نشرت المجلة عن مثلث برمودا منذ فترة . . ولا ترى ما يدعو إلى إعادة النشر عن الموضوع مرة أخرى . . ونحن لا نعرف شيئاً عن المكتبات المجانية ، وهذه هي المرة الأولى التي نسمع عنها . . وإذا كنت تقصد المكتبات العامة ، فإن هذه المكتبات لا توزع الكتب مجاناً . . ويصعب حصرها ومعرفة عناوينها . . ومن أين لنا بعناوين المكتبات في الجزائر ، إذا كنت أنت أحد أبنائها لا تعرف هذه العناوين . . حاول الاتصال بوزارة الإعلام الجزائرية ، لعلك تجد الإجابة عن سؤالك . . ونأسف لعدم استطاعتنا تلبية طلبك من أعداد المجلة القديمة لعدم وجودها . . ولك تحياتنا .

● الأخت (ليلى حفيان) ، عنابة ـ الجزائر .

نشكر لكِ مشاعركِ . . والمجلة توزع في كل مدن الجزائر .

● الأخ (قادري الشريف) ، الحلقة ـ الجزائر .

يا صديقنا نحن مجلة ثقافية ، ولسنا محطة إذاعة لأغاني الفنانين والمطربين . . ويبدو أن الرسالة أخطأت طريقها فجاءت باسم المجلة بدلا من الذهاب إلى الإذاعة .

● الأخ (السيد جيدل محمد حسني) ، الجلفة ـ الجزائر .

لو وصلت رسالتك وفزت بالمسابقة لوجدت اسمك منشوراً على صفحات المجلة ، ولوصلتك قيمة الجائزة . . ولا تنس أن المشتركين في المسابقة يعدون بالمئات ، ولجنة المسابقة لا تهتم بالأسماء ولا تركز عليها ، بقدر ما تهتم وتركز على الإجابات الموضوعية الصحيحة وإجراء القرعة . . ولكل مجتهد نصيب .

● الأخ (محمد راضي) ، تلمسان ـ الجزائر .

شكراً لمشاعرك الطيبة نحو المجلة ، وفي إمكانك مراجعة السفارة السعودية ، أو مكتب الملحق التعليمي السعودي في الجزائر ، للحصول على ما تريد من معلومات . .مع تمنياتنا لك بالتوفيق .

الحركة الثقافية في شهر

** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا، والله الموفق **

في الوطن العربي

- الفائزون بجائزة الملك فيصل العالمية.
- جائزة للمتفوقين دراسياً في السعودية.
- كشف أثري في الأردن.
- معرض للتراث في البحرين.
- صدور مجلة جديدة في الجزائر.
- ندوات وأخبار ثقافية في الوطن العربي.

في العالم

- وفاة المؤرخ الفرنسي بروديل، والروائية الأميريكية ماسينز.
- مؤتمر لآثار جنوب الجزيرة العربية بموسكو.
- كشف أثري في الصين.
- صدور كتب متعددة.
- وفاة شاعر إنجليزي، وروائية إيطالية.

السعودية :

أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٠٦ هـ

◀ ديدات (جنوب إفريقيا) ، وجارودي (فرنسا) جائزة الخدمة الإسلامية.



★ الملك فيصل بن عبد العزيز يرحمه الله ★

في يوم الثلاثاء (صباحاً) ، تاريخ ٥ ربيع الثاني عام ١٤٠٦ هـ ، الموافق ١٧ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٨٥ م ، أعلنت الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية بفروعها الخمسة : (خدمة الإسلام ، الدراسات الإسلامية ، الأدب العربي ، الطب ، العلوم) ، في دورتها التاسعة لهذا العام ١٤٠٦ هـ ، برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل مدير عام مؤسسة الملك فيصل الخيرية ، ورئيس الجائزة ، أسماء الفائزين بالجائزة ، وقد ألقى قرار الأمانة الدكتور أحمد الضبيب أمين عام الجائزة ، وذلك على النحو التالي :

●● حصل على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام ، كل من الأستاذين أحمد حسين ديدات (من جنوب إفريقيا) ، ورجاء جارودي (من فرنسا) ، مناصفة بينهما ، وذلك لما يأتي :

(١) عرف السيد أحمد حسين ديدات بعمله الجاد المتواصل ، في الدعوة إلى الإسلام منذ نحو خمسة وثلاثين عاماً محلياً وإقليمياً وعالمياً . وذلك بمناقشته لخصوم الإسلام ومناوئيه ومجادلتهم في مناظرات علنية ، ومشاركته في العديد من المؤتمرات الإسلامية ، وإلقاء العديد من المحاضرات في وسائل الإعلام المختلفة ، وإنشائه «معهد السلام الإسلامي» لتكوين الطلاب والدعاة وتدريبهم على القيام بالدعوة الإسلامية ، وتأليفه جملة من المنشورات والكتب التي أصدرها خدمة للدعوة ، ومحاربته للتبشير ، وتوعيته للمسلمين بأصول عقيدتهم النيرة وأحكام دينهم الحنيف .

(٢) أما الأستاذ رجاء جارودي فقد أسندت إليه الجائزة لما يأتي :

أ ـ إصداره الكتب التي تبرز صورة أمينة للإسلام مثل «الإسلام يسكن مستقبلنا» ، و «وعود الإسلام» ، التي بيَّن فيها مكانة الإسلام ، وصحة أصوله ومبادئه ، وقدرته على توفير الحياة الكريمة للإنسان في مختلف العصور ، وحل مشكلات الإنسان المعاصر .

ب ـ دفاعه عن فلسطين وأهلها دفاعاً مجيداً في مواقفه المختلفة التي أعلن عنها في خطبه ومقالاته الصحفية وكتبه ،

◀ الدكتور الدوري (العراق) جائزة الدراسات الإسلامية .

◀ الأثري (العراق) جائزة الأدب العربي .

◀ الدكتور بوتانزوا (إيطاليا) ، والدكتور رينولدز (سويسرا) ، والدكتور أورشي (إيطاليا) جائزة الطب .

◀ الدكتور بيردج (بريطانيا) جائزة العلوم .



★ الملك فهد بن عبد العزيز يحفظه الله ★

وكشفه السياسة الصهيونية في كتابه « القضية الإسرائيلية » .

جـ ـ مشاركاته في العديد من المؤتمرات العالمية التي يوازن فيها بين الحضارات ، وينوّه بالمبادئ والأصول الإسلامية ، ويؤكد أن التزامها كفيل بالوصول إلى الخلاص من الويلات التي تهدد العالم .

●● حصل الدكتور عبد العزيز الدوري (من العراق) على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية وموضوعها « الدراسات التي تناولت التاريخ الإسلامي » ، وذلك على كتابه « تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري » لتميزه بالآتي :

(١) مراعاة المنهج العلمي في البحث والاستقصاء .

(٢) الدقة في التعبير مع وضوح العبارة وسلامتها .

(٣) الجدة والأصالة في البحث .

(٤) أهمية النتائج المستخلصة من البحث .

(٥) موقع البحث في مجال الدراسات التاريخية .

إضافة إلى إسهامه الكبير في توجيه دراسات التاريخ الإسلامي وإنمائها .

·وقد قررت لجنة الاختيار أن يكون موضوع جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية للعام القادم : « الدراسات التي تناولت العلاقات الدولية في الإسلام بين المبادئ والتطبيق » .

●● حصل الأستاذ محمد بهجت الأثري (من العراق) على جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي ، وكان موضوعها « الدراسات التي تناولت الأدب العربي في القرنين الخامس والسادس الهجريين في تاريخه أو رجاله أو قضاياه أو كتبه » ، وذلك عن عمله في كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر » ، لمؤلفه العماد الأصبهاني ، وما حققه منه في أربعة مجلدات ضخمة عن شعراء العراق ، وقد كان عمله صورة جيدة للتحقيق قامت على مقابلته النصوص في مصوراتها ودواوين أصحابها ، وما لهم من أشعار وأخبار في الكتب الأدبية مع التعريف بالشعراء ، وما جاء مع الكتاب من تعليقات الأستاذ الأثري ، مما يفيد قارئ هذه الموسوعة الأدبية ، إضافة إلى أنه عالم جليل ، قضى أمداً طويلاً من حياته في خدمة اللغة العربية وأدبها وفكرها ، وله

من الكتب والبحوث والمقالات العديدة ما يجعله أهلاً للتكريم.

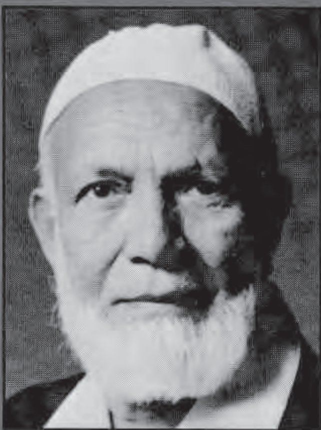
وقررت اللجنة أن يكون موضوع جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي في العام القادم: «الدراسات التي تناولت فنون النثر الأدبي الحديث».

●● حصل الأستاذ الدكتور جيان فرانكو بوتانزو (من إيطاليا)، والأستاذ الدكتور ألبرت رينولد (من سويسرا)، والدكتور ليليو أورشي (من إيطاليا) على جائزة الملك فيصل العالمية للطب، وكان موضوعها (مرض السكري).

أما الدكتور جيان فرانكو بوتانزو، فقد استحق تقدير اللجنة لأبحاثه في حقل المناعة الذاتية في مرض السكري من النوع الأول، الناتج عن تسببها في نقص إفراز الأنسولين. فقد أظهر البروفيسور بوتانزو في عام ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، وجود أجسام مضادة لخلايا البنكرياس المفرزة للأنسولين، وذلك في النوع الأول من مرض السكري، المعروف بنقصان إفراز الأنسولين أو انعدامه. وقد مهد اكتشافه الرائد الطريق لفيض من البحوث في حقل المناعة الذاتية في مرض السكري، وبعض أمراض الغدد الصماء الأخرى مثل أمراض الغدة الدرقية والغدة النخامية.

كما اكتشف البروفيسور بوتانزو وجود مستفد مفرز من الكرات الدموية البيضاء اسمه (HLA D.R.) على سطح خلية (ب) الموجودة بجزيرات لنغرهانس بالبنكرياس، وذلك في المراحل الأولية لمرض السكري من النوع الأول. كما أوضح الصلة بين المميزات الوراثية لتلك الخلايا، وتنامي المناعة الذاتية في هذا النوع من المرض. وقد أدى ذلك الاكتشاف إلى فتح آفاق جديدة للبحث والتقصي في أسباب ذلك المرض، مما قد يؤدي إلى طرق جديدة للوقاية منه.

أما البروفيسور ألبرت رينولدز، فقد نظرت اللجنة إلى إسهاماته العديدة في فهم داء السكري، وآليته الإمراضية، ومعالجته منذ أواخر الأربعينات. كما نظرت بالتقدير إلى دوره الفعال بصفته يمثل حافزاً علمياً لعديد من الأخصائيين المتميزين، وإلى تأسيسه مركزاً متخصصاً لدراسة داء السكري في جامعة جنيف. وقد كان للإسهامات العلمية والطبية لفريق جامعة جنيف، برئاسة البروفيسور رينولدز أهمية عظيمة للمتخصصين في داء



أحمد حسين ديدات

● تاريخ الميلاد: ١ يوليو (تموز) سنة ١٩١٨م، في جنوب إفريقيا.

● الوظيفة الحالية: رئيس المركز الدولي لنشر الدعوة الإسلامية بجنوب إفريقيا.

★ المراحل التعليمية والمؤهلات:

درس في المرحلة الابتدائية وأكمل المرحلة الثانوية، ثم التحق بكلية مولاي سلطان (التقنية)، واجتاز برنامجاً في الرسم الهندسي التقني وفي رياضيات تشغيل وخدمة اللاسلكي.

★ الأعمال والأنشطة:

يعمل داعياً إسلامياً منذ حوالي خمسة وثلاثين عاماً، واشترك في عديد من المؤتمرات الإسلامية الإقليمية والدولية، مثل مؤتمرات الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ومؤتمرات الدعوة، والمؤتمرات التي انعقدت في جنوب إفريقيا، وألقى محاضرات كثيرة عن طريق التلفزيون وغيره، وفي عدد من الدول الإسلامية وغيرها مثل المملكة العربية السعودية والبحرين وأبو ظبي وبريطانيا.

وعقد مناظرات عديدة مع خصوم الإسلام ومناوئيه، وسجل أكثر من اثنتي عشرة محاضرة ومناظرة، وتم توزيع نسخ منها على الناس.

ومن جانب آخر قام بإنشاء معهد إسلامي (السلام) لتدريب الطلاب على القيام بالدعوة الإسلامية.

★ المؤلفات العلمية:

قام بتأليف وإصدار عدد من الكتيبات والمنشورات التي ترد على خصوم الإسلام ومزاعمهم الباطلة منها ما يلي:

١ ـ ماذا يقول الإنجيل عن محمد؟.
٢ ـ ما اسمه؟.
٣ ـ ما دليل سفر يونان (عن التوراة)؟.
٤ ـ هل الإنجيل كلمة الله؟.
٥ ـ من أزاح الحجر؟.
٦ ـ البعث أو الإنعاش.
٧ ـ الصلب أو خرافة الصلب.
٨ ـ المسيح في الإسلام.
٩ ـ صلاة المسلم.

★ ★ ★

السكري في جميع أنحاء العالم ، فقد قدم ذلك الفريق للعالم اكتشافات كبيرة المبنى والمعنى كونت حجراً أساسياً بنى عليه عدد كبير من العاملين في البحث العلمي ، والأطباء السريريين خبراتهم العلمية .

أما الدكتور ليليو أورشي ، فقد نظرت اللجنة إلى عمله الرائد على تركيب جزيرات لانغرهانس وآليتها الحيوية ، وقد أدت نتائج أبحاثه عن التركيب الدقيق والصناعة الكيميائية النسيجية لهذه الجزيرات إلى معرفة تركيبها ، وبالتالي وظيفتها الفسيولوجية ، مما أغنى المعرفة العلمية بالنسبة لهرمونات البنكرياس .

وقررت اللجنة أن يكون موضوع « الوقاية من العمى » هو موضوع جائزة الملك فيصل العالمية للطب في العام القادم .

●● وحصل الدكتور مايكل جون بيردج (من بريطانيا) على جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم في موضوعها « الكيمياء الحيوية » ، وذلك لإنجازه الممتاز في حقل بيولوجيا الخلية ، الذي يتمثل في اكتشافه مراسلاً ثانياً يتحكم في ضبط أنشطة الخلايا ، وتقع عليه مسؤولية تنظيم نشاط الخلية ، وهذا الفتح العلمي الجديد ، يشكل مبدءً أساسياً لتعميق معرفتنا بكيفية نمو الخلايا ، وقد اجتذب اهتماماً عالمياً واسعاً لدوره الأساسي في فهم كل مظاهر تنظيم الخلية في حالتي الصحة والمرض . كما أن المعرفة المترتبة على هذا الاكتشاف ، ستعود بالنفع العام على الجنس البشري .

وقررت اللجنة أن تكون جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم في العادم القادم في مجال « الرياضيات » .

الجدير بالذكر أن موعد الاحتفال السنوي لتسليم الجوائز للفائزين ، الذي يشرفه صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز ، يتوقع أن يكون في شهر مارس (آذار) عام ١٩٨٦م ، كما أن مؤسسة الملك فيصل الخيرية ، سوف تحتفل هذا العام بمناسبة مرور عشر سنوات من تأسيسها ، وسوف تقدم مجلة « الفيصل » لقرائها ملفاً شاملاً ومصوراً عن المؤسسة والجائزة ، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وغيرها من نشاطات المؤسسة .

●● إعلامنا والتحديات ●●

عقد في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، تحت إشراف وتنظيم جريدة



الدكتور رجاء جارودي

● ولد الأستاذ رجاء جارودي في مدينة مارسيليا بفرنسا يوم ١٧/٧/١٩١٣م ، كان متفوقاً في دراسته ، الأمر الذي جعله يحظى بالدراسة على نفقة الدولة في جميع مراحل العلم حتى إتمام الدراسة الجامعية ، وحصل على مرتبة أستاذ شرف بالفلسفة ، وذلك في عام ١٩٣٦م .

● حائز على الليسانس في الآداب .

● أستاذ فلسفة بالجامعات الفرنسية .

● لقب الدكتوراه بالآداب من جامعة السوربون بباريس .

● فاز بميدالية شرف للحرب عام ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠م .

● كما فاز بميدالية شرف بعد اعتقاله وسجنه عام ١٩٤١ ـ ١٩٤٤م ، وذلك لمقاومته الفاشية الهتلرية والعنصرية ومعاداة النازية .

● كتب في عام ١٩٤٥م ، رسالة عنوانها « الدور التاريخي للحضارة العربية » (طبع ونشر في الجزائر باللغة الفرنسية ، وصدر في القاهرة باللغة العربية) .

● مندوب المجلس الوطني الفرنسي ثم عضو في مجلس الشيوخ ، وذلك لمدة ١٤ عاماً من ١٩٤٦ ـ إلى ١٩٦٠م .

● رئيس اللجنة الثقافية الوطنية عن الفترة من عام ١٩٤٦م ، إلى عام ١٩٥٨م ، مؤلف لخمسة وثلاثين كتاباً منها :

(١) حوار بين الحضارات (حائز على جائزة البحر المتوسط في إيطاليا) .

(٢) إنذار إلى الأحياء (تكلل بالجائزة الفرنسية « دي ماجو » بباريس .

(٣) كيف صار الإنسان إنساناً ؟ .

(٤) الإسلام يسكن مستقبلنا .

(٥) وعود الإسلام أو « ما يعد به الإسلام » .

(٦) القضية الإسرائيلية ـ كشف السياسة الصهيونية .

معظم هذه المؤلفات ترجمت إلى أكثر من عشر لغات ، ومنها إلى أربع عشرة لغة .

● رئيس ومؤسس المعهد الدولي للحوار بين الحضارات (باريس ـ فرنسا) .

● عضو في أكاديمية المملكة المغربية .

● عضو في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في الأردن .

● اعتنق الإسلام في شهر رمضان من عام ١٤٠٢هـ ، وأشهره في المؤسسة الثقافية بجنيف (سويسرا) .





★ الأمير محمد بن فهد ★ ★ د. محمد عبده يماني ★★ د. هاشم عبده هاشم ★

الحركة الثقافية في الوطن العربي

«أخبار العالم الإسلامي» حوار تحت عنوان «إعلامنا والتحديات المعاصرة»، وذلك خلال شهر ربيع الثاني ١٤٠٦هـ، شارك فيه كل من: الدكتور محمد عبده يماني، والدكتور إبراهيم إمام، والدكتور أحمد البناني، والدكتور هاشم عبده هاشم، والدكتور مهدي إسماعيل جمال، والأستاذ حامد مطاوع.

وقد حضر الحوار عدد من المهتمين والإعلاميين.

•• جائزة للمتفوقين ••

اهتماماً بالمتفوقين دراسياً في مراحل التعليم، فقد **تكوّنت في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية جائزة باسم «جائزة الأمير محمد بن فهد بن عبد العزيز** للطلبة والطالبات المتفوقين في المنطقة الشرقية» **تمنح سنوياً** لكل من حصل على معدل عال في دراسته.

•• أمسيتان شعريتان ••

أقيمت **أمسيتان شعريتان**، إحداهما في **نادي الرياض الأدبي**، أحياها كل من الشاعرين:

★ صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل.

★ عبد الرحمن صالح العشماوي.

والأخرى في **نادي جازان الأدبي**، وقد أحياها كل من الشعراء: إبراهيم صعابي، وأحمد عائل فقيه، ومحمد عبد الرحمن الحفظي، وأحمد بيهان.

•• مسابقة في القصة القصيرة ••

أعلنت **اللجنة الثقافية بجمعية النهضة النسائية بالرياض** عن مسابقتها الأولى **في مجال القصة القصيرة** بدون أية قيود معينة، ما عدا أن يكون العمل المقدم جديداً، ولم ينشر من قبل، على أن يكون آخر موعد لقبول الاشتراكات هو اليوم الخامس من هذا الشهر (جمادى الأولى)، والمسابقة مخصصة للكاتبات السعوديات.

هذا، وقد رصدت الجمعية خمس جوائز للفائزات الخمس، وسوف يقوم بالتحكيم **نادي الرياض الأدبي**.

•• كتب جديدة ••

● «**قواعد وتعليمات الموانئ البحرية**»، الأجزاء من ١ ـ ٤، صدرت في

الدكتور عبد العزيز الدوري

● ولد ببغداد عام ١٩١٩م، وتخرج في مدارسها.

● نال شهادة البكالوريوس (شرف) من جامعة لندن عام ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠م، والدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٤٢م.

● أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة بغداد.

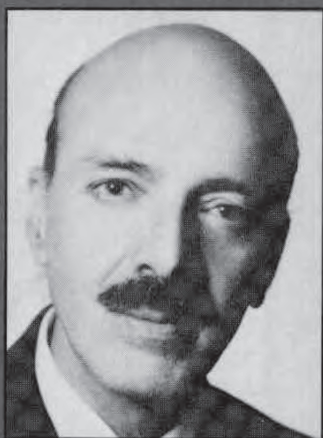
● عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ بغداد عام ١٩٤٩ ـ ١٩٥٨م.

● رئيس جامعة بغداد عام ١٩٦٣ ـ ١٩٦٨م.

● أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة الأردنية ـ كلية الآداب.

● أستاذ زائر في جامعة لندن (١٩٥٥ ـ ١٩٥٦م)، والجامعة الأمريكية ببيروت (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ ـ ١٩٦٩م).

● عضو المجمع العلمي العراقي (سابقاً)، وعضو مراسل في مجمع اللغة العربية بدمشق، وعضو مراسل في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعضو شرف في مجمع اللغة العربية الأردني، وعضو في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت).



آثاره ـ كتب (تأليف):

١ ـ العصر العباسي الأول ـ بغداد ١٩٤٥م.

٢ ـ دراسات في العصور العباسية المتأخرة ـ بغداد ١٩٤٥م.

٣ ـ تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط١، بغداد، ١٩٤٨م، وط٢، بيروت، ١٩٧٤م، وط٣، ١٩٨٣م.

٤ ـ "النظم الإسلامية، ج١، بغداد ١٩٥٠م.

٥ ـ موجز تاريخ الحضارة العربية، بالاشتراك مع الأستاذ ناجي معروف، بغداد، ١٩٥٢م.

٦ ـ مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ط١، بغداد، ١٩٤٩م، وط٢، بيروت، ١٩٨٤م.

٧ ـ نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت، ١٩٦٠م، وط٢، بيروت، ١٩٨٣م.

٨ ـ مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ط١، بيروت، ١٩٦٩م، وط٤، بيروت، ١٩٨٢م.

٩ ـ الجذور التاريخية للشعوبية، ط١، بيروت، ١٩٦٢م، وط٣، بيروت ١٩٨٢م.



★ حسين عرب ★



★ عبد الرحمن السويداء ★



★ محمود أبو ناجي ★

كتاب عن **مجلس التعاون لدول الخليج العربية بالرياض** ، وتنشره **تهامة للتوزيع** .

● « **أبجديات في النقد والأدب والتاريخ** » ، تأليف **علي محمد الحازمي** ، صدر عن **نادي جيزان الأدبي** .

● « **أغاني في بحر الأماني ـ للفنان السعودي محمد عبده** » ، صدر عن **مكتبة الجيل بجدة** ضمن سلسلة **المكتبة الفنية** .

● « **رائد** » ، بقلم **عبد الرحمن بن زيد السويداء** ، صدر عن **دار السويداء للنشر والتوزيع** .

● « **رسالة في حكم الجهر بالبسملة والإسرار** » ، تأليف **حسن بن خالد الحازمي** ، تحقيق **علي محمد أبو زيد الحازمي** ، صدرت عن **نادي جيزان الأدبي** .

● « **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي ٥٦٩ ـ ٦٢٦ هـ** » ، تأليف **محمد بن علي مسفر عسيري** ، صدر عن **دار المدني للطباعة والنشر بجدة** .

● « **المجموعة الكاملة ـ ديوان حسين عرب** » ، صدرت في **جدة** .

● « **طيف الخيال** » ، تأليف **الشريف الرضي** ، تحقيق **الدكتور محمود حسن أبو ناجي** ، صدر عن **مؤسسة المدينة للصحافة** .

الجزائر :

●● بريد البحث ●●

اسم مجلة جديدة أصدرتها **محافظة البحث العلمي والتقني بالجزائر** ، وذلك بهدف التعريف بالمحافظة وخطة عملها وأهدافها ، حيث صدر العدد الأول من هذه المجلة .

الجدير بالذكر أن **من أهداف هذه المحافظة :**

★ إعداد عناصر للاهتمام بالبحث العلمي .

★ إعداد مخطط وطني لتطوير القطاعين التعليمي والتقني .

★ برمجة وتوزيع وسائل البحث .

★ تقييم وتشجيع ودفع البحث العلمي والتقني .

★ تطوير أساليب نشر المعرفة في أوساط المجتمع .

●● الاهتمام بلغة الضاد ●●

اهتماماً بلغة القرآن الكريم ، ومحاولة

١٠ ـ التكوين التاريخي للأمة العربية ، نشر مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٤ م .

كتب (تحقيق) :

١ ـ أخبار الدولة العباسية (أخبار العباس وولده) ، لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري ، بيروت ١٩٧١ م .

٢ ـ البلاذري ـ أنساب الأشراف ، القسم الثالث ، (العباس وولده) ، بيروت ١٩٧٨ م .

٣ ـ إشراف على تحقيق ابن حجاج ـ المقنع في الفلاحة ، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ، عمان ١٩٨٢ م .

بحوث (مقالات بالعربية) :

١ ـ ضوء جديد على الدعوة العباسية ، « مجلة كلية الآداب والعلوم » ، بغداد ١٩٥٧ م .

٢ ـ نشوء الأصناف والحرف في الإسلام ، « مجلة كلية الآداب » ، جـ ١ ، بغداد ١٩٥٩ م .

٣ ـ ما ساهم به المؤرخون العرب في تاريخ الدولة العباسية (في كتاب ما ساهم به المؤرخون العرب في المائة سنة الأخيرة) ، الجامعة الأميركية ، بيروت ١٩٦٠ م .

٤ ـ نظام الضرائب في خراسان في صدر الإسلام ، « مجلة المجمع العلمي العراقي » ، مجلد ١١ ، ١٩٦٤ م .

٥ ـ دراسة في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ومؤلفها ابن إسحق (قدم إلى دورة مجامع اللغة العربية ببغداد) ، بغداد ١٩٦٥ م .

٦ ـ نظرة إلى التاريخ ، « مجلة كلية الآداب » ، الجامعة الأردنية ، م ١ ، ١٩٦٩ م .

٧ ـ نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية ، « مجلة المجمع العلمي العراقي » ، م ٢٠ ، ١٩٧٠ م .

٨ ـ ابن خلدون والعرب ، أعمال مهرجان ابن خلدون ، القاهرة ١٩٦٢ م .

٩ ـ العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام (كتاب المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام) ، بيروت ١٩٧٤ م .

١٠ ـ نظام الضرائب في صدر الإسلام ، « مجلة مجمع اللغة العربية » بدمشق ، م ٤٩ ، دمشق ١٩٧٤ م .

١١ ـ المؤسسات العامة في المدينة الإسلامية ـ نظرة تاريخية إلى بغداد ، الأبحاث ، بيروت م ٢٧ ، ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ م .

١٢ ـ نشأة الثقافة العربية الإسلامية ، « مجلة مجمع اللغة العربية الأردني » ، عمان ، م ١ ، ١٩٧٩ م .

١٣ ـ كتب الأنساب وتاريخ الجزيرة ، « مجلة مجمع اللغة العربية الأردني » ، عمان ، م ٢ ، ١٩٧٩ م .

١٤ ـ في التنظيم الاقتصادي في صدر الإسلام ، « مجلة العلوم الاجتماعية » ، الكويت ، عدد خاص ١٩٨١ م .

١٥ ـ الجغرافيون العرب وروسيا ، « مجلة المجمع العلمي العراقي » ، بغداد ، م ١٣ ، ١٩٦٦ م .

١٦ ـ الفكر العربي بين التجديد والتقليد ، الخرطوم ١٩٦١ م .




★ د. عبد العزيز المقالح ★ ★ د. محمد عبده غانم ★

الحركة الثقافية في الوطن العربي

للقضاء على ما تبق من لغة المستعمر، فقد **عقد في مدينة (الجزائر) ملتقى وطني تحت شعار «اللغة العربية عنصر أساسي لهويتنا الثقافية»**، شارك فيه مندوبون عن (١٢) ولاية، وناقشوا فيه أموراً تهم وضع اللغة العربية في الجزائر.

اليمن

●● ظاهرة الهجاء ●●

أقيمت في صنعاء، تحت إشراف وتنظيم **جماعة الشجرة، ندوة ثقافية حول «ظاهرة الهجاء الشعري المعاصر»**، حيث دعي إليها **الدكتور الشاعر عبد العزيز المقالح مدير جامعة صنعاء، وشارك فيها كل من: الدكتور مصطفى ناصيف، والدكتور محمد عبده غانم، وعبد الودود سيف، وعبد الباري طاهر، وعبد اللطيف الربيع، وعبد العزيز البغدادي.**

وكان ضيف الندوة **الدكتور «علي جعفر» الشاعر العراقي، ورئيس تحرير مجلة «الأقلام»**.

نوقشت في الندوة عدة جوانب، لها علاقة بهذه الظاهرة وآثارها على الشعر العربي، وعلى الواقع نفسه.

الأردن

●● كشف أثري ●●

عثرت بعثة آثار على بقايا **ثلاثة معابد** من عهد الكنعانيين في الحقبة بين القرن السادس عشر قبل الميلاد، والقرن التاسع عشر قبل الميلاد، وذلك في مكان يسمى «**تل الحياة**»، وهو اسم لمدينة زراعية صغيرة في **وادي نهر الأردن**، تقع على بعد مائة كيلومتر تقريباً من **البحر الميت**.

الجدير بالذكر أن التنقيب قد بدأ قبل ثلاث سنوات، وذلك ضمن أعمال التنقيب التي يقوم بها طلبة الآثار، وأساتذة يشرفون عليهم بالتعاون مع بعض علماء الآثار في **جامعة أريزونا الأميركية**.

البحرين

●● معرض للتراث ●●

أقيم في المنامة، المعرض الخامس للؤلؤ والصور التاريخية والسوق الشعبي، وذلك تحت إشراف وتنظيم **إدارة**

الشيخ محمد بهجت الأثري



تعليمه:

بدأ التعلم منذ صغره، فقد أتم قراءة القرآن الكريم تلقيناً وتجويداً في السنة السادسة من عمره، ثم انتقل إلى المدارس النظامية، وأتم الدراسة الابتدائية، ثم درس بالمدرسة السلطانية حتى آذار (مارس) سنة ١٩١٧م، وبعدها درس العربية والأدب في ثانوية التفيض الأهلية لمدة سنة واحدة، وتوجه منذ سن مبكرة إلى تعلم العربية وآدابها وعلوم الشريعة الإسلامية، وأخذ على مجموعة من أجلة العلماء منهم الآلوسيان علي علاء الدين بن نعمان خير الدين بن أبي الثناء محمود شهاب الدين (ت ١٣٤٠هـ)، والعلامة محمود شكري الآلوسي (ت ١٣٤٣هـ).

الحياة العملية:

ـ ندبته وزارة المعارف للتدريس سنة ١٩٢٦م.

ـ في تموز (يوليو) سنة ١٩٣٦م، عهد إليه بمديرية أوقاف منطقة بغداد، ثم عُيِّن المفتش الاختصاصي بديوان وزارة المعارف.

ـ عُيِّن عضواً في لجنة التأليف والترجمة والنشر في ١٨/٢/١٩٤٧م.

ـ في عام ١٩٤٩م، انتخب نائباً لرئيس المجمع العلمي، ثم نائباً أول له في سنة ١٩٥٥م، حتى عام ١٩٦٣م.

ـ وعند إنشاء المجمع الموحد في نيسان (أبريل) سنة ١٩٧٩م، صدر مرسوم جمهوري بتعيينه عضواً عاملاً فيه، وعين مقرراً للجنة اللغة العربية، وعضواً في لجنة التاريخ والحضارة، وعضواً في لجنة المجلة.

ـ وفي سنة ١٩٥١م، ندب لتدريس الأدب وفلسفة الأخلاق في كلية الشرطة، إلى جانب أعماله الأخرى في وزارة المعارف والمجمع الموحد، وقد منح درجة الأستاذية، وفي نفس السنة انتخب عضواً في مجلس الشورى بالأوقاف، وجدد الانتخاب في سنة ١٩٥٥م.

ـ وفي عام ١٩٥٨م، عُيِّن مديراً عاماً للأوقاف مرتبطاً برئيس الوزراء.

ـ بعد التقاعد، انصرف إلى البحث والتأليف والتحقيق وقرض الشعر.

الأعمال الاجتماعي:

في آخر سنة ١٩٢٨م، أسس الشيخ الأثري جمعية الشبان المسلمين، واقتبس نظامها من نظام جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، وقد أسس لها فروعاً أخرى في البصرة والموصل، والثالث في خانقين، الذي لم يتم قيامه، وأصدر للجمعية مجلة علمية باسم (مجلة العالم الإسلامي) استمرت عامين، وأصدر فرع الموصل مجلة خاصة به،




★ د. عبد الفتاح الديدي ★ ★ جون ستيوارت ميل ★

المتاحف والتراث بوزارة الإعلام البحرينية.

وقد أقيم المعرض ضمن احتفالات البحرين بالعيد الوطني.

مصـــر

●● جوائز الدولة المصرية ●●

كان اليوم **التاسع عشر من شهر ربيع الثاني عام ١٤٠٦ هـ**، الموافق للواحد والثلاثين من شهر ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٨٥ م، آخر **موعد للتقدم للمجلس الأعلى للثقافة في مصر، للترشيح لجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية** لعام ١٩٨٦ م، في الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والقانونية.

وتعد جوائز الدولة التقديرية أكبر جوائز في مصر، تبلغ قيمتها خمسة آلاف جنيه مصري وميدالية ذهبية، تمنح لمن ترشحهم الجامعات والهيئات العلمية في مصر، للحصول على الجائزة تقديراً للعطاء الفكري على مدى التاريخ الطويل.

أما جوائز الدولة التشجيعية فتبلغ قيمة الجائزة ألف جنيه وشهادة تقدير، تمنح للشباب من الأدباء والكتّاب والفنانين المتميزين في إنتاجهم تشجيعاً وتقديراً لهم، ولحثهم على العطاء. والمعروف أن الشباب يتقدمون لنيل الجائزة بعطاءاتهم دون ترشيح من أية جهة كانت.

●● كتب جديدة ●●

★ «النفسانية المنطقية عند جون ستيوارت مل»، تأليف **الدكتور عبد الفتاح الديدي**.

وكذلك فرع البصرة، وقد اشترك الشيخ الأثري في تأسيس جمعية المنسوجات الوطنية في سنة ١٩٣٠ م، وانتخب عضواً في جمعية الطيران العراقية، وعضواً مؤسساً لمشروع الفلس الذي ترأسه وزير الداخلية العراقي، وعضواً في الجمعية الخيرية الإسلامية لرعاية الأيتام وتعليمهم الصناعات، وعُيِّن عضواً في جمعية الدفاع عن فلسطين.

الجانب العلمي:

كتب العديد من المقالات الأدبية والسياسية والاجتماعية في الصحف، وتعاون مع جامعة بغداد في تحكيم الأطروحات الأدبية واللغوية والتاريخية، التي يقدمها طلاب الماجستير، وكذلك رسائل الدكتوراه.

وبجانب ذلك، كان نشاطه واضحاً في المجامع اللغوية العديدة، فقد عُيِّن في المجمع العلمي العربي بدمشق، وعضواً مراسلاً ثم عضواً عاملاً، وفي مجمع اللغة العربية بالأردن، وأكاديمية المملكة المغربية، وكان عضواً في المجلس الأعلى الاستشاري للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وعضواً مراسلاً ثم عضواً عاملاً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، كما ألقى المحاضرات في الجامعات المختلفة خارج العراق كالجامعة الأمريكية ببيروت سنة ١٩٥١ م، ومعهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة في سنتي ١٩٥٨ و ١٩٦٦ م.

المؤتمرات:

لقد حضر الشيخ الأثري العديد من المؤتمرات منها:

١ ــ المؤتمر الإسلامي العام في القدس، الذي عقد في المسجد الأقصى ليلة ٢٧ رجب ١٣٥٠ هـ ــ ١٩٣١ م.

٢ ــ المؤتمر العربي الذي عقد في القدس خلال أيام المؤتمر الإسلامي العام.

٣ ــ مؤتمر بلودان، عقد في صيف عام ١٩٣٧ م، في بلودان من ضواحي دمشق، لمعالجة القضية العربية الكبرى.. قضية فلسطين.

٤ ــ المؤتمر الثقافي العربي الأول عقدته جامعة الدول العربية في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٧ م، في بيت مري ــ لبنان.



البروفيسور جيان فرانكو بوتانزو

○

● ولد البروفيسور جيان فرانكو بوتانزو في الأول من أغسطس (آب) عام ١٩٤٦ م، في مدينة فينيسيا بإيطاليا، وهو متزوج وله ابنة واحدة.

● ويعمل البروفيسور بوتانزو حالياً في قسم المناعة ضد الأمراض بمستشفى ميدل اسكس في لندن، وهو قد تخرج من جامعة بادوا الإيطالية في عام ١٩٧١ م، وحصل على العديد من الدرجات والشهادات العلمية من بينها دبلوم التخصص في علم المناعة من جامعة فلورنسا الإيطالية في نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٧٤ م، وكذلك دبلوم التخصص في علم الغدد الصماء من جامعة بادوا بإيطاليا في يوليو (تموز) عام ١٩٧٩ م.

● وفي شهر أبريل (نيسان) من عام ١٩٨٣ م، اختير البروفيسور بوتانزو عضواً في الكلية الملكية للأطباء في لندن. كما يشغل عدة مناصب شرفية من بينها عضوية الأكاديمية الطبية الإيطالية في تورين، التي حصل عليها في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٨٣ م.

● ويشغل البروفيسور بوتانزو أيضاً منصب محاضر في الكلية الطبية لمستشفى بارتولوميو في لندن منذ عام ١٩٨٢ م، وكذلك عضو الهيئة العلمية للكلية الطبية بمستشفى ميدل اسكس بلندن منذ عام ١٩٨٤ م.

● كما يشغل بوتانزو عدة مناصب هامة أخرى في الجمعيات والمراكز الطبية الشهيرة في العالم من بينها الجمعية البريطانية للمناعة، والجمعية الأمريكية لأمراض البول السكري، والجمعية الإيطالية للغدد الصماء، وأكاديمية نيويورك للعلوم، والاتحاد الأوروبي للغدد الدرقية.

فرنسا :

وفاة بروديل

توفي في باريس المؤرخ الفرنسي «فرنان بروديل»، عن (٨٣) عاماً، حيث كان من مواليد عام ١٩٠٢م.

كان بروديل قد درس في حياته التاريخ، وحصل فيه على الدرجة الجامعية، كما حصل على درجة الدكتوراه في الأدب، وبدأ حياته بالتعليم في **المدارس الجزائرية**، وبعد ذلك في **باريس**، ثم في **البرازيل**، ثم عاد إلى باريس ليصبح رئيساً للقسم السادس في المدرسة العملية للدراسات العليا بباريس، وذلك عام ١٩٥٦م، وفي عام ١٩٥٩م، عُيِّن في «**الكوليج دي فرانس**»، التي تركها عام ١٩٧٢م، وهو يحمل لقب أستاذ فخري.

ويُعدُّ بروديل أستاذاً لمدرسة التاريخ الجديد، حيث خرج في مؤلفاته عن المنهج التقليدي في سرد وقائع التاريخ وشخصياته، حيث يهتم بالجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ومن أشهر مؤلفاته:

★ «**عالم البحر الأبيض المتوسط في عصر فيليب الثاني**»، وقد عدل هذا المؤلف، حيث صدر مزوداً بالصور عام ١٩٧٨م.

★ «**الحياة المادية والاقتصادية للرأسمالية من القرن الخامس عشر، حتى القرن الثامن عشر للميلاد**»، ويقع في ثلاثة مجلدات.

بريطانيا :

وفاة جريفر

توفي الشاعر البريطاني (روبرت جريفر) عن تسعين عاماً، حيث كان من مواليد عام ١٨٩٥م، وقد نال في حياته شهرة عالمية بروايتين كتبهما عن حياة **الإمبراطور كلوديس الروماني**، وبكتابه «**وداعاً لكل ذلك**»، الذي روى فيه تجاربه خلال الحرب العالمية الأولى.

المعروف أن **اسم الروايتين «أنا كلوديس»**، و«**كلوديس**»، وقد نشرتا عام ١٩٤٣م، مازجاً كاتبها فيهما بين الحقيقة والخيال.

أحدث الكتب

● «**الجسم والذات، أساسيات البيولوجيا البشرية والسلوك والصحة**»، تأليف **جورج بلوك**، صدر عن **شركة فريمن**.

كما صدرت عن نفس الشركة الكتب التالية:

★ «**أساسيات علم النفس العصبي للبشر**»، تأليف **برايان كولب وايان ويشو**.

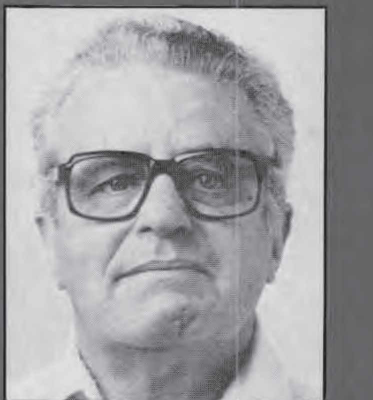
★ «**جولة موجهة ضمن الخلية الحيّة**»، تأليف **كريستيان دو دوف**.

★ «**الأحافير وتاريخ الحياة**»، تأليف **جورج جلي لورد سيمبسون**.

★ «**أساسيات التشريح العصبي**»، تأليف **وال نوتا وميشيل فايرتاج**.

★ «**تطور علم الأعصاب**: قراءات من مجلة (**ساينتفيك أميريكان**)»، تأليف **هنري برادفورد**.

★ «**الدماغ الأيسر والدماغ الأيمن**»، طبعة ثانية، تأليف **سالي سبرينجر وجورج دوتش**.



البروفيسور ألبرت رينولدز

● ولد البروفيسور ألبرت رينولدز في ١٠ يوليو (تموز) من عام ١٩٢٣م، في كارلروهيه، وهو سويسري المولد.

● وقد تقلد عدة مناصب هامة في حقل التعليم من بينها منصب أستاذ بكلية هارفارد للطب بإنجلترا، وعمل مديراً لمعمل بحوث الكربوهيدرات التابع للكلية في الفترة من عام ١٩٥٦م، إلى عام ١٩٥٩م.

● وفي الفترة من عام ١٩٧٩م، إلى عام ١٩٨٣م، شغل منصب عضو المجلس العلمي للمعهد الدولي لعلم أمراض الخلايا.

● ومن بين المناصب الأخرى التي شغلها، كان منصب أستاذ بكلية الطب بجامعة جنيف، ورئيس قسم الكيمياء العضوية، وقسم الأمراض البولية بالجامعة، ومديراً لمعهد الكيمياء العضوية في جنيف بسويسرا، وذلك في عام ١٩٦٣م.

● وفي عام ١٩٥٧م، اختير عضواً في المجلس السويسري للبحوث العلمية، كما اختير عضواً للأكاديمية العلمية في دوسلدورف بألمانيا الغربية في عام ١٩٨٠م.

● وقد قام البروفيسور ألبرت رينولدز بكتابة العديد من المؤلفات في مجال الطب، التي تصل إلى حوالي ٤٢٠ مطبوعة، يتعلق معظمها بعلم البروتوبلازما والتجارب المرتبطة به. وتتناول هذه المؤلفات أيضاً أمراض البول السكري في الإنسان والحيوانات، وتتناول بعضها الآخر نشأة الأمراض العصبية، وتغطي دراسات المؤلف علوماً أخرى من بينها علم وظائف الأعضاء، وعلم الأمراض.

● كما شارك مع زميل له هو البروفيسور جورج في كابل في عام ١٩٦٥م، في إصدار دليل علم وظائف الأعضاء الذي قامت بنشره الجمعية الأمريكية لعلم وظائف الأعضاء.



★ فرنان بروديل ★

أمـريـكـا :

●● وفاة روائية ●●

توفيت الـروائية الأمـيريكية «هيلـين ماسينز» عن (٧٧) عـاماً ، وذلك إثـر إصابتها بنوبة قلبية .

اشتهرت الـروائية المذكورة بـروايات التجسس التي لاقت رواجاً كبيراً ، وبيع منها مـلايين النسخ في العام (٢٣ مليـون نسـخة منهـا في الـولايات المتحدة لوحدها) ، وقد ترجمت أعمالهـا إلى (٢٢) لغة من اللغات العالمية المختلفة .

★ البروفيسور ليليو أورشي ★

● ولد البروفيسور ليليو أورشي في ٢٢ مارس (آذار) عام ١٩٣٧ م ، في سان جيوفاني بإيطاليا ، وتخرج من جامعة° روما في عام ١٩٦٤ م .

● وهو يشغل في الوقت الحالي منصب رئيس قسم علم المورفولوجيا بكلية الـطب في جـامعة جنيف .

● وفي الفـترة مـن عـام ١٩٦٦ م ، إلى عـام ١٩٦٩ م ، شغل منصب أستاذ مشارك في معهـد علم الأجنـة بجنيف . وفي عـام ١٩٧٦ م ، شـغل منصب رئيس قسـم المورفـولوجيا بـالكلية الـطبية بجامعة جنيف .

● وقد حصل البروفيسور ليليـو أورشي على عدة مناصب شرفية ، من بينها أستاذ زائر في عـام ١٩٧١ م ، بكلية هـارفارد للـطب ، ومسـتشفى بيترينج بـرايهام في بـوسطن بـولاية مـاسوشوسيتي الأميريكية .

● وفي عـام ١٩٧٣ م ، حصـل على جـائزة فيكوفسكي من الجمعية الأوروبية لأمـراض البـول السكري ، كما حصـل في عـام ١٩٧٨ م ، على جائزة مـؤسسة جـوفينايل الأمـيريكية لـلأمراض البولية . وفي عام ١٩٨٣ م ، نال ميدالية والي مـن الجمعية البريطانية للغدد الـدرقية ، كما حصـل في عـام ١٩٨٤ م ، على منصب أسـتاذ شرف مـن جامعة كويلف في أونتاريو بكندا .

●● أحدث الكتب ●●

● **«المحاربون في الفضـاء»** ، تـأليف **ويليام بروود** ، صدر في **نيويورك** .

● **«جـون إسـكين في سـنواته الأولى ١٨١٩ ــ ١٨٥٩ م»** ، تـأليف **نـيم هيلتـون** ، صدر في **أميريكا** .

● **«الجريمة وطبيعة النفس البشرية»** ، تـأليف **جيمس ويلسـون وريتشـارد هيرينستين** .

● **«جيـولوجيا الـكواكب شـبيهة الأرض»** ، تـأليف **ميشـيل كار وآخـرون** ، صدر في **واشنطن** ضـمن سلسلة **«إصـدارات وكالة الطيران والفضاء (ناسا)»** .

● **«البيـولوجيا الـوظيفية للأوليّات ذوات المعيشـة الحـرّة»** ، تـأليف **جـوهانا باري** ، صـدر عـن **مـطبعة جـامعة كاليفورنيا** .

● **«خواص الهواء الحبيس وتأثيره على الصحة البشرية»** ، تأليف **إسحق تـوريبل** ، صدر عن **مطبعة جامعة ستانفورد** .

● **«العـدسة الـوحيدة : قصـة المجهـر البسيط»** ، تأليف **برايان فـورد** ، صـدر عـن **شركة هارير ورو للنشر** .

● **«العـلاقة بـين حجم الجسـم والتكيف البيئـي»** ، تأليف **روبرت هـنري** ، صدر عن **مطبعة جامعة كامبريدج** .

● **«الأطلس العالمـي الجديد»** ، وضعه **مجموعة من المتخصصين** ، صدر في **طبعة جديدة عن دار راند مك نالي وشركاه** .

● **«تـاريخ القصـف الاسـتراتيجي بالقنابل»** ، تأليف **لـي كينيـت** ، صـدر عـن **شركة أبناء تشارلز سكريبز** .

● **«النـظرية الـرقمية في العلـوم والاتصالات وتطبيقاتها في التشفير والفيزياء والمعلـومات الـرقمية والبيـولوجيا والحساب»** ، تـأليف **م . ر . شرويـدر** ، صـدر عن **شركة سبرينجر فيرلاج للنشر** .

● **«اللغـة السرية للجليـد»** ، تـأليف **تيري ويليامز وتيد ميجور** ، صـدر عـن **دار كتب بانثيون** .

● **«ولـوج الفضـاء : أسـفار روّاد الفضـاء»** ، تـأليف **جـوزيف آلن وراسـل مارتن** ، صـدر عـن **دار تـايوري وشـانج للنشر** .

● **«الأصـداف : أشـكال وتصـاميم**



د . مايكل جون بيردج

● ولد في بريطانيا .

● فاز بجائزة الملك فيصل العـالمية في العلـوم في موضوع الكيمياء الحيوية .

● له إنجاز كبـير في حقـل بيـولوجيا الخليـة يتمثل في اكتشافه مراسلاً ثـانياً يتحكم في ضـبط أنشطة الخلايا ، وتقع عليه مسـؤولية تنـظيم نشـاط الخلية .

● شكل اكتشـافه وإنجازه العلمـي مبـدأ أساسياً لتعميق المعرفة بموضوع نمو الخلايا .

● اجتذب اهتماماً عالمياً كبيراً لدوره الأساسي في فهم كل مظاهر تنظيم الخلايا .

● المعرفة المترتبة على اكتشافه ستعود بـالنفع العام على الجنس البشري .

الحركة الثقافية في العالم



★ إلزا مورانت ★

البحر »، تأليف **أندرياس فاينينجر**، صدر عن **شركة دوفر للنشر**.

● **« الدليل السري للحاسبات الآلية (الكمبيوترات) »**، تأليف **رسّ والتر**، صدر عن **شركة بيركهاوزر بوستون للنشر**.

● **« هلع في البيت الأبيض »**، تأليف **كليف كوسلر**، صدر في **الأسواق الأمريكية**.

● **« السياسات المصرية في ظل حكم السادات »**، تأليف **د. ريموند هينيسك** أستاذ العلوم السياسية بكلية سانت كاترين التابعة لجامعة مينيسوتا، صدر **بواشنطن**.

● **« التطور الكيميائي للجو والمحيطات »**، تأليف **هنريش هولاند**، صدر عن **مطبعة جامعة برينستون**.

● **« موطن ستيفن وهويجنز: مسار العلم والتكنولوجيا في هولندا خلال العصور الذهبية »**، تأليف **ديرك سترويك**، صدر عن **شركة رايدل للطباعة والنشر**.

● **« فن التصوير في هولندا في القرن السابع عشر الميلادي »**، تأليف **سفيتلانا ألبرز**، صدر عن **مطبعة جامعة شيكاغو**.

● **« الموجز الفلكي لراصدي السماء والمكتشفين والمهتمين بعلم الفلك »**، تأليف **جوزيف أشبروك**، صدر عن **شركة سكاي للنشر ومطبعة جامعة كامبريدج**.

● **« تقنيات الفيزياء الفلكية »**، تأليف **س. ر. كيتشين**، صدر عن **شركة آدم هيلغر للنشر**.

● **« النظرة الثانية: مشروع إعادة المسح الفوتوغرافي »**، تأليف **مجموعة من الخبراء**، صدر عن **مطبعة جامعة نيومكسيكو**.

● **« الحجم والحياة »**، تأليف **توماس ماكماهون، وجون تايلر**، صدر عن **شركة كتب ساينتيفيك أميريكان**.

ايطاليا

وفاة مورانت

توفيت الكاتبة الإيطالية التي تعد من أبرز روائيات العصر الحديث **« الزا مورانت »**، وذلك عن (٧٣) عاماً. **من أشهر أعمالها:**

★ « جزيرة أرتور ».

★ « الخمار الأندلسي ».

★ « أكاذيب وطرائف ».

★ « قصة لاستوريا ».

تميَّز أسلوب هذه الروائية بالدقة في وصف الأشياء والمواقف.

روسيا

آثار الجزيرة العربية

عقد **مؤتمر علمي** حول **الآثار القديمة في جنوب الجزيرة العربية**، وذلك **بمدينة موسكو**.

كان المؤتمر تحت رعاية منظمة التربية والعلوم والثقافة التابعة للأمم المتحدة **« اليونسكو »**، بالتعاون مع **متحف فنون الشرق والبعثة العلمية السوفييتية اليمنية المشتركة**.

تحدث في هذا المؤتمر الذي عقد خلال أيام من شهري نوفمبر وديسمبر (تشرين الثاني وكانون الأول) عام **١٩٨٥م**، الباحث التاريخي والمستعرب السوفييتي **بيوتر جريازنيفتش**، ونوقشت فيه عدة أمور تتعلق بالآثار الهامة، التي عرفت عنها أول بعثة سوفييتية عام ١٩٦٦م، إلى حين تشكيل بعثة سوفييتية يمنية عام ١٩٨٣م.

مسرحيات جزائرية

صدر عن **دار (رادوغا)** الروسية أربع مسرحيات للكاتب المسرحي الجزائري **عبد الله ونونس هي: (رأس المملوك جابر)**، و **(أمسية مع أبي خليل القباني)**، و **(الملك هو الملك)**، و **(صاحب الجلالة الفيل)**.

الجدير بالذكر أن هذه الدار اهتمت بترجمة ونشر مجموعة كبيرة من الأعمال الأدبية العربية خلال السنوات القليلة الماضية.

استدراك

يطالع القارئ في موضوع « المجمعة » صفحة ١١ من هذا العدد صورة لمبنى الإمارة.. نود أن نلفت نظر القارئ أن هذه الصورة هي لمبنى إمارة حوطة سدير.. لهذا نأسف لما حدث ونعتذر للقارئ والكاتب معاً.

الصين

كشف أثري

عثر الأثريون الصينيون على **مخزنين كبيرين للعملات البرونزية** التي يرجع تاريخها إلى فترة حكم **أسرة هان الغربية** حوالي **٢٠٦** قبل الميلاد، إلى **٢٤** بعد الميلاد، وذلك في مقاطعة هونان.

وكانت مجموعة من القرويين قد اكتشفت في وقت سابق ما يقرب من ٢٣٥٠ كيلوجراماً من العملات البرونزية، التي يعتقد أنه تم سكها أثناء فترة حكم **الإمبراطور ليوتشي** قبل الميلاد.

نجيب محفوظ إلى الصينية

قام المستعرب الصيني **إينج بي** بترجمة ثلاثية **نجيب محفوظ** الشهيرة: **« بين القصرين »**، و **« السكّرية »**، و **« قصر الشوق »** إلى اللغة الصينية.

من كتاب هذا العدد



عبد الله حمد الحقيل

★ من مواليد « المجمعة » بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٥٦ هـ .

★ تخرّج في كلية اللغة العربية ، وحاصل على دبلومين ، أحدهما من جامعة « أوكلوهوما » بأميريكا .

★ عمل مدرّساً ، وموجهاً تربوياً ، ومديراً لمدرسة اليمامة الثانوية بالرياض ، كما عمل مدرّساً للتربية الإسلامية واللغة العربية بالجزائر ، فمديراً لإدارة الكتب والمقررات المدرسية ، ومديراً مساعداً للتخطيط التربوي . . وغيرهما من الوظائف القيادية .

★ يعمل حالياً مديراً لتحرير مجلة « الدارة » ، وأميناً عاماً لدارة الملك عبد العزيز بالرياض .

★ له عدد من الكتب المطبوعة ، وعدد من الكتب المخطوطة ، وله مشاركات في الصحافة .

د . يحيى مكي زكري

★ من مواليد مدينة « صبياء » بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٤١ م .

★ دكتوراه إنتاج محاصيل زراعية ــ جامعة أريزونا بأميريكا .

★ عمل معيداً بكلية الزراعة ــ جامعة الملك سعود في الرياض ، فمديراً لمركز البحوث الزراعية بالكلية نفسها ، ثم أستاذاً مشاركاً ، فوكيلاً للكلية .

★ يعمل حالياً عميداً لكلية العلوم الزراعية والأغذية ــ جامعة الملك فيصل بالأحساء .

★ نائب رئيس الجمعية السعودية لعلوم الحياة .

★ له عدة أبحاث منشورة وبعض المقالات ، وله مساهمات في وضع بعض المناهج الدراسية الجامعية .





د . محمود عبد الله أبو الخير

★ من مواليد « التينة » في فلسطين عام ١٩٤٣ م .

★ دكتوراه في الأدب والنقد .

★ يجيد اللغة الإنجليزية .

★ عمل أستاذاً مساعداً للأدب والنقد بمعهد الآداب واللغات (جامعة وهران بالجزائر) .

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً للأدب والنقد في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية في أبها .

★ له دراسات نشرت في مجلات عربية .

د . حامد عثمان برهان

★ من مواليد السودان عام ١٩٣١ م .

★ دكتوراه في جيولوجيا وإنتاج المحاصيل .

★ عمل باحثاً بهيئة البحوث الزراعية ، ورئيساً لقسم فلاحة المحاصيل والمراعي ، ومديراً عاماً لمشروع التنمية الزراعية في بلاده .

★ يعمل حالياً رئيساً لقسم المحاصيل والمراعي في كلية العلوم الزراعية والأغذية ــ جامعة الملك فيصل بالأحساء .

★ حضر عدداً من المؤتمرات .

★ له بحوث وأوراق علمية نشرتها بعض المجلات العالمية .



د . عبد الله سليمان سليمان

★ من مواليد طربيخا ــ فلسطين عام ١٩٤٣ م .

★ دكتوراه في الحقوق .



★ يجيد الإنجليزية والفرنسية .

★ يعمل حالياً أستاذاً لمادة القانون الجنائي وعلمي الإجرام والعقاب في كلية الحقوق ــ جامعة الجزائر ، وأستاذاً في قسم الماجستير للعلوم الجنائية .

●● في هذا العدد ●● في هذا العدد ●● في هذا العدد ●● في هذا العدد ●● في



●● مدينة «الجمعة» ، ذات عراقة تاريخية ، وخصوبة جغرافية ، فهي تضم القديم والحديث ، وتفيض بروافد التراث الأصيل ، وتمتد جذورها ضاربة في أعماق الماضي البعيد . طالع ص (٤) .



●● أيستطيع هذا العالم بمنظماته القائمة ، بأعرافه ومواثيقه ومعاهداته ، أن يحمي الضعفاء ، لعدالة قضاياهم ، ويهزم باطل الأقوياء ، ويقيم عدالة دولية جنائية قادرة على محاسبة المعتدين على مصالح الإنسانية ؟ . طالع ص (١٩) .



●● الحداثة في كل شيء عملية لازمة ، وكنا ننظر للحداثة في الأشياء على أنها «بدع» ، أما اليوم فهي وجها العملة ، ولا نستطيع الهروب منها أو نكرانها .. لأنها حقيقة . طالع ص (٣٥) .

الفيصل

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

تصدر عن دار الفيصل الثقافية

العدد (١٠٧)ـ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ ـ السنة التاسعة ـ كانون الثاني (يناير)/شباط (فبراير) ١٩٨٦م . ISSUE 107 - NINTH YEAR - JAN/FEB. 1986.

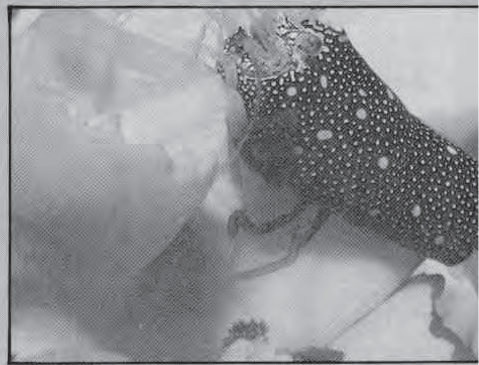
رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

ـدد ●● في هذا العدد ●●



●● تحتوي رتبة «القشريات» على (٣٠) ألف نوع حيوان قشري، تعيش معظمها في البحار وفي المياه العذبة. وأهم أنواعها جراد البحر، وبراغيث الماء والربيانات. طالع ص (٧٥).



●● يعتبر العلماء أن أهم عوامل مرض «الأيدز»، التي تعد منطلقاً لهذا الوباء، هو التماس الجنسي (اللواط)، والإدمان على تعاطي الحقن الوريدية، وزوجات وأبناء المصابين! . طالع ص (٨٧).



●● في المملكة العربية السعودية، نجد أن نسبة الأراضي الصالحة للزراعة في كثير من المناطق أعلى من كمية المياه المتاحة للري. لذا فإن عامل التكافؤ بين الأرض والماء هو العامل الأساسي في تحديد المساحة التي يمكن تعميرها ومدى تكثيفها. طالع ص (٩٤).

المراسلات :

مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣)
الرياض ١١٤١١ . المملكة العربية السعودية
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس : ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

All Correspondence To:

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O.BOX 3
RIYADH 11411-Saudi Arabia
Tel: 4653026-4653027, TELEX 202600 DRFATH SJ

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج . ع . اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠ قرشاً	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠ قرشاً	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

EUROPE - AMERICA - ASIA

Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R 150 Others S.R 250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

شركة الطباعة العربية السعودية ذ.م.م
ص.ب ٦٤٦٣ الرياض ١١٤٤٢ المكتب ٤٦٣٣٤٥٢ المطابع ٤٦٥٨٩٩٠

●● بركان كولومبيا ●●

